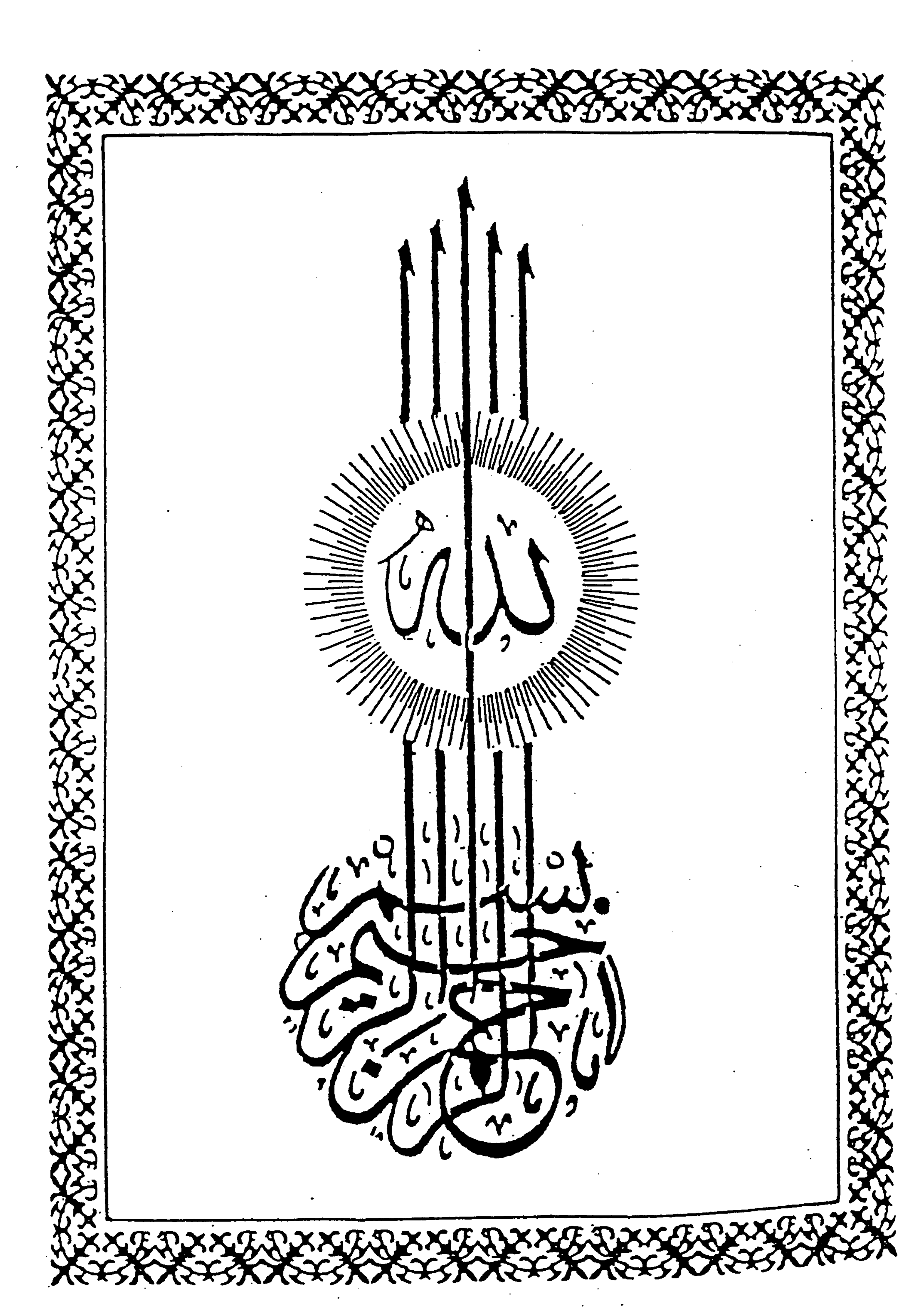

الله
بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في بلاد الحجاز

في الفترة من (٤٠٢ - ٥٧٠) هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الدارس
صالح بن أحمد الضويحي

إشراف
الدكتور/ عبدالعزيز بن راشد العبيدي
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
Imam Muhammad Ibn Saud
Islamic University
FACULTY OF SOCIAL SCIENCES
RIYADH



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
الرياض
الدراسات العليا

عنوان البحث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز في الفترة بين (٤٠٢ - ٥٥٧ هـ)

المشرف على البحث

الاســــم : د . عبدالعزيز بن راشد العبيـــدى

التوقيــع :

أعضاء لجنة المناقشــة

١- الاســم : د . فواز بن على الدهـــاس

التوقيــع :

٢- الاســم : د . عبدالله بن ناصر الشـــثري

التوقيــع :

٣- الاســم :

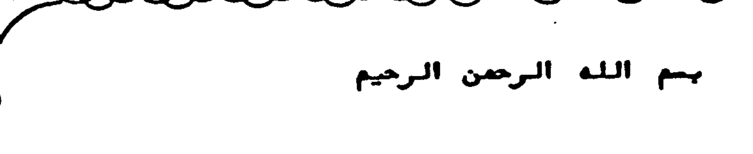
التوقيــع

تاريخ المناقشــة

الاثنين الموافق ٢٤ / ١٠ / ١٤٠٩ هـ بقاعة كلية أصول الدين بعد صلاة المغرب مباشرة

١٩٨٩/٥/٢٩

4773783 — ٤٧٧٣٧٨٣
4773553 — ٤٧٧٣٥٥٣ ☎ Riyadh 11471 - P.O. Box. 3169 ١١٤٧١ : الرمز البريدى ـ ٣١٦٩ : الرياض ـ ص.ب



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والحضاره

ملخص بحث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز

في الفترة من ٤٠٢ الى ٥٥٧هـ

اعداد الدارس
صالح بن أحمد الضويحي

اشراف
د/ عبدالعزيز راشد العبيدي

١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

بدأت الحديث بهذا البحث بمقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة حوله ثم عرضت فيه لفصول البحث وعرفت ببعض المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابته .

ثم انتقلت الى التمهيد وبينت فيه حدود الحجاز الجغرافية وذكرت الأقوال التي ذكرها الأقدمون عن هذه الحدود والخلاف الذي وقع بينهم كما عرضت فيه لآراء المحدثين . ثم بينت الحدود التي ستكون موضع حديثي .

كما عرضت للحالة السياسية في هذه الفترة والتي بدأت بولاية أبي الفتوح سنة ٤٠٢هـ وذكرت أهم الأحداث التي وقعت في عهد كل أمير وختمته بولاية عيسى بن فليته والتي استمرت حتى سنة ٥٧٠هـ . ثم انتقلت الى الفصل الأول وكان عن الزراعة والرعي وبدأته بالحديث عن العوامل التي ساعدت على الزراعة في بلاد الحجاز ومن أهمها وفرة المياه في بعض مناطقه وخصوبة أرضه كما هي الحال في بعض المناطق التي حول مكة والمدينة والطائف ومن العوامل وفرة الأيدي العاملة المدربه والمتخصصة في الزراعة من أهل البلاد الوافدين اليها كالمغاربة ، وما أفرزته الأحوال السياسية والاجتماعية من ضيق مجالات العمل ودفع الناس الى الاشتغال بالزراعة .

ثم تحدثت عن مصادر المياه في الحجاز وبدأتها بالأمطار التي تجري منها السيول فتسقي المزارع وتزيد من مياه الآبار والعيون ثم

ذكرت المصدر الثاني وهو العيون المنتشرة في بعض مناطق الحجاز أما المصدر الثالث فهو الابار وتنتشر في أماكن كثيرة وتحفر لعمق عشرة أمتار ، كما بينت الطريقة المتبعة في استخراج المياه منها .

ثم انتقلت الى المحاصيل الزراعية وبينت اختلافها من مكان لآخر حسب طبيعة الأرض ونوع التربة ، فاشتهرت المدينة بانتاج التمور وكذا خيبر وتيماء وبعض الأماكن القريبة من مكة كمر الظهران ورهاط والكديد وذكرت أنواع التمور كالبرني والعجوة والرعلة والصيحاني . ثم ذكرت المحصول الآخر وهو الحبوب التي تزرع في الطائف وقرب المدينة كما تنتج الحجاز الفواكه وتشتهر بها الطائف والقرى القريبة منها ومن هذه الفواكه الموز والرمان والعنب والخوخ كما تزرع قرب المدينة أما الخضار فتزرع قرب مكة ومنها البطيخ والباذنجان والكرنب كما تزرع قرب المدينة في العوالي وضرية وتسوق هذه المحاصيل في أسواق المدن الرئيسية مكة والمدينة والطائف وجدة ويرد هذه الأسواق ما ينقصها من الشام ومصر مما يؤكد عدم كفاية محاصيل الحجاز الزراعية لاستهلاك سكانه .

وهناك عوامل حدت من النشاط الزراعي ومنها الأوبئة والأمراض التي تتعرض لها النباتات وعدم مناسبة بعض المواقع للزراعة . وانقطاع مياه الأمطار عن مواسمها . كما أن للمنافسة دور فعال في الحد من هذا النشاط بالاضافة الى الحروب التي تقوم بين بعض البلدان فتقضي على الأخضر واليابس .

أما القسم الثاني من هذا الفصل فكان عن الرعي وقد بدأته بالحديث عن العوامل المساعدة ومن أهمها ، طبيعة الأرض التي يغطي جزء منها بغطاء نباتي ويستمر في أماكن منها على مدار العام وحاجة

بعض الناس المستمرة الى هذه الحرف وبقائهم على حياتهم السابقة وحاجة بلاد الحجاز الى الإبل لاستخدامها في الزراعة والنقل أيام المواسم للبضائع والحجاج والاستفادة من لحومها وجلودها في الصناعة وقد حد من نماها قلة الأمطار التي تعتمد عليها النباتات الطبيعية وانتشار الأوبئة والأمراض التي تفتك بها .

أما الفصل الثاني فكان عن التجارة وبدأته بذكر العوامل التي ساعدت على نماء التجارة وازدهارها ومنها حيوية الموقع الجغرافي الذي يتمتع به الحجاز لوقعه على ساحل البحر الأحمر . ووجود الحرمين الشريفين بمكة والمدينة حيث يتهافت اليهما الناس من كل حدب وصوب ، واستقرار الأوضاع السياسية وما جلبته من أمن سهل على الناس حركتهم وذلك بأمن الطرق وسهولة السير فيها .

ثم انتقلت الى الطرق التجارية وقسمتها الى قسمين برية وبحرية فالبرية هي ما تربط بين مدن الحجاز كطريق مكة جدة ومن أهم منازله القريتين وطريق مكة المدينة ومن أهم منازله السيالة والسقيا وهر الظهران وطريق مكة والطائف . ومن الطرق البرية ما يربط الحجاز بأقاليم شبه الجزيرة العربية مثل طريق مكة اليمن عبر تهامة ومن أهم منازله يلملم وحلى والسرين وعثر والطريق الاخر يمر بالطائف ومن أهم منازله تربه وبيشه وصعده . وطريق مكة اليمامة ويتجه الى الشرق مارا بعدد من المنازل ومن أهمها القريتين وصدا كما يرتبط الحجاز بعمان وذلك عبر طريقين أحدهما يخرج من اليمن والآخر من اليمامة عبر واحة يبرين أما الطرق الخارجية فيرتبط الحجاز بالعراق بطريقين بريين أحدهما يصل الى الكوفة والآخر الى البصرة ومن منازل طريق الكوفة سميرا والثعلبيه ومن منازل طريق البصرة ذات عرق ومران وضرية .

أما طريق الشام فيخرج من المدينة ومن أهم منازله تبوك والكرك .
أما طريق مصر فيخرج من المدينة ويلتقي مع طريق الشام بالسقيا كما يمر بأيله . وكانت الوسائل المستخدمة على هذه الطرق هي الابل والخيل وصارت بعض المدن محطات تجارية برية تصل اليها القوافل التجارية لتستقر بها أو تنتقل منها الى مكان آخر ومن هذه المحطات مكة المكرمة حيث تقوم بها أسواق تجارية أيام المواسم وتصلها مختلف السلع التجارية الواردة من جدة وغيرها من البلاد المحيطة بها والمدينة المنورة حيث تصلها البضائع التي لم تبع في مكة أيام المواسم كما أنها مركزا تجاريا للبادية المقيمين حولها ، والطائف مركزا تجاريا لما يصلها من البلاد القريبة منها ، وما ينتج فيها من المحاصيل الزراعية والمواد الصناعية ، أما الطرق البحرية فتنقل البضائع عبر طريق بحري شرقي وآخر غربي ، فالشرقي يسير محاذيا لساحل البحر الأحمر الشرقي مارا بعدد من الموانئ أهمها غلافقة والسرين حتى تنتهي الى جدة ويواصل سيره شمالا الى القلزم ويخدم الحجاج القادمين عبره الى جدة ، أما الطريق الغربي فيسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من الغرب ويبدأ من اليمن والحبشة ويمر بمراسي من أهمها جزيرة دهلك وسواكن وعيذاب ومنها الى جدة ، وقد أدت هذه الطرق الى قيام محطات تجارية بحرية هي جدة والتي يجتمع بها التجار والحجاج من كافة أرجاء العالم من مصر والمغرب واليمن والهند وتنتقل منها الى الأسواق الداخلية ، والجار وهي ثغر المدينة حيث تفرغ السفن القادمة من الهند ومصر حمولتها فيه ، والسرين وهي الميناء الثاني لمكة المكرمة وتستقبل المراكب الصاعدة من اليمن والنازلة اليه وعيذاب نقطة وصل شرقية حيث تفرغ بعض السفن القادمة من الحبشة وزنجبار واليمن وتنتقل منها الى جدة .

كما عَرَّفْت بالبحر الأحمر حيث هو مسار الطرق البحرية ويبدأ من باب المندب وينتهي الى القُلزم .

كما تحدثت عن صناعة السفن المستخدمة في هذا البحر فقد تميزت عن غيرها وذلك باتخاذهم قشر جوز حب النارجيل بعد أن يداس تخاط به المراكب وتخلل بدسر من عيدان النخل ثم تسقى بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش ولا يوضع بها مسمار البتة .

أما السلع المتبادلة بين الحجاز وبلدان العالم الأخرى فمن أهمها المسك ويردها من الصين ، والدارصيني ويحمل اليها من الهند وسيلان ، والفلفل وهو نتاج الهند والصين وسيلان ويحمل بكميات كبيرة وينقل منها الى أوربا والقرنفل ويزرع في برطابل وجوز الهند والعود الهندي والكافور ويجلب من الصن والهند وجاوه والزنجبيل ويزرع في الهند والصن ، والصبر هو نتاج بعض البلاد العربية كاليمن وعمان وجزيرة سوقطره ، والزعفران ويجلب من اليمن وكذا الصمغ واللبان والحناء والملابات والوشي الصنعاني كما يصدر من مكة لبعض ما يردها من تلك البضائع كالعود والمسك والبرود اليمانية والوشي الصنعاني وشمل الحديث في هذا الفصل طوائف التجار التي كانت تمارس التجارة في ذلك الوقت وهم أهل البلاد الأصليين والمغاربة الذين قدموا من الدولة الفاطمية وانتشروا في الحجاز والكارمية الذين اشتهروا باحتكار تجارة البحر الأحمر في تلك الفترة وما بعدها كما تحدثت عن طرق التعامل التجاري السائد آنذاك والمتمثلة بالنشاطات الفردية والمشتركة والقائمة في شركات المضاربة والأبدان وغيرها .

وختمت [illegible] بالحديث عن العوائق التي حدت من التجارة ومنها انقطاع الحج بسبب هجمة القبائل العربية على طرقهم

وعدم صلاحيتها للسير إما لعدم الأمان فيها أو لفقدان أماكن الراحة والمياه ومن العوامل أيضا ضعف السلطة الحاكمة وتسلطها على الناس ومن ذلك النزاع بين الأمراء وتسلط الحكام على الناس والحجاج وفرض الضرائب والمكوس التي ترهق كاهل التجار ومخاطر الطرق البرية والبحرية .

أما الفصل الثالث فكان عن المنشآت التجارية ونظم المعاملات وبدأته بالحديث عن الأسواق التجارية المنتشرة في مدن وقرى وبوادي الحجاز وبينت أنها دائمة وموسمية فالدائمة هي التي في المدن أما الموسمية فهي التي تقوم أيام الحج في مكة والمشاعر وفي المدينة المنورة وعلى طرق الحجاج ففي مكه سوق الصفا والمروة وسوق للصراف وسوق للبزازين وسوق للعطاره وفي الطائف سوق المشرق وفي جدة سوق الندا ونظرب وسوق النبط وسوق بره وفي المدينة سوقها القديم كما انتشرت الأسواق في خليص ورابغ .

وقد استعرضت العملات القديمة المستخدمة في الحجاز وبينت العملات المتداولة في الفترة موضوع البحث وهي العملات العباسية والفاطمية وعملات محلية يسكها الأمراء حسب حاجتهم بالاضافة الى عملات أخرى هي المطوقه والعشرية والمحمدية والمزنبقة أما الموازين والمكاييل فتحدثت عن نشأتها ثم ذكرت ما كان يستخدم في تلك الفترة وهي المن والصاع والمد والمكوك .

كما تحدثت عن الأسعار وقدمت بعدم القطع بسعر معين لسلعة من السلع وأن ذلك يخضع للظروف التي يعيشها البلد فبينما ترتفع في سنة نراها تنخفض في سنة أخرى .

كما تحدثت في هذا الفصل عن الايرادات والمصروفات المالية وبدأته بالحديث عن الايرادات المالية المتمثلة بالعطايا والمنح التي تأتيهم من العباسيين والفاطميين كما يفرضون ضرائب ومكوس على الحجاج والتجار وذلك بوجود مراكز لهم برية وبحرية ولم يسلم منهم الحجاج بل فرضوا عليهم مكوس ومع ذلك لم يكن لها أثر في حمايتهم أثناء أداء نسكهم، ومن الايرادات أيضا أعمال البر والصدقات التي ينفقها المحسنون على الحرمين والمجاورين لهما .

أما المصروفات فلم تنقل لنا المصادر تنظيم معين لها ولا نعلم ما ينفق الا على الأمراء وحاشيتهم ومواكبهم وختمت هذا الفصل بالحديث عن الأزمات الاقتصادية التي تعرض لها الحجاز في الفترة موضوع البحث ومنها انقطاع الحج وتأثر البلاد التي تمد الحجاز بالمواد الغذائية بظروف تؤثر على إنتاجها وكذا الاعانات التي تخضع لطبيعة العلاقات السياسية مع الدولتين العباسية والفاطمية .

أما الفصل الرابع فكان عن الحرف والنشاط العمراني وقد بدأته بذكر المهن الاجتماعية المنتشرة آنذاك ومنها إكراء الجمال تنقل بضائع الناس وأمتعتهم ومن المهن نقل الماء لسقي الناس وذلك لقلة المياه في مكة وجدة ومنها جمع الحطب وبيعه والحجامة وحلق الشعر والنسخ والقراءة والجزارة وتنظيف الحرمين الشريفين والعناية بهما كما تحدثت عن الحرف الصناعية التي قامت في بلاد الحجاز في تلك الفترة ومنها صناعة الحصير والمكاتل والأطباق من سعف النخل وصناعة الأقواس من شجر النشم وعندهم حرفة النجارة لصناعة الأبواب والنوافذ والأواني المنزلية كما قامت عندهم صناعة التعدين وصياغة الحلي وسك العملات الذهبية والفضية وصناعة المنسوجات والحياكة عند البادية ومنها أيضا الصناعات الغذائية كصناعة الحلويات ومشتقات الألبان

ودباغة الجلود في مكة والطائف حيث تجلب من خراسان وغيرها . كما تحدثت عن النشاط العمراني وبدأته بالحديث عن بناء المساكن وطريقتها والمواد المستخدمة فيها وهي الساج والأخشاب والآجر أو الحجارة والطين أو الحجارة والجص كما تكسى من الداخل بالجص وفي جدة تبنى من الحجارة والطين أو من الحجارة والجص وفيها مساكن من الخوص وأهل الريف يبنون مساكنهم من الخشب والبدو من الشعر كما تفرش بالنمارق والحرير . ثم انتقلت للحديث عن عمارة الحرمين الشريفين وقدمت بما مر عليهما من تجديد وعمران ثم تحدثت عن عناية أهل الإحسان مثل جمال الدين الأصبهاني وأبو النصر الاستراباذي بها وكذا الكعبة المشرفة وما نالته منهم من عناية ورعاية كما تحدثت عن تجديد عمارة بعض المساجد مثل مسجد الخيف بمنى ومسجد عرفة ومسجد التنعيم ومجسد قباء في المدينة وختمت هذا الفصل بالحديث عن الأسوار التي بنيت حول مدن الحجاز مكة والطائف وجدة والمدينة .

أما الفصل الخامس والأخير فكان عن الحياة العامة والمنشآت الاجتماعية وبدأته بالحديث عن العوامل المؤثرة في الحياة العامة وذكرت منها وجود الحرمين الشريفين في أهم مدن الحجاز مكة والمدينة حيث هاجر اليهما الناس من كل أنحاء المعمورة للمجاورة وأثر ذلك على التركيبة السكانية ، ومن العوامل أيضا الوضع السياسي القائم آنذاك حيث بسط الفاطميون نفوذهم على الحجاز ونقلوا اليه بعض مظاهر حياتهم كالأعياد والمناسبات . كما ساهم وجود فئة من العبيد خالطت الناس وتزاوجت معهم إحداث تغيير على أهل مكة في أجناسهم وألوانهم ، ومن العوامل أيضا التي تأثرت بها الحياة العامة الأزمات المتلاحقة وقلة الايرادات المالية ، ثم انتقلت للحديث عن عناصر السكان وبدأته بتعريف بالقبائل العربية القديمة ومواطن سكنها مثل قريش وهوازن وجهينة وغيرهم ثم فصلت العناصر السكانية وهم الأمراء الذين يلون إمرة مكة والمدينة وهم من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعرضت لحالهم وعلاقتهم مع الناس وضربت أمثلة لذلك

ثم تحدثت عن العنصر الثاني وهم سكان البلاد الأصليين بقايا القبائل العربية القديمة الذين لازموا أمكنتهم السابقة فلم يغادروها ولم تؤثر عليهم الهجرة والمتغيرات السياسية والاقتصادية والتي مر بها الحجاز، ضربت لذلك أمثلة حيث توجد بعض بقايا قريش في مكة والطائف وهوازن بالطائف .أما العنصر الثالث فهم مجاوري الحرمين الشريفين وقدمت بالأسس التي اعتمدوها في هذه المجاورة والأفضلية التي ينشدونها واستعرضت حالهم المعيشية والظواهر التي صاحبت استقرارهم قرب الحرمين من قيام الأربطة وتنظيم للصدقات عليهم ثم تحدثت عن العبيد وهم الذين شكلوا ظاهرة متميزة في المجتمع الحجازي آنذاك وكان أمراء الحج يحسبون لهم ألف حساب وتحدثت عن أصل هذه الظاهرة قبل الاسلام استمرارها فيما بعد والطرق الغير مشروعة التي اتبعها بعض الناس في ذلك الوقت للمتاجرة بهم . أما العنصر الأخير فهم الوافدون من المغاربة وغيرهم والذين استقروا في موانئ الحجاز واشتغلوا بالتجارة والزراعة . ثم تحدثت عن الأطعمة وبينت ما كان منها موجود وفي السابق ثم تحدثت عن أنواعها وذكرت منها اللحم والطرق المتبعة في إعداده مثل شيه على النار أو طبخه في الماء . كما ذكرت أنواعا أخرى من الأطعمة وهي الحبوب والفاكهة والخضار وبينت أطعمة أهل البادية واقتصارها على منتجات حيواناتهم وعلى التمور كما عرضت للمياه التي يشرب منها أهل الحجاز سواء أكانت من الآبار والعيون أو الأمطار أما الألبسة فتحدثت عن تأثر سكان الحجاز بالفاطميين بمصر حيث قاعدة دولتهم فيها والمصانع منتشرة عندهم وذكرت الأنواع التي يلبسها أهل الحجاز من الحرير والكتان وأنواعها الداخلي والخارجي وما يتميز به النلس بعضهم عن بعض فملابس الأمير تختلف عن ملابس غيره وكذا ملابس القاضي والخطيب كما ذكرت ملابس الصوفيين وأثر الزهد فيها .

وفصلت بالملابس الداخلية والخارجية والتي منها الجبة والطيلسان كما استعرضت ملابس النساء واختلافها عن ملابس الرجال وتأثر أهل الحجاز بملابس أهل مصر . واستعرضت أنواعها ومنها اللاذه وهي نوع من الحرير والنقز ثم ذكرت ملابس الرأس من المقانع والخمار .

كما عرضت للزينة المتخذه آنذاك وهي تصفيفات شعر الرأس واستعمال الحناء والأصباغ لجمالهن والحلي التي توضع على العنق واليدين والرجلين ، ثم تحدثت عن الأعياد والمناسبات التي تقام في الحجاز فالى جانب عيدي رمضان والأضحى انتشرت عندهم مناسبات كثيرة جلبت لهم من مصر حيث يعتنق الفاطميون المذهب الشيعي فعندهم استقبال أشهر رجب وشعبان ورمضان وإقامة حفلات لموالد النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وتطرقت الى طريقة تلك الاحتفالات .

ثم تحدثت عن الزواج وطريقة أهل الحجاز فيه كما تعرضت الى الصوفيين ومنهجم فيه ثم تحدثت عن الوفيات والجنائز وذكرت حرص كثير من الناس أن ينقل رفاته ليدفن جوار الحرمين الشريفين حيث يوصي ذوى الجاه والمال بذلك وضربت لذلك أمثلة كجمال الدين الأصبهاني والوزير أبو شجاع وغيرهم . كما تحدثت عن طريقة أهل الطائف في تشييع جنائزهم وبينت مخالفتها للسنة . كما عرضت للبدع التي نشأت على القبور وما ينصب عليها . ثم انتقلت للحديث عن المجالس الاجتماعية المنتشرة في تلك الفترة ومنها مجالس العلم ومجالس الأدب ومجالس المنادرة والمفاكهة وتحدثت عن مجالس العلم وذلك باستعراض عدد من العلماء البارزين في تلك الفترة ووصف

مجالسهم فمنها ما يكون للتفسير ومنها ما يكون للحديث ومنها ما يكون للفقه . كما عرفت لمجالس الصوفية التي انتشرت في تلك الفترة وبينت طريقتهم ومناهجهم والرد عليها . ثم عرفت لتجمعات الصبيان وألعابهم . وبعد ذلك عرفت للمنشات الاجتماعية والتي من أهمها الأربطة التي انتشرت في تلك الفترة سواء ما كان منها في مكة أو المدينة وتحدثت عن نشأتها ومجال الاستفادة منها . ثم عرفت للمنشآت الاجتماعية الأخرى كالفنادق التي تؤي المسافرين في المدن وعلى الطرق وأماكن الوضوء والحمامات العامة التي يستفيد منها الناس وكذا الآبار والأحواض والعيون والصهاريج وعرفت بنشأتها و مجال الاستفادة منها .

وختمت هذا البحث بخاتمة بينت فيها النتائج التي توصلت إليها ومن أهمها عدم كفاية المحاصيل الزراعية لسكان الحجاز ودور محبي الخير في صيانة المنشآت العامة وبنائها وأثر الاستقرار السياسي على ازدهار التجارة وأثر الفاطميين على حياة الناس العامة . ثم اتبعته بملاحق لكل من ناصر خسرو وابن جبير والادريسي وخرائط متنوعة .

والله أسأل التوفيق والرشاد ،،، ،،، ،،،

المقدمـــــــــــة

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد:

فان الحجاز من أهم أقاليم الدولة الاسلامية حيث تهفو اليه القلوب والافئدة لأنه مهبط الوحى ،وموطن الرسالة ،فيه شع نورها الذى أضاء لأهل الأرض طريقهم على يد حامله (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وحين قامت الدولة الاسلامية اختار لها المصطفى صلى الله عليه وسلم أحد مدن الحجاز (المدينة المنورة) لتكون مركزا لها ،ومنها كانت تنطلق الجيوش الاسلامية لتهدى الناس الى الخير وتزيل عنهم القوى الجاهلية التى تحكمهم.

وبقيت الحجاز على هذا الوضع فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم حتى جاء الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه ،ونتيجة للمتغيرات التى مرت على الدولة الاسلامية نقل مركز الخلافة الى مدينة الكوفة فى العراق وبهذا الانتقال فقدت الحجاز مركزها السياسى وبقى مركزها الدينى والثقافى على ما كان عليه حيث المسجد الحرام قبلة المسلمين والمسجد النبوى يؤمها الناس من كافة بقاع المعمورة.

وفى عهد الأمويين والعباسيين قامت ثورات عديدة تريد إعادة الحجاز الى مكانتها السياسية السابقة ولكنها فشلت ، ومع الضعف الذى دب على الخلافة العباسية استقل بعض الاقاليم عنها فاستقل بنو الاخشيد بمصر واستطاعوا ضم الحجاز الى دولتهم وحينما ضعف سلطان الاخشيديين استقل الاشراف بالحجاز ولكنهم لم يهنأوا

بذلك حيث انتقل الفاطميون الى مصر ومدوا نفوذهم للحجاز فاصبح خاضعه لهم والحقيقة أن الحياة السياسية لم تستقر في بلاد الحجاز وذلك لوجود قوى سياسية متنافسة في العالم الاسلامي وكلها ترغب في ضمه اليها لما يمثله ذلك من دعم سياسي وديني ،وأصبح الحجاز يتبع للفاطميين حينا وللعباسيين حينا آخر ويستقل به أمراء الأشراف حسب قوتهم ، وذلك حسب المتغيرات الاقتصادية والسياسية التي يمر بها بين وقت وآخر .

وموضوع هذه الدراسه هو الحياة الاقتصادية والأجتماعية في بلاد الحجاز في الفتره من (٤٠٢ - ٥٥٧ هـ) وتبدأ هذه الفتره باعلان أبى الفتوح نفسه خليفة في الحجاز سنة ٤٠٢هـ وتنتهى بنهاية النفوذ الفاطمى على بلاد الحجاز سنة ٥٥٧هـ .

أما الدراسات السابقه لهذا الموضوع فى الجانب الأقتصادى والأجتماعي فممن كتب فيه الدكتور عبد الله السيف حيث كانت رسالته عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد نجد والحجاز الى نهاية الدولة الأموية والدارسة أبتسام آل سويلم كانت رسالتها عن الحياة الأجتماعية والأقتصادية فى بلاد الحجاز من بداية الدولة العباسية وحتى منتصف القرن الرابع الهجرى .

كما كتب الأستاذ عبد الله بن ادريس عن (المجتمع المدنى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم) وكتبت نوره آل الشيخ رسالة ماجستير عن الحياة الأجتماعية فى المدينة فى عصر الراشدين .

أما رسالة الماجستير للزيلعى فكانت عن مكة وعلاقاتها الخارجية فى الفتره من ٣٠١ الى ٤٨٧ هـ حيث ركزها على الجانب السياسى والدينى وأشار فيها الى التجارة الخارجية لمكة فى تلك الفترة .

والواقع ان غالب الدراسات التى تناولت تاريخ الحجاز فى الفترة موضوع البحث تنصب على الجانب السياسى بينما تركت حياة الناس العامة والمتمثلة فى الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافيه رغم ماتمثله من أهمية ،ومن هنا وقع اختيارى على هذا الموضوع (الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى بلاد الحجاز في الفترة من (٤٠٢ – ٥٥٧ هـ) .

وقد شهد الحجاز فى تلك الفترة متغيرات كثيرة فأحيانا يستقل به الاشراف وأحيانا يخضع لقوى خارجية فتارة يخضع للعباسيين فى بغداد وتارة أخرى يخضع للفاطميين فى مصر.

وتأثرت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية كثيرا بهذه الاحداث السياسية ولم تجر على نسق واحد ولهذا نجدها متذبذبة تزدهر احيانا وتضعف احيانا أخرى .

ودخل الحجاز نتيجه خضوعه لهذه القوى السياسية تأثيرات كثيرة فى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ،فاستفاد بما قام به بعض الوزراء ومحبى الخير من اصلاحات وتعمير وانتقلت اليه كثيرا من البدع والعادات الشيعية التى احدثها الفاطميون كما ساعدت اعاناتهم الماليه على تسيير اموره وتخفيف آلام جوع الناس فيه ، وحرصت فى هذا البحث على أن أوضح الجوانب المختلفه للحياة الاقتصادية من زراعة ورعى وتجارة وعملات نقدية ومنشآت تجاريه وكذلك جوانب الحياة الاجتماعيه من حرف ومهن مختلفه وعمران وتعريف بالسكان ووصف كامل لحياة الناس العامه فى مطعمهم ومشربهم وملبسهم وافراحهم واتراحهم ومنشآتهم الاجتماعية .

وحاولت قدر جهدى أن أتبع المنهج العلمى فى دراسة هذه الاحداث وتحليلهـــا والخروج منها بالنتائج المرجوه معتمداً فى ذلك على المصادر المعاصرة للاحـــــداث قدر الامكـــان .

وقد واجهتنى صعوبات كثيرة اثناء كتابة هذا البحث ،تمثلت فى ندرة المــادة العلمية وتناثرها فى بطون الكتب بحيث لايجمعها موضوع معين يمكن للباحث الوصــول اليه بسهولة ،بل اضطر الى قراءة كتب كاملة لاستنباط معلومة بسيطة او اشـــارة يمكن ان تكون لها دلالات أقتصادية أو أجتماعية .

أما خطة البحث فتشتمل على تمهيد خمسة فصول :

اما التمهيد فقد استعرضت فيه الآراء عن ملامح حدود الحجاز الجغرافيـــــة والخلاف الذى وقع حوله وبعد استعراض الآراء بينت الحدود التى ستكون موضـــــوع حديثـــــى .

كما تحدثت عن الحالة السياسية وبدأتها بعهد ابى الفتوح سنه ٤٠٢هـ وانهيتهـا بوفاة قاسم بن فليته سنه ٥٥٧هـ .

أما الفصل الأول فيتناول جانبان من الحياة الأقتصادية هما الزراعة والرعـــى وأوضحت فيه العوامل المساعدة على الزراعـــة ومصادر المياه والمحاصيل الزراعيـــة وتسويقها ثم تحدثت عن العوامل التى تحد من الزراعـة وفى الرعى عددت العوامـــل المساعدة على الرعى وانواع الحيوانات واستخداماتهـــا والعوائق التى كان لهـــا الاثر فى الحد من هذا النشاط .

الفصل الثانى:

ويتناول جانبا آخر من الحياة الأقتصادية هو التجارة ويتضمن العوامل المساعدة على ازدهارها والطرق التجارية البرية التى تربط مدن الحجاز أو تربطه بالاقاليم والبلاد الأخرى كما شمل الحديث وسائل الانتقال البرية والمحطات التجارية البرية مكة والمدينة والطائف والطرق البحرية والسفن المستخدمة فيها والمحطات التجارية البحرية مثل جده والسرين وعيذاب والسلع التجارية المتبادلة بين الحجاز وبين اقاليم العالم الأخرى والطوائف التى كانت تعمل فى التجارة، وكانت الخاتمة بالعوائق التى حدت من النشاط التجارى.

الفصل الثالث :

وهو مخصص للنظم التجارية والمعاملات وشمل وصفا للأسواق التجارية فى مدن الحجاز والعملات المتداولة والمكاييل والموازيين المستخدمة والاسعار السائدة آنذاك والايرادات والمصروفات الماليه لبلاد الحجاز، والأزمات التى مر بها.

الفصل الرابع:

عن الحرف والنشاط العمرانى وتحدثت فيه عن صناعة الأخشاب والمعادن والصناعات الغذائية ودباغةالجلود والمهن الاجتماعية السائدة آنذاك .

كما تحدثت عن بناء المساكن وطريقة تخطيطها وتنظيمها والتجديدات التى مرت على الحرمين الشريفين ، والمساجد الاخرى فى الحجاز والأسوار التى شيدت حول المدن.

الفصل الخامس:

ويتناول الحياة العامه وبدأته بذكر العوامل المؤثرة فى الحياة العامة وعناصر السكان التى يتشكل منها المجتمع الحجازى آنذاك كما تحدثت عن الأطعمة والألبسة والأعياد والمواسم والمجالس الاجتماعية ومجالس التسلية والألعاب والمنشآت الاجتماعية والأربطة والفنادق والحمامات والآبار والأحواض وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التى توصلت اليها.

أما المصادر التى اعتمدت عليها فهى كثيرة ومتنوعة وسأعرض لبعضها.

أ- كتب التاريخ المحلى ومنها :-

١) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، لمؤلفه تقى الدين محمد بن أحمد الحسن الفاسى المكى (٧٧٥- ٨٣٢) هـ ،والذى تعرض لتاريخ مكه من خلال التراجم لأعلامها ،وقد أفادنى فى بعض عناصر الحياة الأجتماعية لاسيما فى المجالس الاجتماعية حيث يوردها اثناء الحديث عن العلماء الذين يترجم عنهم فى هذه الفترة .

٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ،لتقى الدين الفاسى والذى عرض فيه لتاريخ مكة منذ القدم وحتى وفاته ،وقد استفدت منه فى عموم فصول الرسالة وبالأخص بذكره للأربطة التى أقيمت فى مكة والتى حدد بداية اقامتها ومجال الاستفادة منها.

٣) اتحاف الورى فى أخبار أم القرى لمؤلفه عمر بن محمد بن محمد الهاشمى المكى ،المعروف بابن فهد(٨٢٠ - ٨٨٥)هـ قد سجل فى كتابه هذا أحداث مكة على السنين ،فلم شتاتها وجمع متفرقها ،حيث يذكر السنة ثم يتبعها بذكر الأحداث التى وقعت فيها ،وقد استفدت منه فى تحديد ملامح الحياة الأقتضادية فى مكة وما حولها من القرى والأرياف بالاضافة الى ذكره لبعض الصور الاجتماعية فيها.

٤) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ،لمؤلفه نور الدين على بن احمد السمهودى ت(٩١١هـ) وقد تحدث عن تاريخ المدينة منذ القدم ،مبينا أحداثها التاريخية وأحوالها العمرانية وجغرافيتها ،وقد استفدت منه فيما يخص المدينة المنورة فى الزراعة ،وأحوالها الأقتصادية والاجتماعية.

ب ـ كتب التاريخ العام :

١) الكامل فى التاريخ لمؤلفه أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ ـ والذى يورد الأحداث التاريخية مرتبة على السنين وكثيرا مايرد ضمنها مايمس الحياة الأجتماعية والأقتصادية كما أنه يذكر فى بعض الاحيان مايرى أنه يستحق الذكر عن مكة والمدينة ،وقد استفدت منه فى ذلك .

٢) البداية والنهاية لمؤلفه أبى الفدا الحافظ بن كثير ت ٧٧٤هـ ،والذى يذكر الأحداث التاريخية حسب السنين ويترجم لبعض الشخصيات التى يوافق وفاتها السنة التى يتحدث عنها ،وقد استفدت منه بعض التراجم التى يوردها فى عرضه لأعمالهم ،سواء مايخص منها المجال العمرانى أو المجالس العلمية لهم ،بالأضافة الى ذكره لبعض الأحداث السياسية التى يستفاد منها فى تعليل بعض المواقف .

كتب الرحلات :

١) رحلة ناصر خسرو المسماه (سفرنامه) والتى ترجمها يحيى الخشاب وتعتبر من أهم الرحلات التى استفدت منها حيث أنها معاصرة لفترة البحث فقد كانت زيارته للحجاز سنه ٤٣١هـ ،وسنة ٤٤٤هـ) ووصف فيها طريق الحجاز البرى والبحرى الى مصر ـ كما وصف مكة والمدينة وجدة وصور الحياة الاقتصادية والأجتماعية للحجاز فى تلك الفترة وأشار الى اعانات الفاطميين لحكام الحجاز وقد استفدت منه فى عموم الرسالة .

٢) رحلة ابن جبير المسماة (تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار) لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (٥٣٩ـ ٦١٤هـ) وقد جعل بلاد الحجاز من مقاصد رحلته فوصلها في سنة ٥٨٨هـ فوصف فيها أصول الناس وأنسابهم ومعاشهم وتجارتهم ومزارعهم ،وعمرانهم ،وخص بذلك الحرمين الشريفين كما وصف أفراح الناس وأتراحهم ،وقد استفدت منه في عموم فصول الرسالة .

٣) تاريخ المستبصر لجمال الدين يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور (ت ٦٢٦ هـ) وقد وصف فيه سكان مكة من حيث أصولهم وألوانهن وملابسهم كما أشار في بعض مواضع من كتابه الى الزراعة والصناعة في الحجاز والى بعض النظم والمنشآت الاقتصادية ،وقد استفدت منه في عموم فصول الرسالة .

٤) رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الأسفار) لابي عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي (٧٠٤ - ٧٧١هـ) والذي زار الحجاز ضمن البلاد التي مر عليها ومع أنه متأخر في رحلته عن فترة البحث الا أنه من خلال وصفه ومشاهداته للحرمين الشريفين وكتابته عن أحوال الناس وبالذات مظاهر حياتهم اليومية ومناسباتهم بين استمرار بعضها لفترات طويلة دون اندثار،وقد استفدت منه في وصفه لبعض البلدان التي كان لها اتصال تجاري مع الحجاز وبالذات بلاد المشرق .

كما أن هناك رحلات أخرى منها رحلة العبدري ،والعياشي ،وعبدالسلام الدرعي وغيرهم وقد افادتني في بعض جوانب البحث .

أما كتب الجغرافيا والبلدان فمنها:

١) كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لمؤلفه ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن عبدالله الحربى (١٩٧- ٢٧٤هـ) وقد وصف فيه طرق الحجاج التى يسيرون عليها داخل الجزيرة العربية وخارجها الى مكة والمدينة وقد أفادنى بتعريفه للأماكن التى تقع على تلك الطرق لاسيما فى ذكره لمياهها ومزارعها ومعالمها التى تشتهر بها من مساجد ومنشآت اجتماعية.

٢) كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم لمؤلفه محمد بن احمد المقدسى المعروف بالنيسابورى ت ٣٨٠هـ. وقد وصف فيه بلاد الحجاز كغيرها من الأقاليم الأخرى، فذكر الطرق البرية التى تربط بعض بلدانه بالأخرى، ووصف أحوال الناس وطرق تعاملهم، وتجارتهم، وهو ما استفدت منه.

٣) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق لأبى عبدالله بن محمد بن عبدالله بن ادريس الشريف ويكنى بالشريف الادريسى (٤٩٣ - ٥٦٠هـ) وقد وصف فيه مدن الحجاز والبلدان التى تقع على الطرق الموصلة اليها فيذكر أحوال الناس ومعاشهم وتجارتهم وصناعتهم ونشاطهم اليومى، وقد استفدت منه فى عموم فصول الرسالة.

٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لمؤلفه أحمد بن على بن عبدالقادر بن محمد بن ابراهيم الشيخ تقى الدين المقريزى (٧٦٦ - ٨٤٥) هـ والذى وصف فيه أحوال مصر فى عهد الفاطميين كوصفه للمنشآت التجارية، وذكره لأحوالهم الاجتماعية ومظاهر حياتهم اليومية وهو ما استفدته فى الجانب الاجتماعى لهذا البحث.

وهناك غير هذه الكتب الكثير، أمثال المغانم المطابة للفيروز ابادى وصورة الأرض لابن حوقل وبلاد العرب للأصفهانى ،وأخبار العباد وآثار البلاد للقزوينى وغيرها كثير ، كما ان هناك بعض المراجع الحديثة التى افادتنى فى هذا البحث ومنها التزيق والحلى فى العصر العباسى لمؤلفته زكيه العلى والنشاط التجارى فى جزيرة العرب لمؤلفه على بن حسين السليمان وتاريخ مكة لمؤلفه احمد السباعى وكتاب التصوف لاحسان الهى ظهير .

وفى الختام أشكر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ممثلة فى كلية العلوم الاجتماعية على اتاحتها لى هذه الفرصة بكتابة هذا البحث .

كما أشكر الدكتور عبدالعزيز بن راشد العبيدى على مابذله لى من نصح وتوجيه فقد كان نعم الموجه والمعين ،فلم يبخل علىّ بشيىء من وقته وجهده .

تمهيـــــد

١- الحدود الجغرافية لبلاد الحجاز .

٢- نبذة عن الحياة السياسيـــة .

تمهيـــــد :

١ - حدود الحجـــاز :

الحجاز أحد أقسام شبه الجزيرة العربية وموقعه معروف ولكن حدوده منذ القـــدم غير واضحة وذلك أن سكان الجزيرة بشكل عام مجموعة من القبائل التي لا تستقر فـــي منطقة واضحة الحدود ، وفيه المدن مثل مكة والمدينة والتي تضم لنفسها أقاليم أخرى ، وهذه التقسيمات غير ثابتة ولا متطابقة مع الأقسام الجغرافية ، وبعد ظهور الاسلام أصبح الحجاز كغيره من أقاليم الجزيرة العربية التي شملتها الدولة الاسلامية ، وقد أوجـــد المسلمون تقسيمات ادارية تتلاءم مع الظروف والأحوال التي يواجهونها ولم يراعوا فـــي ذلك التقسيمات الجغرافية ، وبقي الحال على وضعه في العصر الراشد ، والأموي فوالـــي مكة غير والي المدينة وكذا الطائف وتمتد حدودها في بعض الأحيان لتصل الى العـــراق وبلاد نجـــد (١) .

وأقدم من حدد الحجاز عبدالله بن عباس رضي الله عنه فنقل عنه أن الحجاز جبـــل السراة الذي يمتد من حدود اليمن الى بلاد الشام ويفصل بين تهامة وبين نجد (٢) ، أمـــا الحربي فقد حدد الحجاز من الشمال بفلسطين وتبوك (٣) ، ومن الشرق بالربذة (٤) وبطن نخل ، ومن الغرب بالعرج (٥) ، ومن الجنوب بيلملم (٦) ، فلم (٧) يدخل في هذا التحديد إلا أجزاء قليلة من الحجاز ولكنه أدخل أجزاءا من نجد .

---

(١) صالح العلي . تحديد الحجاز عند المتقدمين ، ص ٢٨ . مجلة العرب، العدد الأول، السنة الثالثة . ١٣٨٨هـ .

(٢) الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٥ ، تحقيق محمد الأكوع ، نشر دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٦هـ .

(٣) تبوك : بالفتح ثم الضم مدينة شمال الجزيرة .

(٤) الربذة : بفتح أوله وثانيه من قرى المدينة على ثلاثة أيام منها قريبة من ذات عرق . على طريق الحجاز إذا دخلت من نجد تريد مكة (وبها قبر أبي ذر ، رضي الله عنه) . (ياقوت معجم البلدان،جـ ٣ ، ص ٢٤، دار إحياء التراث،بيروت) .

(٥) العرج : بفتح أوله وسكون ثانيه قرية في وادي من نواحي الطائف (ياقوت. المصدر السابق ، ص ٩٨) .

(٦) يلملم : على بعد ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن (ياقـــوت . المصـــــدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٤٤) .

(٧) المناسك ، ص ٥٣٣ . نشر اليمامة . الرياض ١٤٠١هـ .

وفي تحديد آخر له يقول عن الحجاز (بأنه جبل السراة وما احتجز به في شرقيه من الجبال ، وانحاز الى ناحية فيد[١] ، والجبلين[٢] الى المدينة ، ومن بلاد مذجح تثليث[٣] وما دونها الى ناحية فيد ، فذلك كله حجاز[٤]) وتحديده هذا يناقضه ما ذكره في معرض آخر أن كلا من بيشة[٥] وتبالة[٦] ، ورنية[٧] من أعراض نجد[٨] .

أما الهمداني فقال بأن الحجاز جبل السراة وقال أيضا أن الحجاز هو ما حجز بين اليمن والشام وذكر في موضع آخر ما يوضح ذلك وهو أن نهاية الحجاز من الشمال المنطقة الواقعة بين خيبر[٩] وذي المروة[١٠] وحدة من الجنوب وتثليث وما حولها[١١].

---

(١) فيد : بليدة في نصف طريق الكوفة مكة يودع الحجاج أزوادهم وما يثقلهم (ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٨٢) .

(٢) الجبلين : هما جبل طيء أجاو سلمي (ياقوت معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٠٢) .

(٣) تثليث : واد عظيم لا يزال معروفا جنوب عسير (الحربي المناسك ، ص ٦٤٨ حاشية ٨) .

(٤) المناسك ، ص ٥٣٣ .

(٥) بيشة مدينة معروفة في جنوب الجزيرة .

(٦) تبالة لا تزال معروفة .

(٧) رنية : بلدة لا تزال معروفة قرب الطائف .

(٨) الوهيبي : الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، ص ٥٩ .

(٩) خيبر : على ثلاثة أيام من المدينة وهي مشتملة على حصون ومزارع وهي البلد المعروفة اليوم . (الفيروزأبادي . المغانم المطابه في معالم طابه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ . دار اليمامة ، الرياض ١٣٧٩هـ) .

(١٠) ذي المروة .. قرية بوادي القرى ، وقيل بين خشب ووادي القرى (ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧٦) .

(١١) الوهيبي : الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، ص ٦١ .

وللأصمعي روايات كثيرة في تحديد الحجاز ومنها أن ما أحاطت به الحرار ، حرة شوران[١] ، وحرة ليلى[٢] ، وحرة واقم[٣] ، وحرة النار[٤] ، وعامة منازل بني سليم الى المدينة[٥] ، وهو بهذا حصر الحجاز بالمناطق المحيطة بالمدينة بينما ترك غالب أرضه الممتدة من الشمال الى الجنوب، وذكر البكري نقلا عن ابن الكلبي أن الحجاز يحد من الشرق بالجبلين ومن الغرب بتهامه ومن الجنوب باليمن[٦] ، وهذا التحديد قريب من الواقع ويحتاج الى تكملة الحد الشمالي ، وذكر الأسماء في الحد الجنوبي بدلا من العمومية فيها .

أما عرام السلمي فقد حدد الحجاز بأنه مابين المدينة ومعدن[٧] النقرة[٨] وهو بهذا يوضح حده الشرقي والغربي ولا يمكن التسليم له بذلك في هذه الجهة حيث الحجاز أشمل من ذلك شرقا وغربا كما أنه لم يوضح حده الشمالي والجنوبي .

---

(١) حرة شوران بفتح الشين وسكون الواو جبل على يسار الذاهب الى مكة وهو في بطن العقيق . (ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧) .

(٢) حرة ليلى : وراء وادي القرى من جهة المدينة . (ياقوت . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨) .

(٣) حرة واقم : إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية . (ياقوت . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩) .

(٤) حرة النار : قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . (ياقوت . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٨) .

(٥) السمهودي . وفاء الوفاء ، جـ ص ١١٨٢ . بيروت ، ط ١٤٠١هـ .

(٦) معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ١١ . نشر عالم الكتب ، بيروت .

(٧) معدن النقرة : بكسر القاف وهي من منازل حجاج الكوفة . (الحربي . المناسك ، ص ٣٢٢ حاشية ٣) .

(٨) أسماء جبال تهامة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

ومنهم من يذكر مدنا يجعلها هي الحجاز فالأسدي يصف الحجاز بأنه المدينة وخيبر وفدك[١] وذي المروة ودار أبلى ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ودار بعض بني بكر بن معاوية ودار بعض هوازن وجل سليم[٢] وجل هلال، وهو بهذا حصر الحجاز بما حول المدينة والطائف وجعل مكة هي حد الحجاز الجنوبي وأهمل باقي مساحته .

والشافعي يرى أن بلاد الحجاز هي مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها[٣] وهو بهذا قصر الحجاز على بعض مدينه مكة والمدينة وما حولها وأغفل ذكر الباقي منه ، كما أنه أدخل اليمامة في حدوده وهي من نجد .

وتأثر الجغرافيون القدامى بمن سبقهم في تحديد الحجاز فهذا ابن حوقل يحدد الحجاز جنوبا بالسرين[٤] وشمالا بالحجر[٥] ومدين وشرقا باليمامة وجبلي طي[٦]، وهو بهذا أقرب الى الواقع من غيره مع أنه قصر في التحديد شمالات وجنوبا وأهمل الجهة الغربية .

والزمخشري يحدد الحجاز شمالا بالحجر وهي تفصل بين الحجاز والشام أما من الشرق فقال (من رأى حضنا فقد أنجد) أي من اتجه الى الغرب حتى يخفي عنه جبل حضن فقد دخل في الحجاز ويجعل حلى[٧] حد الحجاز الجنوبي عن اليمن[٨]. ولعله بهذا التحديد يعتبر أقرب من غيره الى الواقع .

---

(١) فدك : بالتحريك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يوما وقيل ثلاثة . (ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٤٨) .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ١١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٤) السرين . يراجع ، ص ٨٧ من هذا البحث .

(٥) الحجر . اسم ديار تحدد بوادي القرى بين المدينة والشام . (ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٢١) .

(٦) صورة الأرض ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، مكتبة الحياة ببيروت .

(٧) حلى . مدينة صغيرة ميناء من جاء من اليمن بينها وبينه عشر خمسة أيام . (الادريسي . نزهة المشتاق ، ص ٢ ، ص ١٣٨ ، نابولي إيطاليا) .

(٨) الأمكنة والجبال ، ص ٤٧ ، من ٤٨ ، ٨٣ .

أما المحدثون فمنهم من استنتج من النصوص أن الحجاز هو الحد الفاصل بين تهامة وهي السهول الممتدة على ساحل البحر الأحمر وبين هضبة نجد التي تنحدر تدريجيا من الغرب الى الشرق وأن الاختلاف الذي وقع بين القدامى إنما هو بذكر الأماكن التي تقع على أطرافه الشرقية والغربية[١]، ومنهم من استقر رأيه على أن حدود الحجاز تحكمها جبال السراة،والأجزاء الخارجة عن هذا الجبل لا تسمى حجازا ، الا إذا صرف التحديد الى الجوانب الادارية والسياسية[٢].

ومنهم من يرى أن تحديد الحجاز بجبال السروات ليس دقيقا فما كان في طرفها الشمالي والجنوبي ليس حجازا بل الحجاز هو ما يقع وسط هذه السلسلة ، ويرون أن الحجاز هو المنطقة الممتدة من خط عرض ٢٠ شمالا الى خط ٢٩ درجة شمالا[٣].

ومما سبق يتضح الخلاف بين القدامى والمحدثين في الاتفاق على حدود واضحة للحجاز ، ولهذا سيكون حديثي عن الحجاز في هذا البحث في المنطقة المحصورة بين تبوك شمالا وحلى جنوبا والبحر الأحمر غربا وهضبة نجد شرقا .

---

(١) العلي . تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العربي - الجزء الأول ، السنة الثانية رجب عام ١٣٨٨هـ .

(٢) الوهيبي ، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، ص ٦٨ .

(٣) السيف . الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الحجاز ونجد في العصر الأموي ص ٢٦، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣هـ .

الحالـــة السياسيـــة :

أما عن الحالة السياسية ففي هذه الفترة برز التنافس واضحا بين العباسيين والفاطميين لغرض مد نفوذهم على بلاد الحجاز وما ذلك الا لمكانة الحجاز في نفوس المسلمين جميعا لوجود الحرمين الشريفين فيهما .

ولذلك كانت الحالة السياسية في الحجاز في هذه الفترة تتمثل بالولاء تارة للعباسيين وتارة للفاطميين وتارة بالاستقلال عنهما ، وأول من أعلن الاستقلال الحسن بن جعفر وكانت إمرته على مكة سنة ٣٨٤ هـ بعد وفاة أخيه عيسى بن جعفر ودان في بداية عهده بالولاء للفاطميين وكان أبناء عمه في المدينة على هذه الحالة غير أن أبا الفتوح لم يلبث في سنة ٤٠٢هـ أن أعلن استقلاله عن الفاطميين وادعى أنه خليفة على الحجاز ولم يكفه ذلك بل عمد الى تجهيز جيش سار به الى الشام حتى وصل الرملة (١) واستقبله جوه الناس هناك ودانوا له بالولاء وأصبح مهيمنا على بلاد الشام وخطب له على المنابر (٢) فلما وصل الخبر الى الحاكم الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ) انزعج لهذا العمل وكتب الى ابن عم أبي الفتوح بولاية الحرمين وبعث له مالا كما استدرج آل مفرج أتباع أبي الفتوح حتى استمالهم الى صفه فلما رأى أبو الفتوح ذلك رجع الى آل مفرج وطلب منهم التوسط لدى الحاكم ففعلوا ذلك وقبله الحاكم فرجع أبوالفتوح الى مكة واليا عليها من قبل الفاطميين (٣) واستطاع أبوالفتوح أن يمد نفوذه الى مدينة حلى (٤) قرب اليمن وكان يناصف أمير تهامة المكوس التي تؤخذ على البضائع التي تمر بهذا الميناء (٥) .

---

(١) الرمله مدينة عظيمة بفلسطين (ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٦٩) .

(٢) الفاسي . المقنع من أخبار الملوك . ورقة ٨ مخطوط . ميكروفلم مركز البحث العلمي بمكة رقم ٨٢٩/تاريخ .

(٣) ابن فهد . إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ مكة المكرمة ١٤٠٤هـ .

(٤) حلى . مدينة في تهامة قرب اليمن على ساحل البحر الأحمر (الادريسي . نزهة المشتاق ، ق ١ ، ص ١٣٨) ط ليدن .

(٥) ابن فهد . إتحاف الورى جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

وكان الحجاج طيلة فترة حكمه يلاقون أشد العنت من عدم ضمان أمنهم في الطرق الموصلة الى مكة لتسلط الأعراب عليهم بالقتل والنهب[١] .

وقد استمر حاكما على مكة حتى وفاته سنة ٤٣٠[٢] .

ثم ولى إمرة مكة ابنه شكر بن أبي الفتوح وحارب أهل المدينة واستطاع أن يجعل الحرمين تحت إمرته وقد عاشت الحجاز في فترة حكمه ما بين رخاء ورغد في العيش حينا وقلة في المواد أحيانا أخرى وتوفى سنة ٤٣٠ هـ . وخلفه عبد له حيث لم ينجب له ولد[٣] .

وفي سنة ٤٥٥ هـ وفد الى مكة أمير اليمن علي بن محمد الصليحي[٤] وملكها وعمل فيها إصلاحات فأحبه الناس بسببها ثم خرج منها وأمر فيها محمد بن جعفر بن أبي هاشم والذي وقعت بينه وبين ابني عمه حرب خرج بسببها من مكة الى طريق اليمن فقطعه عنها وساعده الصليحي بأن منع الحج من اليمن فتضرر أهل مكة بسبب ذلك[٥] ثم استطاع الدخول اليها وبسبب ما أصاب مصر من القحط والشدة انقطع ما يصل الى الحجاز منهم فما كان من محمد بن أبي هاشم في سنة ٤٦٢هـ إلا أن أعاد الخطبة لبني العباس بعد انقطاع دام مائة سنة تقريبا[٦] حيث صرف له السلطان ألب أرسلان ثلاثين ألف دينار

---

(١) ابن فهد . إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٤٥٨ .
محمد خفاجي بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي ، ص ٧١ ط الأولى المطبعة الفاروقية .

(٢) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ .

(٣) الفاسي . المقنع ورقة ٨ . القلقشندي تأثر الأنافة في معالم الخلافة ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ ، تحقيق عبدالقادر فراج ، ط عالم الكتب ، بيروت .

(٤) علي بن محمد كان أبوه قاضيا في اليمن والحقه بأحد المشايخ فلقنه الباطنية وأصبح من دعاتها وكان يرأس الحج اليمني فجمع لديه أنصار وأسس دولته في اليمن سنة ٤٥٣هـ وقامت عليه ثورة أثناء حجه سنة ٤٧٣هـ وقتل فيها (الفاسي . العقد الثمين ، جـ ٦ ، ص (٢٤١ - ٢٤٤) .

(٥) الفاسي . العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٤٤٠ ، بيروت ١٤٠٦هـ . عبدالمنعم ماجد . ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها بمصر ، ص ٢٢٥ ، القاهرة .

(٦) الذهبي . العبر في خبر من غبر ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ ، بيروت ١٤٠٥هـ .

وخلعا نفيسه وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وحث أمير المدينة على الطاعة لبني العباس مقابل عشرين ألف دينار وفي كل سنة خمسة آلاف دينار[١]، لكن المستنصر الفاطمي ما لبث أن بذل مساعيه لاعادة الخطبة له في الحرمين فاستجاب محمد بن أبي هاشم لها وقطع الخطبة عن العباسيين وذلك في عام ٤٦٧هـ[٢]، ولقد عرف عنه التلون في الولاء حسب مصالحه فتارة يخطب للعباسيين وتارة للفاطميين كما كان ينهب الحجاج ويؤذيهم ، وفي سنة ٤٨٤هـ دخل التركمان الذين أرسلهم ألب أرسلان للاستيلاء على الحجاز واليمن فهرب منها محد بن أبي هاشم الى بغداد[٣] ثم عاد وبقي الى سنة ٤٧٨هـ حيث كانت وفاته ، فخلفه ابنه قاسم وقد ساءت علاقته بالفاطميين حين أقدم في سنة ٥١٢هـ على مهاجمة مراكب التجار في ميناء عيذاب ونهب ما فيها فرد الفاطميون بأن منعوا الحج من مصر وقطعوا الميرة التي كانوا يبعثونها الى الحجاز فأثر ذلك على الأوضاع الاقتصادية مما جعل الأشراف يلومون صاحبهم على فعلته ويطلبون منه الاعتذار ورد ما سلب فاستجاب لذلك وعادت الأمور الى مجراها الطبيعي مع الفاطميين[٤] وانتهت إمارته بوفاته سنة ٥١٧هـ فخلفه ابنه فليته وكان حسن السياسة والتعامل مع النلس وأسقط

---

(١) الكامل ابن الأثير ، جـ ٨ ، ص ١٠٨ ، بيروت ١٣٩٨هـ .

(٢) ابن فهد . إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

(٣) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٨٥ .

(٤) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، المقدسي . الروضتين في أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .

المكوس وسعد الجميع في عهده حتى وفاته سنة ٥٢٧هـ[١] ثم ولى من بعده ابنه هاشم وكان يختلف مع أمراء الحج بسبب اعتدائه عليهم وبقي أميرا حتى وفاته سنة ٥٥١هـ حيث خلفه ابنه قاسم[٢] ، وهو الذي أرسل عمارة[٣] اليمني الى الفاطميين ليجدد لهم الولاء والطاعة[٤] وكانت سيرته غير حسنة فقد آذى الناس في مكة ونهب أموالهم وفر من مكة بعد أن ساند العباسيون عمه عيسى فجمع فلول بعض القبائل وهاجم مكة ودخلها وأقام بها أميرا ولكن جنوده لما أحسوا منه سوء النية والسيرة راسلوا عمه فقدم اليها مستجيبا لطلبهم ففر قاسم من وجهه وسقط عن فرسه ومات سنة ٥٥٧هـ[٥] . وبقي عيسى أميرا حتى وفاته سنة ٥٧٠هـ[٦] .

---

(١) السنجاري . منايح الكرم ورقة ٤٥٥ . مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم ٣١ .

(٢) ابن فهد . إتحاف الورى ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، ٥١١ ، ١٥١ .

(٣) عماره اليمني شاعر بليغ فصيح له ديوان شعر ومصنفات أخرى كان يوالي الفاطميين فمدح وزرائهم وأمرائهم واتهم بالكفر والزندقة فقتله صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩هـ (ابن كثير . البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٧٦) .

(٤) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١٧ .

(٥) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٦) ابن فهد . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ . عبدالعزيز بن عمر بن فهد . غاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام ، جـ ص ٥٣٢ ، تحقيق فهيم شلتوت ، نشر مركز البحث العلمي بمكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

الفصـــــل الأول

أ ـ الزراعـــــة :

مصادر المياه .

العوامل المساعدة على الزراعة .

المحاصيـل الزراعيـــــــة .

التسويق الزراعـــــــــى .

العوائق التى حدت من الزراعـة .

ب ـ الرعـــــــى :ـ

العوامل التى ساعدت على الرعى .

أنواع الحيوانات الموجودة واستخداماتها .

العوائق التى حدت من الرعى .

أ ـ الزراعة

عرفت الجزيرة العربية فى عهود التاريخ القديمة ،أنها واحة خضراء تتميز بكثرة الامطار وغزارة السيول التى تجرى عبر وديانها العميقة التى لازالت معالمها الى اليوم واضحة جلية فى بعض مناطق الحجاز ، ولكن هذا المناخ مالبث أن تغير فتأثرت الجزيرة بالجفاف وقلة الامطار واصبحت وديانها العميقة عبر فترات التاريخ المتلاحقة أطلالا عفا عليها الدهر تجرى المياه فى قاعها فلا تكاد ترى من أعلاها ولعل مايؤيد هذا الرأى تحول الواحات الزراعية التى كانت قائمة فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام الى أماكن جرداء تذكر بماضيها القديم وماذاك الا بسبب مواسم الجفاف المتلاحقة عليها والتى تأثرت بسببها العيون والابار[1] فنضبت المياه فيها وأثر ذلك على الواحات الزراعية فقل انتاجها.

وأغلب مناطق الحجاز ذات مناخ صحراوى يؤثر على الزراعة والنباتات الطبيعية وتسقط أمطاره شتاءً بغزارة فتجرى السيول عبر المنحدرات الى الاراضى المنبسطة وتؤثر تلك السيول على ارتفاع منسوب المياه فى الآبار كما تزيد من تدفق مياه العيون وحين ينقطع المطر عنها تمر بمرحلة جفاف تؤدى الى انخفاض منسوب مياه الارض ،فيؤثر بلا شك على محاصيل الزراعة ،ومع ذلك فان المرتفعات الجبلية القريبة من الطائف تتأثر بالامطار الموسمية الغزيرة التى تؤدى الى نمو الغابات والاشجار الكثيفة ووفرة المياه التى تساعد على ازدهار الزراعة.[٢]

١) السباعى : تاريخ مكة ص١٦-١٧ ،نشر نادى مكه الثقافى ط ١٤٠٤ هـ مكة المكرمة .

٢) عبدالرحمن الشريف : جغرافية المملكة ج ١ ص ٨٨ و١٦٣ نشر دار المريخ الرياض ١٣٩٧هـ .

ومن المعروف ان من أهم العوامل المساعدة على قيام الزراعة وفرة المياه وخصوبة الارض ، وفى بلاد الحجاز مناطق كثيرة تنعم بذلك فكان لها الاثر فى ازدهار الزراعة ونمائها وكثرة محاصيلها ومن ذلك القرى المجاورة لمكة المكرمة مثل مر الظهران ووادى نخله وعرفات[١] حيث العيون المتدفقة والارض الخصبة[٢] وكذا الحال فى الطائف والتى كان لطبيعة موقعها اثر كبير فى كثافة محاصيلها وذلك بسبب دور السيول التى تجرف معها فتات صخور الجبال فيجدد ذلك من خصوبة الارض بين وقت واخر ويزيد من جودة المحاصيل[٣] وفى المدينة والمناطق المجاورة لها مثل تيماء والعلاء[٤] ومهايع[٥] وخيبر واحات زراعية خصبة ومياه وفيرة فى الابار والعيون والتى كانت سبباً فى قيام الضياع الزراعية فيها[٦] ومع اهمية توفر هذين العنصرين الماء وخصوبة الارض فى الحجاز إلا أن هناك عوامل اخرى ساعدت على ازدهار الزراعة ومنها :

وفرة الايدى العاملة المدربة والمتخصصة فى الزراعة سواء من أهل البلاد أو من الفئات الاخرى الوافدة ،ويقوم العمال المغاربة بدور كبير فى عملية الزراعة حيث يمتازون بالدراية والمهارة فأسهموا بجهد وافر فى نهضة الزراعة فى الحجاز وخاصة فى مكان يعرف بعين سليمان حيث كثرت على ايديهم البساتين والمزارع ذات المحاصيل المتنوعة والجيدة ،فأفادو بخبرتهم فى هذا المكان .[٧]

١) وادى نخله . موضع فيه مجموعة من القرى ،منها تنصف وسوله فيها مياه ومزارع (الحربى . المناسك ص ٣٥٤ – ٣٥٥).

٢) الحربى . المناسك ص ٣٤٥ ، ابن بطوطه . الرحلة ص ١١٨ . نشر دار بيروت للطباعة عام ١٤٠٥هـ .

٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٩ ، الادريسى . نزهه المشتاق ق ٢ ص ٤٤.

٤) العلاء . هى البلدة المعروفة حاليا . (الفيروز أبادى . المغانم المطابه ص ٢٨٢ حاشيه ٢).

٥) مهايع : كانت قرية غناء بتهامة قرب سايه وواليها من قبل المدينة ، ولا يزال يطلق هذا الاسم على عين من عيون وادى سايه. (ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٢٩ . الفيروزأبادى : المغانم المطابه ص ٣٩٦جـ٢).

٦) الادريسي : نزهةالمشتاق ق ٢ ص ١٤٣؛ السمهودي : وفاء الوفاء جـ ٤ ص ١١٤٧.

٧) ابن جبير: الرحلة ص ٩٩. نشر دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٤هـ

كما ان الرقيق الذين تدفقوا على بلاد الحجاز نتيجة للفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ودولة بنى امية ساهموافى الرفع من شأن الاعمال والحرف المنتشرة آنذاك فى مدنه ومناطقه المختلفة فتذكر المصادر قيام هؤلاء العبيد بأعمال الزراعة فى المدينة وفى القرى الزراعية الاخرى حيث كانوا يخدمون أسيادهم فى مزارعهم وبعضهم جلب من مناطق زراعيه فلديهم الخبرة والدراية فى هذا النشاط فأفادوا فى موطنهم الجديد .(١)

ومن العوامل المساعدة على الزراعة ضيق مجالات العمل الاخرى نتيجة للفتن والحروب المتلاحقة ، وقلة الاطعمة التى تصل الى الحجاز نتيجة لظروف حلت بالبلاد المصدرة مثل اختلال الامن أو غيره فيدفع ذلك الناس الى الانصراف لمهنة الزراعة .

وتعتمد الحجاز على ثلاثه مصادر للمياه :

المصدر الاوّل : الامطار : فتعتمد الطائف فى ريها لمزارعها المنتشرة على ضفاف الجبال المحيطة بها على الامطار المستمرة النزول والتى تجرى منها سيول غزيرة فتسقى تلك المزارع الكثيفة ذات الانواع المختلفة والاعداد الكبيرة من النخيل والموز والعنب والتى كانت مصدرا هاما لمكة المكرمة (٢) ،وبجانب ذلك استفادت مزارع الطائف من المياه الجارية والتى هى نتاج لكثافة السيول المنحدرة عبر الجبال حيث تجرى فى قاع الاودية وتستمر بعد انقطاع الامطار وتستغل فى رى المزارع وذلك بتصريفها حسب الحاجة ، كما تولد كثافة السيول العيون وهى المياه التى تجرى تحت قشرة الارض بذراع أو ذراعين فتحفر وترتفع الى السطح ثم تصرف الى المزارع القريبة منها،(٣) وتعتمد الزراعة فى مناطق اخرى من الحجاز ايضا على الامطار كما هو الحال فى مزارع بنى سليم والتى بجوار جبال ذرة (٤) فترمى البذور فى الارض فى موسم الامطار فتنمو .

---

١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٦٧ ، الادريسى . نزهة المشتاق ج ٢ ص ١٤٣ .

٢) ابن حوقل : المصدرالسابق ص ٣٩. الادريسى . نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٤.

٣) عرام: أسماء جبال تهامه ص ٤٩ . ابن خردا ذبه . المسالك والممالك ص ١٨٨. ط لندن١٨٨٩)

٤) ذرة : من جبال تهامه اولها نحو الحجاز (ياقوت . معجم البلدان ج ٣ ص ٦) الادريسى . نزهة المشتاق ج ٢ ص ١٤٥.

نزولها (وتسمى الأعذاء وهي التي لا تسقى)[١] ويعود نجاح هذه الزراعة الى طبيعة الأرض واستمرار نزول الأمطار عليها ، ولا زال في الجزيرة العربية مواقع تقوم فيها زراعة القمح على الأمطار التي تسقط بين وقت وآخر .

وفي الأرحضية[٢] وقرقرة[٣] الكدر تتجمع مياه السيول وتبقى فيها على مدار العام فتسقى منها مزارعهم فاذا نضبت أثر ذلك على محاصيلهم الزراعية[٤] ، واشتهرت مكة المكرمة منذ القدم بقلة المياه فيها ، وقد أخبر القرآن الكريم بذلك حكاية عن نبينا ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم[٥]) الآية ، فأهلها يشربون من الأحواض والمصانع الكبيرة التي أقيمت بها لتجميع مياه الأمطار من الأودية[٦] ، كما تعتمد بعض مزارعهم على السيول التي تنحدر عليهم من الجبال المحيطة بمكة أو ما يتسرب منها على مدار العام وأكثر ذلك في عرفات[٧] لقربها من جبال الطائف ، ومن الأماكن التي تعتمد على مياه الأمطار السوارقية[٩] ، فيسقون ماشيتهم ومزارعهم من واد تتجمع فيه المياه يقال له سوارق وواد يقال له الأبطن وكذلك الحال في وادي بطن رمه[١٠] في طريق المدينة والذي تتجمع

---

(١) عرام : أسماء جبال تهامة ، ص ٢٣ .

(٢) الأرحضية ، بالصاد المعجمة والياء المشددة والحاء المهملة موضع قرب أبلى وبئر معون (الفيروزأبادي ، المغانم المطابه في معالم طابه ص ١٤. تحقيق حمد الجاسر. نشر دار اليمامة عام ١٣٨٩هـ).

(٣) قرقرة الكدر : قريبة من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد وقيل أنها ماء لبني سليم (ياقوت. معجم البلدان جـ ٤، ص ٤٤١).

(٤) عرام : أسماء جبال تهامه ، ص ٥٤ .

(٥) سورة ابراهيم ، آية ٣٧ .

(٦) ناصر خسرو : سفر تهامة، ص ١٢٣ . ترجمة يحيى الخشاب . نشر دار الكتاب الجديد ، بيروت عام ١٩٨٣ .

(٧) عرفات . المشعر المعروف .

(٨) الادريسي : نزهة المشتاق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

(٩) السوارقية : بفتح أوله وضمه وهي قريبة لبني سليم لهم فيها مزارع ولا تزال معروفة .
(الفيروزأبادي : المغانم المطابه ، ص ١٨٩ حاشية رقم ٢) .

(١٠) بطن رمه . منزل لأهل البصرة والكوفة إذا أرادوا المدينة .
(المناسك . الحربي ، ص ٣٠٩ حاشية ٢) .

فيه السيول فتصبح المياه على مقدار ذراع او ذراعين من قشرة الارض ومن حفر الارض وجدها .(١)

والمصدر الثانى للري فى بلاد الحجاز العيون : وتنتشر فى القرى المحيطة بمكة ومن ذلك العيون الجارية فى مر الظهران(٢) حيث تسقى مزارع تلك الناحية .

وفى الكديد(٣) عين جارية تسقى نخيلهم(٤) ،وفى ورقان(٥) ساهمت طبيعة الارض ووفرة المياه على انتشار العيون فيها .(٦)

ومن العيون التى ازدهرت عليها الزراعة عين خليص(٧) والتى شق لها اخاديد

---

١) الحربى : المناسك ص ٣١٩ ،البكرى معجم ما استعجم ١ ص ١٠٠.

٢) مر الظهران . بينها وبين مكة ثلاثة عشرة أميال ،وقيل سبعة عشر ميل ،وتعرف الان باسم وادى فاطمه وهو اكبر وديان مكة وآوفرها ماءاً واكثرها قرى وسكان .
(الحربى المناسك ص ٦٥٣ حاشيه ٧ ،السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعيه ص ١٦١).

٣) الكديد . واد به أحساء كثيرة وماء عذب ويقال ان عند غربيه مسجد صلى فيه الرسول " صلى الله عليه وسلم " .(الحربى . المناسك ص ٥٢٠) .

٤) الحربى : المصدر السابق ص ٥٢٠ ، ٦٥٣ .

٥) ورقان بالفتح ثم الكسر جبلِ عظيم أسود أعظم مايكون من الجبال ينقاد من سياله الى المتعشى بين العرج والرويثة وفيه أنواع الاشجار وأوشال وعيون . وسكان ورقان بنو أوس من مزينه .(الفيروزآبادى . المغانم المطالبة ص ٤٢٩).

٦) البكرى : معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٣٧٧.

٧) خليص : حصن بين مكة والمدينة .
(ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧).

[illegible]

[illegible]

والمصدر الثالث للري فى بلاد الحجاز : الآبار : وهي عبارة عن حفر عميقة يصل عمق الواحدة فيها الى عشرة أمتار فأكثر حتى يمكن الوصول الى المياه الجوفية المنخفضة عن سطح الارض وغالبا ماتحفر الآبار فى الاراضي التى يكثر بها تجمع السيول ،وتصب الادوية بين وقت وآخر فيضمن بذلك وفرة المياه فيها وسهولة الوصول اليها .

ويعمد ملاك الابار بعد حفرها الى صف خشب على جنباتها حتى تمنع تهدمها وتساقط الرمال فيها.(١)

وكانت الطريقة المتبعة فى السقي على الزرانيق وهي عبارة عن حائطين وزرنوقين مبنيان على رأس البئر من جانبيها فنوضع عليهما خشبة ويعلق بهذه الخشبة بكرة يجرى عليها حبل الدلو ،يربط هذا الحبل بالابل التى تسحب الماء من مقر البئر ثم تصبه فى صهريج ليجرى منها عبر الجداول الى المزارع ،وفى المناطق الغزيرة الماء يستمر سحب الماء من باطن الارض طوال النهار ليسقى المزارع الكثيرة التى تعتمد عليه .(٢)

وتختلف مياه الابار من مكان لاخر وسبب ذلك يعود الى طبيعة التربة التى تعتمد على المياه فتؤثر فيها ،فمياه السوارقية عذبة تستخرج من واد يقال له سوارق .(٣)

---

١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٧ ،الحربى . المناسك ص ٣٠٩ ،ص ٣٣٩ ،ص ٤٥١ . الادريسى . نزهة المشتاق ج ٢ ص ١٤١ .
٢) ابتسام آل سويلم . الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز ص ٩٢. رسالة جامعية لم تنشر .
٣) البكرى : معجم ماستعجم ج ١ ص ١٠٠.

ومياه آبار مكة مرة الطعم لاتساغ[1]. وأشهر مناطق الحجاز اعتمادا على الآبار المدينة المنورة وذلك لقلة العيون الجارية بها ،فيعمد الاهالى والمزارعون الى حفر الآبار للشرب وري المزارع ويقوم بالسقي عليها عبيدهم [2] ومنها الآبار التى يشربون منها بئر عروة[3] وبئر رومة[4] ،التى يصب فيها وادى العقيق بالاضافة الى آبار اخرى تصب فيها الاودية القريبة منها[5] ،ومن الاماكن التى تروى مزارعها بالآبار بطن نخل[6] وفيها ثلاثمائة بئر .[7]

وحاذة[8] فيها ست وثلاثون بئرا وعلى مقدار ميل منها مائتي بئر[9] كما اشتهرت مران[10]

---

١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٢٣.

٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٧.

٣) بئر عروة . بئر معروفة بعقيق المدينة تنسب الى عروة بن الزبير بن العوام .
(الفيروزآبادى : المغانم المطابه ص ٤٣)

٤) بئر رومه . هو بئر أسفل وادى العقيق قريبا من مجمع الاسيال فى سعة من الارض .
(الفيروزآبادى : المصدر السابق ص ٤٢ حاشية ٤).

٥) الفيروزآبادى : المصدر السابق ص ٤٢-٤٣.

٦) بطن نخل . من قرى المدينة على طريق البصرة .
الفيروزآبادى : المصدر السابق ص ٥٠٧).

٧) الفيروز آبادى : المصدر السابق ص ٥٧ .

٨) حاذه . قرية لاتزال بهذا الاسم تابعة لامارة المهد.
(السيف : الحياة الاجتماعية والاقتصادية ص ٢٤ حاشيه ٢) .

٩) الحربى : المناسك ص ٣٣٦ .

١٠) مران لايزال معروفا الى اليوم بهذا الاسم .
(الاصفهانى : بلاد العرب ص ٣٧٢ . تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى نشر دار اليمامه الرياض) .

بكثرة آبارها (١) ، وفى نهب الاعلى (٢) بئر كبيرة غزيرة الماء تقوم عليها زراعة النخيل والخضروات (٣) ،وتشتهر العوالى (٤) بآبارها العذبة مع غزارة المياه فيها (٥) ، وأهل السوارقية يحفرون فى واد سوارق آبار ليست عميقة يستخرجون منها مياه عذبه يسقون بها مزارعهم (٦) وبالرقم (٧) آبار كبيرة عذبة (٨) ، وتقوم زراعة بنى سليم فى المعبية (٩) على الآبار (١٠) ، كما تسقى المزارع المحيطة بمكة فى الاماكن التى لاتوجد بها عيون من الآبار التى حفرت فيها واستخرجت منها المياه وذلك بعسفان (١١) وجبال عرفات التى تشتهر بكثرة مياهها فتحفر فيها آبار متقاربة ثم يوصل مابينها لتسيح المياه على سطح الارض (١٢) وكذلك فى الصحن (١٣)

---

١) الحربى : المناسك ص ٦٠١ .
٢) نهب الاعلى : مع نهب الاسفل . جبلان لمزينة وبنى ليث .
(ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٤).
٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٤ .
٤) العوالى . موضع يبعد عن المدينة ثمانية أميال .
(السمهودى . وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١)
٥) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١ .
٦) البكرى : معجم مااستعجم ج ١ ص ٦٠٠ .
٧) الرقم . بتحريك القاف وتسكينها موضع فى بلاد غطفان .
(الحربى : المناسك ص ٥١٨).
٨) الحربى : المصدر السابق ص ٥١٨.
٩) المعبية . بالفتح ثم السكون ماء لبنى خفاف بطن من بنى سليم وهى آبار عذبه يزرع عليها.
(ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٦).
١٠) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٦ .
١١) عسفان . اشهر الاودية التى بالقرب من مكة وفيه قرى صغيره .
الحربى : المناسك ص ٤١٠ حـ ٤)
١٢) ياقوت : معجم البلدان ص ٨٠.
١٣) الصحن : جبل قرب المدينة .
(الفيروزآبادى : المغانم المطابه ص ١١٦) .

حيث تفرغ آباره بعضها ببعض لتسيح على الأرض[1] وفي أمج[2] عشرون بئرا تسقي خزاعه مزارعها منها كما تروي مزارع النخيل[3] في معدن البرام[4] من الآبار.[5]

****

---

(١) الفيروز آبادي : المغانم المطابه ص ٢١٦.

(٢) أمج : بفتح أوله وثانيه من أعراض المدينه (الفيروز آبادي . المغانم المطابه ص ١٨).

(٣) الحربي . (المناسك ص ٤٦١).

(٤) معدن البرام. لايزال معروف باسم المعدن في بلاد عدوان وهو وادفيه سكان وقرى . (الحربي . المناسك ص ٦٥٤ حاشيه : ٦) .

(٥) عرام . أسماء جبال تهامه ص ٤٠٦.

وتختلف المحاصيل الزراعية في بلاد الحجاز من مكان لاخر حسب طبيعة الارض وملاءمة التربة لنوع النبات ، فبينما تشتهر المدينة المنورة بانتاج التمور نجد أن الطائف يغلب عليها زراعة الفواكه والخضار ، وتعد المدينة من اكثر الاماكن زراعة للنخيل ولقد آثر ذلك على حرفة الناس فانصرفوا الى الزراعة وأولوها عناية كبرى فسخروا عبيدهم في سقيها وصرفوا أموالهم فيها وأصبحت هي عماد قوتهم ومعاشهم[1] ولاتقل خيبر عن المدينة في كثافة النخيل فاشتهرت بكثرة محصول التمر الذى رفع مستوى معيشة أهلها فاصبحوا فى حياة رغدة فلا نجد أرخص منه فى أى مكان ولهذا ضرب المثل فقيل (كمستبضع تمرا الى أرض خيبرا)[2] وفى وادى العقيق والصفراء مزارع للنخيل[3] والعلا[4] كثيرة المياه والنخيل وتقوم زراعة النخيل فى الرحضيه[5] على الاباروتشتهر[6]

---

١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤١ ، الأصطخري . المسالك والممالك ص ٣٣ . ، البلوى . تاج المفرق ج ١ ص ٤٩٠ . المغرب .

٢) المقدسى : أحسن التقاسيم . ص ٨٣ ، ٨٤ . ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ، ٤١٠ .

٣) الادريسى : نزهة المشتاق ق ١ ص ١٤٤ ، ابن بطوطة . الرحلة ص ٥٢١ .

٤) البلوى : تاج المفرق ١ ص ٢٧٨ .

٥) الرحضية . بالكسر ثم السكون . قرية من نواحى المدينة . (الفيروزآبادى . المغانم المطابه ص ١٠٤) .

٦) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢١٧ .

ذو العشيرة بنخيلها ذات التمر الجيد (١) ، كما تقوم زراعة النخيل على عيون بديع (٢)(٣) وخفيف ذى القبر (٤) .

وتعد تيماء من المناطق المنتجة للتمور بكثرة وذلك لكثافة مزارع النخيل بها حتى قيل أنها أشهر مكان يزود أهل البادية بالتمور (٥) ، كما اشتهرت المروه بزراعة النخيل لاسيما النوع الجيد منه (٦) ، وتقوم زراعة النخيل فى السوارقية الى جانب مزارع الخضار والفواكه التى تزدهر زراعتها فيها (٧) ،وكذلك الحال فى قرية مهايع حيث تزرع النخيل بجانب مزارع الخضار والفواكه (٨) ،وتقوم زراعة النخيل فى بدر على عيونها الجارية وهى نخيل جيدة التمور (٩) كما تجود زراعة النخيل فى وادى بيضان (١٠) وبديع وينبع (١١) والعشيرة (١٢) .

---

١) ذو العشيرة . تقع فى الطريق بين مكة ونجد فى وادى العقيق وهى اولى مراحل الطريق بعد ترك المنازل واصبحت الان قرية . الاصفهانى . بلاد العرب ص ١٧ حاشية (١)
٢) السمهودى : المصدر السابق ص ١٢٦٦ .
٣) بديع . حصن بين ندل وخيبر بها مياه وعيون فى فواره ويعرف الان باسم الحويط (الفيروزآبادى . المغانم المطابه ص ٤٣٨ . حاشية ١)
٤) عرام : أسماء جبال تهامه ص ٣٦ ،الحربى . المناسك ص ٥٤٢ .
٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤١ ،البكرى . معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٧٠ .
٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٣ .
٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣١٣ ،السهودى . وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٣٨ .
٨) عرام :أسماء جبال تهامه ص ٣٥ .
٩) الحربى : المناسك ص ٤١٣ .
١٠) عرام : المصدر السابق ص ٧١ .
١١) ينبع . يطلق هذا الاسم على ناحية واسعة فى الحجاز غرب المدينة بميل نحو الشمال يبعد عن المسافة ١٥٠كم . (حمد الجاسر ، بلاد ينبع ص ١٠) نشر دار اليمامه .
١٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٢٥ ،الحربى . المناسك ص ٥٤٢ .

وتشتهر مطار[١] بنخيلها الذي ينتج محصول التمر على مدار العام ، ففي الوقت الواحد يوجد فيها نخل مرطب ونخل يصرم ونخل يلقح[٢] والطائف مع ما اشتهرت به من مزارع للفواكه والخضار انتشرت فيها زراعة النخيل ففي وادي تربة[٣] توجد النخيل مع مزارع القمح والفواكه[٤] ، وتنتشر زراعة النخيل في مكة والقرى التي حولها وكان أول من قام بزراعة النخيل في مكة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) وتبعه في ذلك عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) وبذل جهودا طيبة لتنمية الزراعة في مكة سعيا منه الى أن يوفر لمكة ما تحتاجه من غيرها ، لولا اختلاف الأحوال بعده[٥]، ومع ما حل بمكة والقرى المحيطة بها الا أنها حافظت على الزراعة لا سيما مزارع النخيل حيث لا غنى لهم عنها .

وازدهرت مزارع النخيل في معدن البرام وعسفان حيث تروى من آبارها[٦] كما قامت زراعة النخيل في قرى مر الظهران حيث المياه التي تجري بها[٧] ، ويزرع النخيل في رهاط[٨] بجانب الفواكه التي تنقل ثمارها الى مكة والطائف ، ولم تمنع زراعة الفواكه فيها زراعة النخيل بجوارها[٩] ، كما قامت مزارع النخيل في الكديد وخليص على المياه الجارية بها[١٠] .

---

(١) مطار . قرية من قرى الطائف . (ياقوت ــ معجم البلدان جـ ٥ ص ١٤٧)

(٢) البكري : معجم ما استعجم جـ ١ ، ص ٣٧١ .

(٣) وادي تربة : من أشهر الأودية الآن فيه قرى وسكانه كثيرون (الأصفهاني . بلاد العرب ، ص ١٠٩ حاشية ٥) .

(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ، ص ٢٠ ، السمهودي : وفاء الوفاء جـ ٤ ، ص ١١٤٧ .

(٥) الهمداني : البلدان ص ٦٥ ليدن ١٣٠٢هـ . الزمخشري : الأمكنة والجبال ص ٣٣ ، السباعي . تاريخ مكة ص ٢٠ .

(٦) عرام : أسماء جبال تهامة ، ص ٤٦ ، الحربي . المناسك ص ٤١٠.

(٧) الحربي : المصدر السابق ، ص ٦٥٣ .

(٨) رهاط. قرية لا تزال معروفة (الحربي. المناسك ص ٣٤٩ حاشية ٢) .

(٩) الحربي : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ، السمهودي ، المصدر السابق جـ ٤ ، ص ١٢٢٥ .

(١٠) الحربي : المصدر السابق ، ص ٥٢٠ ، ياقوت . معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ .

وتعد التمور من اهم المحاصيل الزراعية فى بلاد الحجاز وذلك لخصائصه التى يتميز بها عن غيره من المحاصيل الاخرى ، ومنها سهولة حملة من مكان الى آخر وصلاحيته لفترة طويلة مع اختلاف الظروف الجوية التى يمر بها وعدم حاجته الى اعداد مسبق قبل تناوله بالاضافة الى تمتعه بقيمة غذائية كبيرة ، كل ذلك وغيره جذب الناس الى الاهتمام به والحرص عليه .

وتعددت أنواع التمور فى الحجاز واختلفت جودتها وشهرتها ففى المدينة يوجد مايزيد عن مائة وثلاثين نوعا من التمور ولعل هذه الكثرة فى الانواع يعود الى طبيعة النخيل التى تنبت من القرى وغالبا ماتختلف عن أصلها السابق، وتعد تمور المدينة من أجود الانواع فيوجد بها البرنى والعجوى واليصحانى والرعلة وفى خيبر التمر الصيحانى وهو مثل تمر المدينة ،كما تغل نخيل قرية قيا التمر البرنى ويشابه فى جودته تمور المدينة وفيه يقول الشاعر :

ما أحسن المذق بما القيا وقد أكلت بعده برنبا (١)

ويأتى تمر العشيرة فى الدرجة الرابعة فى تمور الحجاز بعد التمر الصيحانى والبرنى والعجوه بالمدينة ، ومن الانواع الجيدة التمر الخادعى ويزرع فى فدك وبديع .(٢)

ومن المحاصيل الزراعية الاخرى فى بلاد الحجاز الحبوب وتشمل الحنطة والشعير ولاتقل الحبوب فى اهميتها الاقتصادية عن التمور باعتبارها الغذاء الرئيسى

١) عرام . أسماء جبال تهامه ص ٠٦٦
٢) السمهودى . المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٦٦ ،السيف . الزراعة فى الحجاز فى العصر العباسى . مجلة الدارة ص ١٩٧ العدد الثانى محرم ١٤٠٤هـ .

وزبيب العنب من اكثر محاصيلها الزراعية حيث تصدر منه الى المدن المجاورة لها (١)، ولاتقل عنها فى ذلك القرى المحيطة بها ففى قرية مطار يوجد الموز وفى الوهط (٢) أشجار متنوعة من الفواكه لم يبق منها يزرع الا شجر التوت (٣)

وفى قبا قرب المدينة يزرع الكروم ولكثرته انتشرت أنواعه لديهم ومنها البرنى ويقال المروى وهو أجود الانواع لرقته وحلاوته وينقل منها الى المناطق القريبة وخاصة المدينة والقرى المجاورة (٤)، وتمتاز السوارقية بخصوبة الارض وكثرة المياه ولذلك انتشرت فيها زراعة الموز والعنب والتين والرمان والسفرجل والخوخ(٥)، ومهايع قرية زراعية اشتهرت بكثافة سكانها الذين يعملون بالزراعة ومن ضمن مزارعهم الفواكه كالموز والرمان والعنب (٦) وفى بديع يغرس الرمان على عيونها (٧) وفى تيماء يوجد التين والعنب (١٠) وفى جبال قدس (٩) يزرع التين وأنواع مختلفة من الفواكه (٨)، وعلى عيون بدر يزرع النخيل والموز والعنب والحناء (١١).

---

١) ابن جبير: الرحلة ص ٩٧، ٩٨ ط بيروت ١٤٠٤هـ . وابن بطوطه، تحفة النظار ص ١٣٢ بيروت ١٤٠٥هـ، نادية صقر . الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام ص ٤٠. نشر دار الشروق جده عام ١٤٠١هـ ؛

٢) الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج (ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٦

٣) عرام أسماء جبال تهامة ص ٤٦ . ابن المجاور تاريخ المستبصر ص ٢٢

٤) الكبريتى : الجواهر الثمينه فى محاسن المدينة ورقة ٧٦-٧٨ مخطوط جامعة أم القرى (٨٤٦٧/)

٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٧٦ البكري . معجم ما استعجم ج ١ ص ١١.

٦) عرام: اسماء جبال تهامه ص ٣٥ ، ياقوت . المصدر السابق ج ٥ ص ٢٢٩.

٧) الحربى : المناسك ص ٥٤٢ ، البكرى ، المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٠ .

٨) قدس . جبل لايزال معروفا بين مكه والمدينة (الفيروزآبادى . المغانم المطابة ص ٣٣٣ ج ١) .

٩) السمهودى وفاء الوفاء : ج ٤ ص ١١٧٤ .

١٠) الحربى : المصدر السابق ص ٤١٩ .

ولاتقل الخضار أهمية عن الفواكه ولذا فقد حظيت بعناية المزارعين فى بلاد الحجاز لكونها غلة لايمكن الاستغناء عنها فى أى وقت من الاوقت فلقد شاهد الرحالة الذين زاروا مكة المكرمة انواعا كثيرة منها ومن ذلك الخيار والقثاء والبطيخ والباذنجان والكرنب والجزر ولاحظوا عدم خلو أسواق مكة منها طوال العام (١) ، ولقد عنى بها الناس وحموها من ظروف المناخ المتقلبة فى فصول السنة وساعد على ذلك جودة التربة التى تنبتها مما ييسر لها الحفاظ على مستوى انتاجها طوال العام وتأتى هذه الخضار الى مكة المكرمة من القرى القريبة منها كعرفة ومر الظهران بالاضافة الى ما نستطيع أن نسمية المصدر الرئيسى لها مدينة الطائف والتى ينقل منها جميع ماتحتاجه من حبوب وفاكهة وخضار (٢).

وتزرع الخضار فى القرى القريبة من المدينة ففى العوالى يزرع القرع والجزر (٣) وفى بطن نهمان (٤) تزرع البقول وفى يليل (٥) تزرع البقول والبطيخ (٦) ، كما اشتهرت ضرية (٧) بزراعة

---

١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١٢٤ ، ابن جبير . الرحلة ص ٩٧ . ابن المجاور تاريخ المستبصر ص ٩.

٢) أبى الفدا : تقويم البلدان ص ٩٥ باريس ١٨٥٠م ، المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٧٧ ، القلقشندى . صبح الاعشى ص ٢٥٩ .

٣) الفيروز آبادى : المغانم المطابه ص ٢٨٦ .

٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٤ .

٥) يليل : اسم قرية من قرى وادى الصفراء من أعمال المدينة كان فيها عين كبيرة تصب فى البحر (ياقوت . معجم البلدان ج ٥ ص ٤٤١) .

٦) ياقوت : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤١ .

٧) ضرية : صقع واسع متحد ينسب اليه حمى ضرية يليه امراء المدينة وينزل به حاج البصره (الفيروزآبادى . المغانم المطابه ص ٢٢٨).

البطيخ[1] والقثاء ، وعلى آبار قرية السقيا[2] أصناف الخضر[3] ، وربما نقلت هذه المحاصيل الى المدينة حيث هي السوق الرئيسي لها .

ولقد اشتهرت مكة والمدينة بأنها السوق الرئيسي لهذه المحاصيل الزراعية منذ القدم فكانت تستقبل ما يصلها من البلدان المجاورة لها وما ينقل اليها من الخارج كالبضائع الواردة من الشام ومصر واليمن ، وأسواق مكة تغص بأنواع الفواكه المختلفة التي تردها من الطائف والقرى التي حولها كبطن مر ووادي نخله ومن ذلك التين والرمان والسفرجل والخوخ والاترج والموز والمقل والبطيخ والقثاء والخيار بالاضافة الى أنواع البقول كالباذنجان واليقطين والسلجم الجزر والكرنب وغيرها ، وبعض البقول لا تنقطع طوال العام كالباذنجان والقثاء والبطيخ ، كما يجلب اليها قصب السكر من جبال السروات ومنه كانت تصنع الحلويات في مكة أما الرطب الذي في أسواق مكة فقد ذكر ابن جبير أنه في غاية الطيب واللذاذة ولا يسأم التفكه به[4]، وجميع هذه المحاصيل تعرض في الأسواق المخصصة لها في مكة وهي التي تقع بين الصفا والمروة ولكن تتسع رقعتها أيام المواسم لكثرة ما يجلب فيها من منتجات زراعية وغيرها فتشمل جميع ما حول الحرم[5]، ومن الأسواق التي تباع فيها المنتجات الزراعية سوق خليص فيجلب له التمر والإدام وتزدهر فيه حركة البيع لتسوق البادية ، والمقيمين حوله فيه ،وتستقبل أسواق المدينة محاصيل التمر والشعير والقمح ،فيجلب

---

(١) البكري : معجم ما استعجم جـ ٣ ، ص ٨٨٦ .

(٢) السقيا : تقع في وادي القرى وكانت مدينة مشهورة تقع في التقاء وادي الجزل بوادي القرى (الحربي . المناسك ، ص ٦٥٠ حاشية ٧).

(٣) الحربي : المصدر السابق ، ص ٤٥١ .

(٤) الرحلة ، ص ٥٩ ، ٩٨ .

(٥) ابن جبير : المصدر السابق،ص ٩٧، ابن بطوطة . الرحلة ، ص ٤١ .

(٦) العبدري : الرحلة العبدرية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ الرباط .

لها من الفقرة نوع جيد من القمح كما يجلب لها من الطائف الزبيب (١) ويتجر أهلها بغلتهم الرئيسية وهي التمر مع البادية المقيمين حول المدينة وكذا الحجاج الذين يمرون بها (٢)، وفي تيماء تزدهر تجارة التمر حيث يشتريه البدو المنتشرين حولها (٣)، كما أن ينبع محطة تزود الحجاج الذين ينزلون بها فيشترون مايحتاجون من الزاد الذي يوصلهم الى مكة .(٤)

وبالرغم من خصوبة الارض ووفرة المياه في بعض مناطق الحجاز كالمدينة والقرى المحيطة بمكة والذي يوحي بمحصول زراعي كبير الا أننا نستطيع القول بأن محاصيل بلاد الحجاز الزراعية استهلاكية وليست تجارية فمنذ القدم ومدن الحجاز لاتكتفي بما يرد الى أسواقها من هذه المحاصيل بل تستقبل الاطعمة المختلفة من الشام ومصر واليمن كالقمح وغيره ،وقد استمرت هذه الحال بعد قيام الدولة الاسلامية في المدينة فتذكر المصادر أن أسواق المدينة كانت تعج بأصناف البضائع المختلفة من ألوان الطعام وغيرها مما يجلبه الانباط ، وسهل ذلك بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية وهيمنتها على مصادر الامداد في بلاد الشام واليمن ومصر فاستمر وصول الاطعمة اليها.(٥)

١) البلوى : تاج المفرق ج ١ ص ٣٧٨ .
٢) السمهودى : وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٤٤ ،ج ٤ص ١١٩٧ . السيد عبدالعزيز سالم تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٣٥٢ نشر مكتبة شباب الجامعة . القاهرة . السليمان النشاط التجارى في جزيرة العرب ص ٢٧٥ .
٣) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٢ .
٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٣ .
٥) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٣٢ تعليق طه عبدالرؤوف سعد . نشر مكتبة الكليات الازهرية القاهره.

وفي هذه الفترة التي هي موضوع بحثنا زادت حاجة الحجاز الى الأطعمة بسبب قلة المحاصيل الزراعية فأصبحت أسواقه بحاجة دائمة الى مايصلها من البلاد المجاورة كما أنها تستفيد من موسم الحج بما يجلب اليها من بضائع مختلفة من شتى بلاد العالـــــم .

فميناء الجار (١) محط للمراكب التي تنقل الأطعمة من مصر الى المدينة والذي يوضح استمرارية الدعم الغذائي لها ونقصان محاصيلها عن الوفاء بحاجتها (٢).

ويجلب أهل السروات الى مكة بضائعهم المختلفة وهي نتاج مزارعهم وذلك بكميات كبيرة فيشتري الناس منهم مايقتاتون ويدخرون الى عامهم القادم ولهذا أثره البالغ في سد حاجتهم ورفع معاناتهم المعيشية ، وسد النقص الحاصل في محاصيلهم الزراعية كما أن مايحمل الى الحجاز من مصر بين وقت وآخر من أعشار وصدقات وميره (٣) له دوره الفعال في سد حاجات الناس فاذا تأثرت مصر بوباء أو شدة قلت محاصيلها الزراعية وانعكس أثر ذلك على بلاد الحجاز حيث ينقطع مايصل منها (من ذلك ماوقع سنة ٤٤٧هـ حيث قل منسوب مياه نهر النيل عن العادة فنقصت محاصيل مصر الزراعية فلم يحمل الى مكة شيء في ذلك العام) ومن ذلك ماوقع سنة ٤٦٢هـ حينما حل بمصر الفقر والوباء فتضرر اقتصاد مصر من ذلك فلم يصل مكة مااعتادت من المواد

---

(١) الجار : تقع في المكان المعروف الآن باسم الرايس غرب بلدة بدر بميل نحو الشمال وينقل اليها ماتحتاجه من بدر . (الحربي . المناسك ص ٤١٩ حاشية رقم ٤) .

(٢) اليعقوبي: البلدان ص ٧٧،نشر المكتبة المرتضوية النجف العراق عام١٣٣٧هـ ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٣٨٣ طبع ليدن ١٨٩١م.

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ص ٨٠ ، ابن جبير . الرحلة ص ١١٠

(١)
الغذائية ، وحينما تتحسن الأمور وتزدهر الزراعة يكثر المحصول في مصر وتنقل كميات كبيرة من هذه المحاصيل الى بلاد الحجاز فتسد النقص الظاهر في محاصيل الحجاز الزراعية وينعم الناس برخص الثمن ووفرة الغلـــة .

وهكذا يتبين لنا أن المحاصيل الزراعية في بلاد الحجاز غير كافية لسد حاجة أهلها بما يحتاجونه فضلا عن أن يكون لها القدرة على التصدير ، مما يجعلها وباستمرار في حاجة الى مايصلها من محاصيل البلاد المجاورة .

ومع هذا النشاط الزراعي الذي شمل مختلف مناطق الحجاز زراعة وتسويقا الا أن هناك عوامل حدت من الزراعة في بعض الأماكن ومنعتها في أماكن أخرى ومن أهمها الأوبئة والأمراض التي تتعرض لها المحاصيل الزراعية مع أن المصادر لاتمدنا بمعلومات وافية عنها الا أنه من المعروف والمسلم به تعرض المحاصيل الزراعية لها نتيجة انتشار حشرات معينة تفسد المحصول أو تقضي عليه كالجراد مثلا أو مثل ماتفعله القرود التي تأتي على جبال السراة فتفسد على المزارعين محاصيل قصب السكـــر. (٢)

وتختلف العوائق التي تحد من الزراعة من مكان لآخر حسب طبيعة الأرض والمناخ فقد حدت طبيعة الأرض في القفا من زراعتها وذلك بسبب خشونتها مع وجود الآبار العذبة فيها (٣) ، وفي يليل عين كبيرة تخرج من جوف رملي هي أعذب مايكون من العيون ولكن ماءها يجري معه رمل كثير فلا تمكن أحدا من الزراعة فيها الا في أماكن يســـيرة . (٤)

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٦٤ و٤٧٤ .
(٢) عرام أسماء جبال تهامة ص ٤١ ، ٤٢
(٣) البكري معجم ما استعجم ج١ ص ١١١
(٤) الحربي المناسك ص ٥٣٩

ولقد حال ضيق الأرض المحيطة ببئر الرساس الواقع في وادي الصحن رغم كثرة مياهه من قيام زراعة عليه (١).

ومن المشكلات التي حدت من نقص الزراعة نقص المياه أو نضوبها فمياه الحجاز التي تتدفق من العيون أو تستخرج من الجبال تعتمد على الأمطار التي تسقط عليها مباشرة أو تجري اليها عبر الوديان فتزيد من منسوبها ، فاذا انقطعت تلك الأمطار وحلت مواسم الجفاف هبط منسوب المياه فأثر ذلك على الكمية المستخرجة من الآبار والمتدفقة من العيون ونضبت الأماكن التي تتجمع فيها السيول فيحد ذلك من مساحة الأرض المزروعة وينقص بسبب ذلك محصولها ، فقد ذكر الرحالة الفارسي (ناصر خسرو) أثناء زيارته لمكة أن بها قحط فكان الست عشرة منا من القمح بدينار مغربي ، فهاجر من مكة كثيرا من أهلها (٢) كما حدث نقص في مياه الحجاز سنة ٥٤١هـ حيث غارت العيون (٣).

وبالمقابل فان السيول الجارفة والأمطار الغزيرة تلحق الضرر بالمزارع وبمحاصيلها وقد اشتهر عن مكة المكرمة تأثرها بالسيول الجارفة بين وقت وآخر ومن ذلك ماوقع سنة ٤٨٩هـ حين نزل سيل عظيم على الحجاج وهم نازلون بوادي الميقات بعدوة نخلة فأغرقهم ولم ينج منهم الا من تعلق بالجبال وهذه الحادثة توحي بأن السيول غطت جميع الأرض وغمرت المزارع التي فيها كما حصل بمكة سنة ٥٢٨هـ مثل ذلك حيث أمطرت السماء سبعة أيام فسقطت الدور وتضرر الناس به كثيرا (٤).

---

(١) عرام : أسماء جبال تهامة . ص ٦٧.

(٢) سفر نامه : ص ١٢٣.

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص ٥٠٩.

(٤) ابن فهد : المصدر السابق ج٢ ص ٤٨٨ ، ص ٥٠٤.

ولايستبعد دور المنافسة فى البضائع وأثرها على المنتجات الزراعية فقد كانت أسواق مدن الحجاز تستقبل وعلى مدار العام مختلف البضائع من الاطعمة وغيرها والتى تصل من بلاد السروات ومن مصر والشام وغيرها من البلاد التى تنقل محاصيلها الزراعية لتبيعها فى أسواق الحجاز.

ومن العوامل التى أثرت على الزراعة ،الحروب والصراعات ومن ذلك ماحدث بين أهل ضريه وأهل الربذه من صراع واقتتال اضطر أهل الربذه لعدم قدرتهم الدفاع عن بلدهم للرحيل عنها فخربت مزارعها ومساكنها.(١)

ولقد تميزت هذه الفترة التى نحن بصدد الحديث عنها بانعدام الاستقرار السياسى فيها فضعف الامن واختلت الامور واصبح الناس يعيشون فى خوف دائم ونقص فى الموارد والحاجيات ، وأول هذه الاحداث ماصاحب ثورة أبى الفتوح حين أعلن الخلافة لنفسه عام ٤٠٢هـ فاستولى على الاموال العامة ونهب خزانة الكعبة.(٢)

---

١) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٩١.
٢) ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٧٣.

ب / الرعـــي :

يعمل قسم من سكان الحجاز وبالذات أهل البادية في رعي الماشية والاعتماد عليها كمورد رئيسي في معيشتهم وقد ساعد على ذلك عوامل متعددة منها :

طبيعة أرض الحجاز حيث تغطى المناطق الصحراوية منها بغطاء نباتي لتعرضها للأمطار في فترات متعددة من العام ، أما مناطقها الجبلية فمعرضة للأمطار على مدار العام نظرا لتأثرها بالرياح الموسمية الغربية الممطرة مما ساعد على نمو النباتات الطبيعية في مساحات كبيرة[1] منها فتتغذى بها الحيوانات حيث يتنقل فيها البدو من مكان لآخر طلبا لمواطن الماء والكلأ .

ومن العوامل التي ساعدت على بقاء حرفة رعي الماشية حاجة الناس المستمرة لها في بلاد الحجاز أكثر من غيرها اليها وبالذات في موسم الحج والعمرة حيث تستخدم الابل في نقل الناس من مكان الى آخر ونقل بضائعهم التجارية عليها كما استمرت الحاجة اليها في استخراج المياه من الآبار لري المزارع[2] .

ومن العوامل أيضا استمرار جزء من سكان الحجاز على حياتهم البدوية السابقة وعدم تأثرهم بالوضع الجديد الذي غير مناحي الحياة بعد ظهور الاسلام وما تبعه من تغييرات اجتماعية مختلفة ، حيث ظل جزء منهم في الصحارى يمارسون أعمالهم فيها وأشهرها الرعي ، فأهل السوارقية بادية يعمون في الزراعة وفي الرعي ولديهم أنواع الماشية يقومون بتربيتها من الخيل والابل والأغنام[3] ، وتقوم حياة قبيلة مزينة في القدسان على الرعي حيث رؤوس أموالهم الماشية من الابل والشياه .

---

(١) عبدالرحمن الشريف . جغرافية المملكة ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ، ق ٢ ، ص ١٤١ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ .

وسكان وادى الابطن بادية يرعون الابل والخيل والاغنام (١) ، ويتنقل بنو عامر تبعا لنزول الامطار من مكان لاخر فيشتون فى بلادهم بنجد ويرحلون صيفا الى الطائف لجودة هوائها ، واستمرار نباتاتها فى الصيف حيث نزول الامطار عليها (٢) .

وكانت أنواع الحيوانات المنتشرة لديهم فى ذلك الوقت هى الابل والخيل والغنم (٣) . أما استخداماتها فكانت متنوعة فمنها مايستعمل للركوب ونقل البضائع وهى الابل فينقل عليها الحجاج من المدينة ومن جدة الى مكة حتى وقت قريب (٤) كما يستخدمها الامراء فى تنقلاتهم بين الناس فى المواسم داخل المدينة ، وللحاجة الماسة اليها كانت اذا قلت فى الحجاز جلب من النوبة مايسد ذلك النقص (٥) ، وتستخدم الخيول فى الامور العسكرية حيث وضعت فى المراكز التى اقيمت لاخذ العكس من القوافل التجارية التى تفد الى أسواق حده ومكة ،كما تشارك فى المواسم للتعبير بها عن الفرحة التى تملأ قلوب الناس (٦) .

ومن استخدام الناس للحيوانات والذات الابل فى بلاد الحجاز تشغيلها فى مجال الزراعة ، ففى الاماكن التى لاتتوفر بها العيون أو تكون فيها المياه ببئر وترفع منها الى أعلى تستخدم الابل فى استخراج المياه من باطن الارض وذلك بسحب الدلو التى فى عمق البئر الى أعلى وتصب الماء فى المكان المخصص له كما

١) عرام : أسماء جبال تهامه ص ٦٥
٢) البكرى : معجم ما استعجم ج ١ ص ٠٧٧
٣) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ص ١٤١ .
٤) ابن جبير : الرحلة ص ١٢٩
٥) ناصر خسرو: سفر نامه ص ٠٨٨٩
٦) المقدسى : أحسن التقاسيم :ص ١٠٥ ، ابن جبير : الرحلة ص ٠١٠٨

تستخدم أيضا في حرث الأرض لتهيئتها وإعدادها للزراعة(١).

ولا تقل أهميتها كرؤوس أموال لأهل مكة وللأعراب الذين يقومون بتربيتها وعرضها في أيام المواسم في الأسواق ففي خليص سوق عظيمة يجلب اليها الغنم لبيعها ، حيث يتجمع فيه الأعراب وغيرهم من النلس لمزاولة هذا اللون من التجارة(٢).

بالاضافة الى ذلك فقد اشتهرت ماشية الحجاز بجودة لحومها فيقول ابن جبير : (أما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب قد وقع القطع من كل من تطوف على الافاق وضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا وما ذاك والله أعلم لبركة مراعيها هذا على إفراط سمنة ولو كان سواه من لحوم البلاد ينتهي ذلك المنتهى في السمن للفظنة الأفواه زهما ولعافته وتجنبته والأمر في هذا بالضد فكلما ازداد سمنا زادت النفوس فيه رغبة والنفس له قبولا فتجده هنيئا رحضا يذوب في الفم قبل أن يلاك مضغه ويسرع لخفته على المعدة انهضاما)(٣) وقد ساهمت المواشي على قيام مراكز الصناعة في أغلب مناطق الحجاز وبالذات دباغة الجلود وتصنيعها وفق الحاجة واشتهرت بذلك مدينة الطائف حيث تتميز بجودة أدمها وصناعاته المختلفة وكذا مكة المكرمة وذلك لقربها من أماكن ذبح الهدي في موسم الحج بالاضافة الى استغلال أصوافها في مجال صناعة النسيج فيستفيد الأعراب منها في إعداد بيوت الشعر التي يسكنونها لسهولة الانتقال بها من مكان الى آخر لطبيعة حياتهم

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ ، الحربي : المناسك ، ص ٣١٩ ، ٣٣٩ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ، ٢ ص ١٤٠ ، العبدري : الرحلة . ص ١٦٦ .

(٣) الرحلة ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

غير المستقرة .[1]

ومع ذلك فان هناك عوائق تحد من نماء الماشية وتكاثرها وربما تقضى عليها فى بعض الاحيان . ومن أهم ذلك :

قلة الامطار التى تتأثر بها النباتات الطبيعية والتى تعيش عليها الحيوانات فتجذب الارض وتصاب الماشية بالهزال ويموت بعضها بسبب ذلك - ومنه ماوقع سنة ٤٣٩ هـ ، وسنة ٥٤١ هـ حين قلت الامطار واجدبت الارض فأشرفت المواشى على الهلاك من قلة ماتاكله من العشب .[2]

ومن العوائق أيضا انتشار الامراض والاوبئة بين الماشية فيعدى بعضها البعض الاخر وقد وقع ذلك سنة ٥٥٥هـ حين انتشر وباء فى البادية فهلكت بسببه مواشيهم .[3]

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص١٦.
٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١١٢ ، ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ص ٥٠٩ .
٣) ابن فهد : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢٦

الفصـــــل الثـانـى

التجـــارة

العوامل التى ساعدت على التجـــارة .

الطرق البرية . وسائل الانتقال . المحطات التجارية البريـــة .

الطرق البحرية . السفن . المحطات التجاريـــة البحريـــة .

السلـــع المتبادلـــة .

طوائف التجـــار .

طرق التعامل التجـارى .

العوائق التى حدت من التجـــارة .

عرفت الحجاز منذ القدم بنشاطها التجارى وتميزت بذلك عن غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية حيث كانت راشدة التجارة الداخلية والخارجية ، وتحولت مكه والمدينة الى محطتين تجاريتين تنزل بهما القوافل التى تحمل المنتجات كالتمر والزبيب والأدم والمنسوجات (١) ، ثم مالبثت أن انتقلت اليها قيادة التجارة فأصبحت مكه موطنا لأرباب القوافل التجارية التى تخرج منها الى اليمين شتاء والى الشام صيفا ووجد منهم من يخرج الى مصر بين وقت وآخر (٢) .

ولم تقل الموانىء الحجازية فى تجارتها شهرة عن المدن الداخلية فقد كانت جده ثغر مكة ومنفذها الى العالم الخارجى تستقبل المراكب التجارية من الهند واليمن ومصر ، بالاضافة الى استقبالها للحجاج القادمين عبر البحر من عيذاب مماجعلها مرفأ تجاريا هاما ساعد فى ازدهار نشاط مكة التجارى (٣) .

أما ينبع والجار فكان لهما شأن عظيم فى تجارة البحر الأحمر حيث كانتا تستقبلان المراكب التجارية القادمة من مصر والحبشة واليمن والهند بجانب نشاطهما الموسمى أثناء الحج ولقد كانت شهرة ميناء الجار سببا فى اطلاق اسمه على البحر الأحمر وعرف قديما ببحر الجار (٤) واستمرت التجارة فى بلاد الحجاز على نموها وازدهارها وساعد على ذلك عدد من العوامل هى :ـ

حيوية الموقع الجغرافى الذى يتمتع به الحجاز عامة حيث تتاخم حدوده من الغرب

---

(١) الأفغانى : أسواق العرب ص ٢٠، ٢١ مطابع دار الفكر بدمشق

(٢) الافغانى : المرجع السابق ص ١١٠، ١١٣ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص ٢٥٨ .

(٤) ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٥ ، حمد الجاسر : بلاد ينبع ص ٤٨ .

معظم الساحل الشرقى للبحر الاحمر ممايسر قيام موانئ تجارية عليه مثل جده والجار فأصبحت هذه الموانئ تستقبل المنتجات الواردة اليها من الحبشة والهند والصين[١] وتنقل الى أسواق المدن القريبة من هذه الموانئ مثل مكة المكرمة ، والتى لاتبعد عن جدة سوى أربعين ميلا أو تواصل القوافل رحلتها الى الشام ومصر ومنها تدخل الى تجارة البحر المتوسط[٢] ، كما أن وقوع أهم مدنه مكة المكرمة على تخوم جبال السراة وعلى أطراف تهامة جعلها محطة هامة للقوافل التجارية البرية لوجود الماء بها[٣] حيث تحمل اليها المنتجات المختلفة سواء من اليمن كالجلود والبخور والمنسوجات أو من افريقيا كالصمغ والعاج والتبر أو من مصر والشام كالزيوت والغلال والحرير[٤] ، فتزدحم أسواق مكة بأصناف البضائع وبالتجار الذين ينعمون بالماء والراحة ، وكان لسهولة الطرق البرية أثر على ازدهار تجارة الحجاز ، فمكة ترتبط مع كافة الأقاليم بطرق برية ومنها الطريق السالك الى اليمامة وعمان والطريق المتجه الى اليمن وطريق الشام الواصل الى دمشق وطريق العراق الواصل الى بغداد ، كما أنها تتصل بمصر عبر الطريق البرى المحاذى للبحر الأحمر[٥] ، وكانت هذه الطرق عامرة بالقوافل التجارية الكثيرة وكذلك قوافل الحجاج .

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٧،١٣٨ هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ترجمة عزالدين فوده ص٥٢، الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٨٥م القاهرة

(٢) الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص٦٣ ،،تصحيح بولس رايس ، باريس ١٨٩٤م

(٣) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص١٥٥ . نشر جامعة الملك سعود ١٤٠١ الرياض .

(٤) السباعى : تاريخ مكة ص٤٠ .

(٥) المقدسى :أحسن التقاسيم ص١٠٧" ابن خرد اذبة : المسالك والممالك ص١٣٥،١٣٦،١٤٦، ١٤٧،١٥٠ .

ولاشك أن من أهم العوامل التى ساعدت على ازدهار التجارة وجود الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ولهذا فان تهافت الناس من كل صوب الى مكة هو استجابة الله لنبيه ابراهيم عليه السلام حينما قال (ربنا انى اسكنت من ذريتى بود غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)(١) فالناس غنيهم وفقيرهم يفدون الى هذا البيت ليؤدوا فريضة الحج التى فرضها الله عليهم فيفد الفقير الذى لايجد سوى مايؤدى به هذا الركن , والغنى الذى يصطحب تجارته معه وهو ماعبر عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات)(٢)فيفد الناس الى الحجاز من كل مكان من المشرق والمغرب ومعهم مختلف منتجات بلادهم الزراعية والصناعية فتزدحم أسواق مدن الحجاز بهذه البضائع وترخص الأسعار (ويباع فيها مختلف السلع من الذخائر النفيسة الى الجواهر والياقوت وسائر الأحجار ومن أنواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية ، وماجلب من بضائع الهند والحبشة والسودان واليمن وخراسان والمغرب ممالا ينحصر ولاينضبط)(٣) وما أن ينته موسم الحجاج وينصرف الحجاج الى بلادهم حتى تصبح الطرق التى يسلكونها والمدن والقرى التى يمرون بها أسواقا تجارية يكمل فيها بيع سلعهم التى جلبوها معهم ويبادلون بها السلع المحلية فلاتنحصر فائدة هذا الموسم فى أسواق مكة والمدينة فقط بل نراها تشمل أماكن أخرى كثيرة وبالذات التى تقع على طرق الحجاج البرية والمنافذ البحرية التى ينزلون بها مثل جده فيبيعون فيها مايستطيعون .

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٧ .

(٢) سورة الحج آية ٢٨ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص٩٧ .

ومن العوامل التى أدت الى ازدهار التجارة ونمائها استقرار الأوضاع السياسية فى بلاد الحجاز واستتباب الأمن فيه وذلك لأن استقرار الأوضاع السياسية ييسر للناس سهولة التعامل وتبادل المتاجر فيأمنون على بضائعهم من السطو والضياع ويكون لهم حرية الانتقال من موقع الى آخر لترويج بضائعهم ، فحينما دخل العليحى مكة عام ٤٥٤هـ أمن الحجاج والتجار بدخول مكة أمنا لم يشهدوه من قبل وانعكس ذلك الأمن على أرزاق الناس ومعاشهم فكثرت فى مكة وجلبت من خارجها فتعددت الأصناف ورخصت الأسعار(١) ، ولما فرض أبوالفتوح سلطانه على مكة فى مستهل القرن الخامس واستطاع أن يمسك بزمام الأمور ويدير الناس بحزم وقوة وأدى ذلك الى استقرار الأمور فازدهرت التجارة نتيجة الأمن فى مكة المكرمة(٢) .

ومن عوامل الازدهار التجارى فى بلاد الحجاز أمن الطرق وسهولة السير فيها نتيجة للجهود والأعمال التى قام بها الخلفاء والسلاطين والأمراء ، كاقامة المحطات للاستراحة وتوفير المياه وتوضيح معالم الطريق ، وقد قام الخليفة المهدى (١٥٨ - ١٦٩هـ) بنشاط كبير فى هذا المجال فبنى القصور واتخذ المصانع وحدد معالم الطرق ونظف البرك من الأوساخ وحفر الركايا ليشرب منها الناس(٣) ، ثم أصبح تحديد منافع الطرق التى يسير عليها الحجاج عمل يقوم به الخلفاء وغيرهم من ذوى المال والثراء تقربا الى الله سبحانه وتعالى فسار على هذا النهج خلفاء وأمراء

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص٤٦٨ .

(٢) المسبحى : أخبار مصر فى سنتين ص٤٤ . تحقيق وليم ج مليود .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٥٢ .

الدولة العباسية فى عصرها الثانى فقد قام بدرالدين بن حسنويه (١) باصلاح الطرق وحفر بها الآبار لتوفير المياه (٢) .

كما كان لجمال الدين الأصبهانى (٣) جهود فيها (فبنى الجباب واختط المنازل فى المفازات وأمر بعمارتها لأبناء السبيل وجميع المسافرين) (٤) كما بنى أبوعبدالله الحسين بن سلامة (٥) المساجد والجوامع على الطريق الموصل بين اليمن ومكة وجعل فيها المناثر الطوال لتكون معلما للطريق كما حفر فيها الآبار ليشرب منها المسافرون (٦) كما عمل الأمير جنقل قتلع (٧) على صيانة الآبار التى فى

---

(١) بدرالدين بن حسنويه : كردى من ملوك ناحية دينور وهمدان له صدقات كثيرة وأعمال بر يصرفها على الحرمين ، كما كان كثير العبادة توفى سنة ٤٠٥هـ وترك أموالا كثيرة (ابن كثير ، البداية والنهاية ج١١ ص٣٥٤) .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص٣٥٤ .

(٣) جمال الدين الاصبهانى : وزير آل زنكى كان كثير أعمال الصدقه والبر وله آثار حسنة بالمدينة ومكة وتوفى سنة ٥٥٨هـ ونقل جثمانه فدفن فى رباط بناه لنفسه بالمدينة (ابن كثير ، المصدر السابق ج١٢ ص١٤٩) .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص١٠٣ .

(٥) الحسين بن سلامة : أمير تهامة اليمن كان كثيرالصدقات عادل فى رعيته توفى سنة ٤٠٢هـ (بامخرمه : تاريخ ثغر عدن ج٢ ص٦١) .

(٦) بامخرمه : المصدر السابق ج٢ ص٦١ .

(٧) جنقل قتلع : أحد أمراء الحج العباسيين . ولى امارة الحج سنة ٤٦٨هـ — استطاع مقاومة الاعراب وقطاع الطرق للحجاج وكان حسن السيرة محافظا على الصلوات كثير التلاوة له اصلاحات فى طريق مكة توفى سنة ٤٧٩هـ . (ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص١٣٢) .

فى الطريق وحفرها وتبعه فى هذا العمل السلطان ملكشـــاه[1] السلجوقـــى[2] وكان لهذه الأعمال أثر كبير على ازدهار التجارة حيث توفر الأمن والماء وغدت القوافل تسير عبر هذه الطرق بسهولة ويسر وعلى الرغم أن هذه الأعمال قصد بها تسهيل سفر الحاج الا أنها أفادت التجارة كثيرا حيث ترتبط التجارة بالحج الى حد كبير .

كما لاتقل سلامة الطرق البحرية أهمية عن الطرق البرية فحينما قام الفاطميون بحماية تجار الكارم فى البحر الأحمر وحماية السفن التجارية التى ترسو بميناء عيذاب بأسطولهم البحرى والذى يتكون من عدد المراكب فاستتب الأمن فى هذا الطريق البحرى ، وازدهرت حركته التجارية[3] .

أما عن الطرق التجارية فى الحجاز فقد عرف الحجاز منذ القدم أنه موطىء التجار يفدون اليه من كافة الأرجاء ويضعون فيه عصا الترحال وذلك لحركته التجارية المزدهرة .

---

(١) ملكشاه : جلال الدين بن ألب أرسلان ورث الدولة السلجوقية بعد وفاة والـــده وكان يحكم مابين بلاد الترك واليمن واستتب فيها الأمن ، حكم تسعة عشرة سنة وكانت وفاته سنة ٤٨٥هـ (ابن كثير،البداية والنهاية ج١٢ ص ١٤٢،١٤٣)

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ج١٢ ص ١٤٢،١٤٣،١٤٤ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١١٨ ، القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص ٩٩،١٣٠ ، نشر دار النهضة ، مصر ، القاهرة .

وقد اتخذت القوافل التجارية طرقا تسير عبرها من أماكن الانتاج للمحاصيل والمصنوعات الى مواقع السوق التجارية ، ومن الموانئ البحرية الى الأسواق الداخلية فى المدن ، وليست تلك الطرق خاصة بالتجار وحدهم بل هى عامة لكل المسافرين وقد كانت مكة المكرمة محطة تجارية ونقطة وصل بين المحطات الأخرى فى بلاد الحجاز وبخاصة فى شبه الجزيرة العربية ، فترتبط بطرق برية متعددة ينتهى بعضها اليها والبعض يستمر فى سيره الى نقطة أخرى .

ومن الطرق البرية فى بلاد الحجاز الطريق الموصل بين مكة المكرمة وجدة ولهذا الطريق أهمية كبرى حيث يسير عليه الحجاج القادمون عبر ميناء جدة كما تحمل البضائع القادمة عبر البحر الأحمر الى مكة على هذا الطريق .

وقد سار عليه الرحالة ابن جبير والرحالة القاسم التجيبى . فوصفا مراحله وقدر ابن جبير الايام التى يقطع بها بليلتين (١).

ويبدأ هذا الطريق من مكة ويأخذ الى اليسار ويمر بمحطات ومنازل من أهمها القريتين (٢) . وبها آبار للمياه يشرب منها المسافرون (٣) . ويخرج منها الى حده (٤) على بعد عشرين ميلا عن القريتين وهى موطن استراحة للمسافرين لوجود النخيل والمزارع بها ومنها يصل الطريق الى حده (٥) .

---

(١) الرحلة ص٥٧ ، مستفاد الرحلة والاغتراب ص٢١١،٢١٢،٢١٣ .

(٢) القريتين : قرية بين مكه وجده (التجيبي . مستفاد الرحلة والاغتراب ص٢٢٢ ، ٢٢٣) .

(٣) التجيبى : مستفاد الرحلة والاغتراب ص٢٢٢،٢٢٣ .

(٤) حدَّه : واد فيه حصن ونخل بين مكة وجدة (ياقوت :معجم البلدان ج٢ ص٢٢٦)

(٥) ابن جبير : الرحلة ص٥٧ . ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٢٢٦ .

ومن الطرق المحلية التى تربط بين مدن الحجاز طريق مكة المدينة ولهذا الطريق أهمية خاصة لأن تجارة الشام تنقل عبره الى المدينة ومكة كما يسير عليه حجاج الشام وغيرهم من الحجاج الذين يمرون بدمشق وقد سار على هذا الطريق عدد من الرحلة منهم ابن جبير والبلوى فوصفا معالمه (١) ، وقدر المقدسي مسافته بثمان وثلاثمائة ميلا بينما قدره ابن رسته بسبع وتسعين ومائتين ميلا (٢) ، ويقع على هذا الطريق عدد من البلدان التى يستريح بها المسافرون ومن أهمها السيالة (٣) وهى بلد فيها سوق صغير وماؤها من الآبار يستريح فيها الناس من عناء السفر ويشترون منها مايحتاجون وعلى بعد ثلاثة واربعين ميلا منها تقع الرويثه (٤) وتزداد أهميتها فى أيام الحج حيث برك الماء التى يشرب منها الحجاج . وتليها السقيا (٥) على بعد ستة وثلاثين ميلا وهى منزل للمسافرين وفيها بساتين كثيرة ونخيل (٦) .

ومن المنازل مر الظهران (٧) . وهى واد خصيب كثيرة النخيل تسقيها عيون فواره

---

(١) الرحلة ص ١٦١، ١٦٢ . تاج المفرق ص ١٦٥ .

(٢) أحسن التقاسيم : ص ١٨٧ . الاعلاق النفسية : ص ١٧٨ .

(٣) السياله : وهى أول مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٢٩٢) .

(٤) الرويثه : وهى على ليلة من المدينة بين مكة والمدينة . (ياقوت : المصدر السابق ج٣ ص ١٠٥) .

(٥) السقيا : قرية كبيرة من عمل الفرع بينها وبين الجحفه ١٩ ميلا (ياقوت : المصدر السابق ج٣ ص ٢٢٨) .

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٨٧ ، ابن رسته : الأعلاق النفسية ص ١٧٨ .

(٧) ابن جبير : الرحلـه ص ١٦١ .

وترتبط مكة مع الطائف بطريق برى له أهميته التجارية حيث تحمل الى مكة حاصلات الطائف الزراعية ومنتجاتها الصناعية كما ينقل اليها عبر هذا الطريق بضائع أهل السروات ، ويبدأ هذا الطريق من عرفات مرورا بجبال كرا ثم يظهر على الهدى ومنه يصل الى مدينة الطائف (١) .

وبالاضافة الى هذه الطرق المحلية ترتبط الحجاز عبر طرق تجارية برية بعدد من أقاليم شبه الجزيرة العربية ومنها اليمن ، وذلك عبر طريقين بريين أولهما يعرف بطريق تهامة ولهذا الطريق أهميته التجارية الكبرى لسهولة السير فيه حيث يمر بعدد من المدن والقرى ، ويخرج من مكة متجها الى الجنوب الا أن منطقة تهامة كثيرة الأوبئة مما يضر بالمسافرين ويؤثر على السلع التجارية لشدة الحر التى يتعرض لها فى تهامة ، ومن المحطات والمدن التى يمر بهـــا يلملم (٢) وهى ميقات أهل اليمن وبها آبار وعيون يستراح حولها ، ومن المدن التى يمر بها السرين (٣) وهى مدينة كبيرة بها سوق تجارى وهى ميناء السروات حيث تصلها مختلف سلعهم وبضائعهم وتصدر عن طريقهـــا (٤) وعلى بعد ستة فراسخ تقع محطة أخرى هى مدينـة حلى وبها سوق تجارى وهى ميناء للقرى المجاورة لها ،ومن المدن أيضا ضنكان (٥) وبها سوق تجارى وحوانيت تحفظ بها السلع التى ترد اليها من القرى القريبة منها ، ويليها من المحطات عشـــر (٦) وهى مدينة كبيرة بها مستراح للناس حيث الآبـــــار

---

(١) الحربى : المناسك ص٦٥٣ .

(٢) مجهول : المنازل . ورقة ٢ مخطوط الحربى . المناسك ص١٤٦ .

(٣) راجع ص٤٧ من هذا البحث ففيه تعريف كامل عنها .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص٨٥١ .

(٥) ضنكان : وادى فى أسافل السراه يصب فى البحر وبه مدينة ضنكان (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص٤٦٤) .

(٦) عشر : بلد باليمن وبينها وبين مكة مسافة عشرة أيام (: ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٨٤) .

والعيون المنتشرة بها ولها سوق كبير للتجارة ويستمر هذا الطريق عبر وديان ومخاليف حتى يصل الى صنعاء (١) .

كما يرتبط الحجاز باليمن بطريق آخر لايمر من الساحل ويمتاز باعتدال الهواء وكثرة المياه التى فى منازله مماجعل رعاة الابل والغنم يفدون الى هذه المنازل فيبادلهم المسافرون السلع فيها (٢) .

ويخرج هذا الطريق من مكة مارا بالطائف وبعدد من البلدان والمنازل ومن أهمها تربة (٣) وبها عيون جارية ومزارع يستراح بها (٤) ، وهى على بعد يومين من مكة . ومن منازله بيشة (٥) وهى بلدة كبيرة فيها المياه والمزارع ، ومنها أيضا بنات حرم (٦) مساكن كثيرة ومياه يشرب منها المسافرون كما يمر بمدينة صعده (٧) باليمن وهى موطن تجارات وفيها صناعة الأدم المشهورة (٨) .

---

(١) مجهول : المنازل . ورقة ٢ الحربى . المناسك ص٦٤٦ .

(٢) الغنيم : جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك البكرى ص٢٥٦ .

(٣) تربه : وادى بالقرب من مكة على يومين عنها (ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص٢٠) .

(٤) ياقوت : المصدر السابق ج٢ ص٢٠ .

(٥) بيشه : مدينة تقع جنوب الجزيرة العربية

(٦) بنات حرم : قرية فى اليمن بها مياه ومزارع (ابن خرداذبه .المسالك والممالك ص١٨٨) .

(٧) صعده :مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا (ياقوت :معجم البلدان ج٣ ص٤٠٦) .

(٨) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص١٨٨، ١٨٩ .

أما طريق الحجاز اليمامة فيخرج من مكه متجها الى الشرق ويلتقى مع طريق البصرة فى القرنين وهى من أهم المحطات التى تقع عليه وفيها مياه كثيرة (١) كما تقع عليه عدد من المنازل والبلدان من أهمها صدا (٢) . وفيها مياه كثيره مماجعلها مستراحا للمسافرين (٣) ومنها أيضا العرض (٤) وهو واد وتكثر فيها المياه العذبه (٥) ويتصل الحجاز بعمان بطريقين بريين عبر اليمامة أو عبر اليمن ، فالطريق الذى يمر باليمن هو الطريق الساحلى الذى يصل مكة باليمن ويستمر من اليمن مارا بعدد من المنازل والمحطات والمدن (٦) ومن أهمها مخاليف اليمن ومنها مخلاف الركب وبنى مجيد كما يمر بقرية عبدالله (٧) ، وهى مدينة كبيرة ومبانيها كثيرة وبها أسواق تجارية (٨) ومن المنازل التى على الطريق الشحر (٩) وقد اشتهرت بالعنبر الشحرى الذى يصدر منها (١٠) ، أما الطريق الآخر فهو الذى يخرج من اليمامة عبر يبرين الكبيرة ثم يصل الى عمان (١١) .

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ١٩١ .

(٢) صد موقع مياه قامت عليه بلده صغيرة (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٣٩٦)

(٣) ياقوت : المصدر السابق ج٣ ص ٣٩٦ .

(٤) العرض واد باليمامة ويقال لكل واد فيه مياه وقرى (عرض) (ياقوت : المصدر السابق ، ج٤ ص ١٠٢) .

(٥) ياقوت : المصدر السابق ج٤ ص ١٠٢ .

(٦) ابن خرداذبه : المصدر السابق ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣

(٧) قرية عبدالله : لايعرف عبدالله من هو مدينة كبيرة ذات أسواق وعمارة واسعة . (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٣٤١) .

(٨) ياقوت : المصدر السابق ج٤ ص ٣٤١ ا

(٩) الشحر : موضع بين عدن وعمان واليها ينسب العنبر الشحرى (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٣٢٧) .

(١٠) ياقوت : المصدر السابق ج٣ ص ٣٢٧ .

(١١) يبرين : واحة رملية من حجر اليمامة . وقيل من أسقاع البحرين (ياقوت : المصدر السابق ج٥ ص ٤٢٧) .

(١٢) ابن خرداذبه : المصدر السابق ص ١٤٧، ١٤٨. ياقوت : المصدر السابق ج٥ ص ٤٢٧

أما عن الطرق الخارجية فترتبط الحجاز بالعراق بطريقين بريين أحدهما يصل الى الكوفه و الآخر الى البصرة .

أما طريق الكوفة فمسافته خمس واربعون وسبعمائة ميل وقد سار عليه الرحالة ابن جبير فعرفه ووصفه كما وصفه الحربي (١) ، وهو يخرج من مكة متجها الى الشمال الشرقي وله أهميته التجارية حيث ينقل الحجاج والتجار القادمون من العراق عبر هذا الطريق سلعهم وبضاعهم الى مكة ويرجعون بعد الحج ببضائع مختلفة مماعرض بأسواق الحجاز في موسم الحج (٢) ويمر هذا الطريق بعدد من المحطات والمنازل ومن أهمها سميراء (٣) حيث يتاجر أهلها مع الحجاج وبها مجموعة من الآبار وحولها منطقة يفور منها الماء (٤) . وتليها فيد وهي بلدة معمورة بالسكان من الاعراب وتقوم فيها تجارة مع المارين بها من الحجاج وغيرهم ويبقون فيها يوما للراحة (٥) والتجارة ومن المنازل الثعلبيه (٦) وبها سوق تجاري كبير يفد اليها الاعراب بالجمال ومنتجات حيواناتهم من السمن واللبن ونحوه (٧) ، ومن المحطات الهامة على طريق الكوفة بركة زبالة وهي موطن استراحة للحجاج ، وبها سوق كبير كما أن بها آبار للمياه العذبة ، ومن المدن التي يمر بها الطريق

---

(١) الحربي : ص٣١٤،٣١٥ . وابن جبير : ص١٨٢.

(٢) سيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحج ص٢٢ . جده عام ١٤٠١هـ .

(٣) سميراء : منزل به ماء بعد قوز معدا وقبل الحاجز (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص٢٥٦) . (وهي الآن قرية معروفة قرب حائل) .

(٤) الحربي : المناسك ص٣١٤،٣١٥ ، وابن جبير : الرحلة ص١٨٢.

(٥) الحربي : المناسك ص٢١٤ . ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٢٨٢ .

(٦) الثعلبيه : ثلث الطريق بين مكة المكرمة والكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيميه (ياقوت : المرجع السابق ج٢ ص٧٨) .

(٧) الحربي : المناسك ص٢٩٤ ، وابن جبير : الرحلة ص١٨٤ .

واقصه[1] وفيها مياه ويلتقى أهل الكوفة والحجاج بها ومعهم الدقيق والخبر والتمر والأدم والفواكه وهى آخر مراحل هذا الطريق[2] .

أما الطريق الآخر فيربط مكة بالبصرة ويخرج من مكة متجها الى الشمال الشرقى مارا بعدد من المحطات والمنازل يلتقى بعضها مع الطريق الذى يربط اليمامة بمكة وطريق البحرين الذى يمر باليمامة ، وقدر طول هذا الطريق بسبعمائة ميل[3] ، ومن أهم البلدان التى يمر بها وجره[4] والتى منها يحرم بعض أهل العراق لقربها من ميقاتهم (ذات عرق) وفيها مياه ومراع يستراح بها ، ويليها مران وبها مياه كثيرة وآبار عذبة[5] .

ومن المحطات الهامة على هذا الطريق ضريه وهى ملتقى طرق تجمع بين أهل البصرة واليمامة والبحرين ، وهى بلدة عامرة[6] ، ومنها أيضا النباج[7] وهى قرية فيها مياه ونخيل وموطن للتجار الذين يقايضون المسافرين الذين يمرون بها[8] .

---

(١) واقصة : منزل بينه وبين الكوفة ثلاثة أيام . (ابن جبير : الرحلة ص١٨٦)

(٢) ابن جبير : المصدر السابق ص١٨٦ .

(٣) ابن رسته : الأعلاق النفسية ص١٨٣ .

(٤) وَجْرَة :بينها وبين مكة نحو اربعين ميلا.(ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٣٦٢)

(٥) الحربي : المناسك ص٦٠١ .

(٦) الحربى : المناسك ص٥٩٤ .

(٧) النباج : قرية بين مكة والبصرة منزل للحجاج على عشر مراحل من البصرة .
(ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٢٥٥) .

(٨) الحربى : المصدر السابق ص٥٨٧ .

وترتبط الحجاز بطريق تجارى برى مع الشام يخرج من المدينة متجها الى الشمال الشرقى مارا بعدد من المدن والقرى ، وقد سار على هذا الطريق كل من الرحالة ابن رشيد والبلوى فوصفا معالم هذا الطريق (١) ، ومن أهم المحطات والمنازل التى تقع عليه وادى القرى ، وبه قرى متناشرة عامرة بالمساكن وفيها المياه المتدفقة (٢) ، ومنها العلا (٣) وبها عيون كثيرة ومزارع يستراح بها (٤) ، كما يمر الطريق بتبوك وهى مدينة قديمة بها ينابيع تفور ونخيل وحدائق يستظل بها (٥) ، ويمر بالكرك (٦) وهى مدينة كبيرة تكثر فيها العيون والآبار وتفل بساتينها ألوان الثمار (٧) ، ومن منازل هذا الطريق جفار المعطم (٨) وهى منزل لأهل الشام المسافرين الى الحجاز وفيها مياه يشربون منها (٩) .

---

(١) حمد الجاسر : الحجاز فى القرن السابع الهجرى على مافى رحلة بن رشيد مجلة العرب ، المجلد الثامن ، السنة الرابعة صفر ١٣٩٠هـ ص من ٤٥٠ الى ٤٥٨ تاج المفرق ج١ ص ٢٧٦، ٢٧٧ .

(٢) مجهول : المنازل ، ورقة ٣

(٣) العلا : اسم لموضع من ناحية وادى القرى . بينه وبين الشام (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ١٤٤) .

(٤) مجهول : المنازل ، ورقة ٣ .

(٥) مجهول : المنازل ، ورقة ٣ .

(٦) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا فى طريق الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وحولها القرية (ياقوت : المصدر السابق ج٤ ص ٤٥٢) .

(٧) البلوي : تاج المفرق ج١ ص ٢٧٧ .

(٨) جِفَار المعطم : هو أرض كلها رمال أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبى (ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ١٤٥) .

(٩) الجاسر : الحجاز فى القرن السابع على مافى رحلة ابن رشيد ، مجلة العرب المجلد الثامن السنة الرابعة صفر ١٣٩٠هـ ص ٤٥٢ .

وتتصل الحجاز بمصر بطريقين بحرى وبرى والطريق البحر سيأتى الكلام عليه أثناء الحديث عن الطرق البحرية ، أما البرى فهو الذى يخرج من المدينة متجها نحو الشمال ويلتقى مع طريق الشام فى قرية السقيا ثم يتجه الى ضبا (١) بعد أن ينفصل عنه ويبدأ بمحاذاة الساحل ، وقد سار عليه عدد من الرحالة كالعبدرى وعبدالسلام الدرعى (٢) ، وغيرهم فوصفوه منزلا منزلا ولكن هذا الطريق لم يستمر فقد توقف منذ منتصف القرن الخامس وحتى منتصف القرن السابع الهجرى ، نتيجة لبسط الصليبيين نفوذهم على بلاد الشام وفلسطين مما أضعف الأمن على هذا الطريق (٣) ، ويقع عليه عدد من المحطات والمنازل والقرى من أهمها : السقيا وهى منزل فيه مياه جارية وبساتين كثيرة (٤) ، ومنها ضبا وهى أول مدن الساحل التى يمر بها الطريق وفيها آبار عذبة يشرب منها المسافرون (٥) ومن تلك المحطات أيلة (٦) وهى قرية كبيرة ذات أسواق تجارية (٧) ، ومن المحطات التى يمر عليها القلزم وهى بلدة فى أعلى البحر الأحمر تنتهى اليها السفن التى تحمل البضائع الى البحر المتوسط (٨) .

---

(١) ضبا : تقع قرب خط ٢٢-٢٧ شمال وخط طول ٣٨ - ٣٥ شرقا وتتبع منطقة تبوك (سيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحج ص ١٣٠) .

(٢) الرحلة العبدرية ص ١٥٧ ، الجاسر : ملخص رحلة ابن عبدالسلام الدرعى ص ٤٥،٤٦،٤٧ دار الرفاعى .

(٣) المقريزى : الخطط والآثار ج١ ص٢٠٢ ، بيروت . حسن عثمان : البحر الأحمر كطريق تجاري في عهد البيزنطيين والعرب والمماليك كتاب رحلة كلية الآداب ص ٧٠

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ٢٢٨ .

(٥) الغنيم : جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك للبكري ص ٥٤ .

(٦) أيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر . آخر الحجاز وأول الشام (ياقوت : المصدر السابق ج١ ص ٢٩٢) .

(٧) الغنيم : جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك للبكرى ص ١٥٤ .

(٨) ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٣٨٨ .

ولقد حظيت هذه الطرق بخدمات كبرى لضمان سير القوافل عليها فأقيمت الفنادق وحفرت الآبار وأنشئت عليها أحواض المياه وشيدت الخانات الكبيرة عبر الطرق الصحراوية لراحة المسافرين وحمايتهم من الظروف المناخة كما وضعت علامات لتدل القوافل وتهديها الى الطريق (١) .

وقد اتخذت القوافل التجارية البرية تنظيما معينا تسير عليه ومن ذلك أن يسير على رأس القافلة قائد أو أمير يقع الاختيار عليه لمناسبته لهذا المركز القيادى وتصبح كلمته نافذة على الجميع حتى لاتتعدد الآراء فتتفرق القافلة ، ويعاون هذا الأمير نائب له يساعده فى تنظيم أمور المسافرين معه ، ويشاركه الرأى فى اختيار أماكن الراحة التى تنعم بالماء والغذاء ، ويرافق القافلة عدد من المسافرين غير أصحاب الجمال التى تحمل البضائع على ظهورها ويراعى تنظيم البضائع المنقولة على القوافل حتى تصل الى نهايتها المحددة بسرعة مناسبة (٢) .

ومن المعروف عن طبيعة شبه الجزيرة العربية أنها منطقة صحراوية تعيش فيها الجمال التى تتلاءم صفاتها وشكلها مع أحوال المناخ الصحراوى الجاف كما تتلاءم مع الطبيعة الرملية والصخرية للجزيرة العربية وتصبر على الجوع والعطش (٣) . وكانت لها استخداماتها الكثيرة فى مناطق شبه الجزيرة العربية .

---

(١) هايد : تاريخ التجارة ص ٥٨ ، السليمان : النشاط التجارى ص ١٨٢ .

(٢) السليمان : المرجع السابق ص ١٣١ .

(٣) عبدالرحمن الشريف : جغرافية المملكة ص ١٥٥ .

وفى الحجاز استخدمت للتنقل بين مدنه المختلفة وعبر مشاعر الحج فى مكة المكرمة ، فيذكر ناصر خسرو أن جماعة من خراسان قدموا الى المدينة واستأجروا اعرابا حملوهم على جمالهم أوصلتهم الى عرفة فى يومين ونصف اليوم (١) ، وهى التى تنقل الناس من المدن ، وكانت أجرة الراكب من المدينة الى مكة خمسة دنانير (٢) .

وكان الأمراء يستخدمونها فى تنقلاتهم مع حواشيهم كما كانوا يستخدمونها فى أعيادهم ومواسمهم ، فيذكر ابن جبير أن هوادج الابل تكسى بأنواع الحرير أيام العمرة الرجبية وكانت وسيلة نقل بضائعهم من الموانئ الى الأسواق الداخلية ومن بلد الى آخر (٣) ، وللحاجة الماسة كانت تجلب من خارج الحجاز لسد النقص فى بعض السنوات ، فتذكر المصادر وجود سفن تنقل الجمال من بلاد النوبة عن طريق ميناء عيذاب الى جدة (٤) .

ومن وسائل النقل الخيل ، وكان نطاق استخدامها محدودا بسبب غلاء ثمنها ، وضيق مجال استخدامها ، فكانت عند الأمراء ، للحروب والمباهاة وتشارك فى المواسم والاعياد ، فيذكر ابن جبير أن الخيل كانت تستخدم فى العمر الرجبية حيث يلعب الفرسان بأسلحتهم عليها أمام موكب الامير احتفاء بهذه الليلية (٥) .
كما تستخدم فى المراكز التى تنشأ فى مضايق الطرق لأخذ الضرائب على القوافل التجارية القادمة الى الأسواق الداخلية فى مكة المكرمة وجدة (٦) .

---

(١) سفرنامه : ص ١١٢ .

(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق ص ١٤٢ .

(٣) الرحلة ص ١٠٧ .

(٤) ناصر خسرو : المصدر السابق ص ١١٩ .

(٥) الرحلة ص ١٠٨ .

(٦) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٤١ .

وهناك محطات تجارية تميزت عن غيرها بازدهار التجارة فيها ،ومنها :-

مكة المكرمة :-

تقع مكة المكرمة بين جبال عالية تحجب الرؤية عنها من بعيد لناظرها ،وهى مقامة فى الوادى الذى يمر بين الجبال ، كما أخبرنا عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (١) ، ويتوسطها المسجد الحرام وحوله المساكن والشوارع والأسواق ، وتحيط بها الجبال من كل مكان فتشكل سورا حاميا لها وتسد الثغرات والمنافذ التى بين الجبال بأسوار تبنى ويوضع عليها بوابات للدخول والخروج منها (٢) .

ويمكن اعتبار هجرة اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام الى مكة مبدأ تاريخها وتقع مكة على خط عرض ٢٠ درجة شمالا وعلى خط طول ٤٠ شرقا وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠ متر ودرجة حرارتها عالية فى فصل الصيف وقد تصل الى ٤٠ درجة تقريبا والشتاء فيها دافئ (٣) ، ولمكة ثلاث أبواب ، أولها باب المعلى ومنه يخرج الى الجبانة والثانى باب المسفل وهو الى جهة الجنوب وعليه طريق اليمن ، والثالث باب الزاهر ، ويعرف أيضا بباب العمرة وهو غربى وعليه طريق مدينة الرسول " صلى الله عليه وسلم " (٤) وتبنى بيوت مكة من حجارة سود وبيض ناعمة الملمس ، وفى أعلاها آجر كثيرة ويسقف بالساج ،وتتكون من طبقات وتتطلى باللون الأبيض (٥) ، ولايوجد بمكة مزارع ولا أشجار بل ذلك فى جهات خارجها حيث المياه المتدفقة والتربة الخصبة وآبارها مالحة لاتصلح للشرب ولذلك أقيمت بها أحواض كبيرة تمتلئ بمياه الأمطار التى تتدفق من الأودية فتصب فيها ويشرب أهل مكة منها ،كما تجلب اليها المياه من عرفات فينقلها

---

(١) سورة ابراهيم آية ٣٧ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص١٢٤ .

(٣) السباعى : تاريخ مكه ص١٥ ، ١٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص٨٧ ، ٨٨ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص١٨٧ .

الناس الى داخل مكة ويبيعونها (١) ، ومع تلك الشدة لايفتقد فيها أى نوع من أنواع الفواكه والخضروات ، فيروى الرحالة الذين زاروها (٢) أنهم شاهدوا وأكلوا فيها الفواكه والعنب والتين والخوخ والرطب والبطيخ فى مختلف الأزمان والفصول ، وتجلب لها من الطائف ، وهى المورد الرئيسى لها ، كما يجلب لها من وادى نخلة وبطن مر (٣) .

ونتيجة للحركة التجارية المزدهرة ، كثرت بها الأسواق فهناك سوق المروة وبه المواد الغذائية وفى ناحية المشرق سوق العطارين يمتاز بجمال مبانيه وحسن مظهره بالاضافة الى سوق البزازين قرب باب بنى شيبه (٤) ، وفى الموسم تنتشر أماكن لبيع الدقيق بدار الندوة الى جهة باب بنى شيبه (ومعظم سوقها فى البلاط الآخذ من الغرب الى الشمال ، وفى البلاط الآخذ من الشمال الى الشرق) (٥) ويقوم فيها أسواق موسمية كما هى الحال فى أسواق منى وعرفات والجمرات وغيرها (٦) ويقوم بها موسمان عظيمان للتجارة ، أحدهما أول رجب ، حيث اعتاد الناس العمرة الرجبية ، والثانى موسم الحج ، فيفد اليها خلق عظيم ، وتزدهر حركة البيع والشراء ، وذلك لكثرة القادم اليها من المشرق والمغرب ، يحملون معهم بضائع مختلفة وسلع متنوعة من العراق واليمن والحبشة والهند والصين ، كما يحمل أهل السرو نتاج محاصيلهم الزراعية فيفدون بها الى مكة (٧) ، أما عن سكانها فيحكمها الأشراف وهم من نسل الحسين بن على رضى الله عنهما " وفيها بقايا من قريش ، وقد وصفهم ابن المجاور بأنهم رجال سمر البشرة وطوال القامة لاختلاطهم مع غيرهم من الأجناس المختلفة وبالذات أهل النوبة والحبشة ، كما

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٢١٠،١٢٤ .

(٢) من الرحالة الذين زاروها ، ناصر خسرو سنة ٤٤١هـ ،وابن جبير سنة ٥٧٨ هـ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٢٤ .

(٤) ناصر خسرو : المصدر السابق ص ٢٢٤ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص ١٦٠ .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٣٢ .

(٧) ابن جبير : الرحلة ص ١٠٦ .

يسكنها أقوام من مختلف البلاد يفدون اليها للمجاورة ، وطلب العلم ، وحالتهم المعيشية ضعيفة ، ويتاجرون فى العقار والدواب من الجمال وغيرها من بينهم الفقير الذى لايجد مايأكله (١) ، ولقد كانت مكة أهم محطة تجارية برية فى شبه الجزيرة العربية لعظم تجارتها ووقوعها على ملتقى طرق تجارية هامة بلغت مبلغا عظيما منذ القدم ، فهى تقع على الطريق الغربى التجارى الذى يربط اليمن بالشام والذى ساهم فى جعلها محطا للسلع المختلفة من كافة الأرجاء حيث تباع فيها ثم تنقل منها بواسطة القوافل البرية الى الشام واليمن .

ولقد وكان لصعوبة الملاحة البحرية فى البحر الأحمر قديما أثر كبير على ازدهار هذا الطريق البرى (٢) .

وتجد تلك القوافل التى تمر بمكة الراحة والأمان من عناء الطريق ومشقته ، كما تجد فيها الماء والمؤن التى تحتاجها بالاضافة الى احتكاكها التجارى بأسواق مكة والتى كانت تزخر دائما بأصناف البضائع والسلع التجارية كالياقوت والجواهر والمسك والكافور والعنبر والعود والعقاقير الهندية الى غير ذلك من السلع التى ترد اليها من خراسان والمغرب والحبشة (٣) .

وتجلب القوافل التجارية الى مكة من أسواق اليمن العاج والصمغ والرقيق والجلود المدبوغة والبخور والزيوت والثياب الحريرية والصوفية والقطنية والأسلحة والغلال (٤)، ولم يتأثر سوق مكة التجارى رغم العمل بالطريق البحرى واستخدامه فى نقل البضائع التجارية بل صاحبه قيام موانىء تجارية تستقبل تلك البضائع وكان لها اسهام كبير فى ازدهار مكة المكرمة ، كجده التى أصبحت ميناء بحريا تتوالى عليها البضائع التجارية فتنقل الى مكة عبر طريق برى لاتزيد مسافته عن أربعين ميلا فقط .

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٢ .

(٢) الأفغانى : أسواق العرب ص ٢١٦،٢١٩،٢٢١ . السليمان : النشاط التجارى ص ١٦٠ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٩٧ . السليمان : النشاط التجارى ص ١٦٠

(٤) السباعى : تاريخ مكة ص ٤٠ .

وتتصل مكة بعدد من المدن والأقاليم عبر طرق برية مما ساعد على تبادل السلع بينها وبين تلك المدن والأقاليم وأصبح التبادل التجارى سمة من سمات التعامل فى موسم الحج (١)، وقبل أن تتحول التجارة الى البحر الأحمر، كانت القوافل البرية تنقل البضائع التجارية الهندية والصينية التى كانت تفرغ فى موانئ اليمن وقدر عدد الجمال التى تحملها بـ ٨٠ ألف بعير فى العام ، وكان يوقت لوصولها الى مكة فى موسم الحج ليتم عرضها على القادمين اليها فى هذا الموسم، وما ان ينته الحج حتى تأخذ القوافل التجارية طريقها لتبيع مابقى منها فى أسواق دمشق وتعود معها بالمنتجات الشامية والاوربية الى عدن مرورا بالحجاز .

ومالبثت أن تحولت التجارة فيما بعد الى البحر الأحمر ففدت مكة من أعظم المحطات التجارية وازدحمت أسواقها بالبضائع الهندية والصينية والأوربية والتى تصل الى ميناء جده عن طريق البحر الأحمر (٢) .

---

(١) القلقشندي : ج٤ ص٢٥٨ . السليمان : النشاط التجارى ص ١٦٠ .

(٢) زكى : طرق التجارة الدولية ص ١٣٩ القاهرة ١٣٩٣هـ . السليمان : النشاط التجارى ص ١٦٢، ١٦٣ .

المدينـة المنورة :-

تقع المدينة على حافة الصحراء وأرضها رطبة مالحة وفيها نخيل كثيرة ومياه غزيرة تسقى نخيلها من الآبار ، وقيل أن أول من سكنها اليهود وكانوا يقرأون فى التوراة صفة النبى " صلى الله عليه وسلم " وأنه يهاجر الى بلد فيه نخل بين حرتين فقدموا من الشام يبحثون عن تلك الأرض التى تطابق ماورد فى التوراة وذلك حرصا منهم على اتباعه ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل وعرفوا صفته قالوا هذا هو البلد الذى نريد فسكنوا فى المدينة ثم قدم عليهم فيما بعد بني عمرو بن عوف فسكنوا عليهم (١) .

ويقوم بأعمال الزراعة فى المدينة عبيدهم الذين جلبوا اليها من بلدان مختلفة . ويشبه نخيل المدينة بالغابة لكثافته (٢) ، ويحيط بها سور ، ولكنه تهدم مع طول الزمن ، فجدده جمال الدين الاصبهانى سنة ٥٤٠هـ ، ولما كثر الناس فى المدينة وسكنوا خارج السور جدده نور الدين محمود بن زنكى (٣) وأدخل سكان الأحياء الجديدة والذين كانوا فى الخارج الى داخله وذلك سنة ٥٥٧هـ ، ولهذا السور أربعة أبواب ، أحدها الباب الغربى ويعرف بدرب المصلى والثانى الباب الذى فى جهة المغرب ويعرف بالدرب الصغير والثالث الباب المعروف بالدرب الكبير وبالدرب الشامى ، والرابع الباب المعروف بباب البقيع فى شرق المدينة (٤) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص ٨٤ .

(٢) ناصر خسروا : سفرنامه ص ١١٠ . الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص ١٤٣ . العبدرى : الرحلة ص١٠٣ .

(٣) نورالدين بن محمود زنكي وولد سنة ٥١١هـ ، تولى الامارة سنة ٥٤١هـ وكان محاربا قويا ، توفى سنة ٥٧٧هـ . ابن قاضى شهبه : السيرة النورية ص ١٥، ١٦، ٢٣٠ .

(٤) السمهودى : وفاء الوفاء ج٢ ص ٧٦٨ و ص ٧٧٠ .

وبقرب المدينة تقع قرية قباء وبها مياه جارية وفيها مزارع وضياع لأهل المدينة وسكان المدينة قليلو المال واعمادهم على الزراعة ومنهم من يعيش عيشة (١) الفقراء لايجدون مايسد رمقهم ، وأهم زراعتهم النخيل حيث يوجد بها ثلاثمائة (٢) صنف وتُغل ثمرة كثيرة تنقلها القوافل الى أماكن متعددة داخل الجزيرة وخارجها وأشهر هذه الأنواع الصيحانى وهو مااشتهرت به المدينة ، كما ينبت فيها حب اللبان ومنها ينقل الى سائر البلاد (٣) .

والمدينة منذ القدم موطن للتجارات فكان لليهود قبل هجرة الرسول " صلى الله عليه وسلم " نشاط تجارى استمر حتى أجلاهم النبى " صلى الله عليه وسلم " منها وكانت القوافل التجارية الشامية والمصرية تحمل اليها الأمتعة والبضائع التجارية فتباع فى أسواقها (٤) ،كما كان لها اتصال تجارى مع الهند وشرق آسيا وينشط التبادل التجارى بين أهل المدينة والأعراب الذين يقطنون حولها حيث يجلب الأعراب بضائعهم من السمن والالبان والاغنام والخيول والجمال ويبادلهم أهل المدينة بمنتجات بلادهم الزراعية من القمح والشعير والذرة والمنسوجات (٥) .

وتزدهر تجارة أهل المدينة فى موسم الحج حيث كان الحجاج والتجار بعد أن ينقضى موسم الحج يفدون الى المدينة لزيارة مسجد الرسول " صلى الله عليه وسلم " والصلاة فيه فيعرضون مابقى معهم من سلع ومنتجات جلبوها من بلادهم (٦) .

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص١٤٣ .

(٢) الادريسى : المصدر السابق ق٢ ص١٤٣ .

(٣) القزوينى : آثار العباد ص١٠٧ .

(٤) الواقدى : المغازى ج١ص ٣٩٥. نورة آل الشيخ : الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة ص١٥٧ . نشر تهامة عام ١٤٠٣هـ جدة .

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٠ . الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٠ .

(٦) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ص ١٨٠ ط القاهرة ١٣٩٣هـ .

وللمدينة ميناء يعرف بالجار عن طريقه تصل مختلف البضائع والسلع التجارية ومن أهمها الحبوب والأطعمة بمختلف أنواعها ، والتى كانت ترد عن طريق مصر والحبشة واليمن والهند والصين فتفرغ السفن التى تحمل تلك البضائع حمولتها فى هذا الميناء حيث تنقل بعد ذلك الى المدينة (١) .

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص ١٤٤ ، حمد الجاسر : بلاد ينبع ص ٥٤٧ ، السليمان : النشاط التجارى ص ٢٠٧ .

الطائف :-

تقع الطائف على بعد خمسة وسبعين ميلا الى الجنوب الشرقى من مكة على ظهر جبل غزوان (١) ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ستة آلاف قدم مماساعد فى جودة مناخها، ويذكر الأقدمون أنه ربما جمد الماء فى سفح هذا الجبل ، وقد جذب هذا المناخ المعتدل أهل مكة بأن يقضوا فيها فصل الصيف ليخففوا عن أنفسهم حر مكة (٢) ،ولقد هيئ موقع مدينة الطائف وماتتمتع به من وسائل للحياة أن تصبح مدينة يستقر بها الناس حيث كانت زاهرة بخيراتها وسكانها وحضارتها (٣) .

وكان أول من سكنها العمالقة واسمها القديم وج نسبة الى وج بن عبدالحى وتذكر بعض الروايات أن قوم ثمود هم الذين نزلوا الطائف بعد العماليق (٤) ويذكر ابن الأثير أن أرض الطائف قديما كانت لعدوان بن عمرو بن قيس بن مضر فلما كثر بنو عامر بن صعصعة من هوازن غلبوا على الطائف وكانوا يقضون بها فصل الصيف ، بينما شتاؤهم بأرض نجد (٥) ، وأيا كان الرأى الراجح فقد كانت الطائف مدينة صغيرة بالنسبة الى كثافة عمرانها وفيها سوق تجارى تقوم فيه تجارة أهلها والوافدين اليها وعليها سور محكم عانى منه المسلمون أثناء فتحها (٦) . والطائف بلد

---

(١) نادية صقر : الطائف ص ٢٣ جده ١٤٠١هـ الطبعة الاولى .

(٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٨ .

(٣) السيد سالم : تاريخ العرب ص ٣٢٢ .

(٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٦٠ .

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج١ ص ٤٢٠ .

(٦) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٣٧ .

زراعي ساعد اعتدال الجو فيها وخصوبة تربتها ووفرة مياهها العذبة على قيام نشاط زراعي فيها ،وأشهر غلاتها الحنطة والتي كانت تحمل منها الى مكة وغيرها من البلاد المجاورة لها ،كما اشتهرت بإنتاج الفواكه ،ففيها الرمان والكمثرى والبطيخ والموز والتين والعنب والسفرجل واللوز ، بالاضافة الى أشجار النخيل ، وقد كان أشهر ماتنتجه من هذه الفواكه العنب وهو عماد ثروتها الاقتصادية وكان يحمل منها الى مختلف البلاد طازجا ومجففا (١) .

وأهل الطائف أصحاب أموال كثيرة وغالب بضائعهم التي يتاجرون بها من انتاج بلادهم . كالثمار الزراعية والمنتجات الصناعية وأشهرها الأدم والذي عرف بجودته وارتفاع قيمته ومنه تصنع الاحذية الطائفية ذات الجودة والقوة (٢) ولقد شارك أهل مكة منذ القدم في نشاط الطائف التجاري فكان لهم فيها العقارات والبساتين (٣) واستمر هذا الوضع الى العصر الحاضر ، واشتهرت الطائف بأنها مركز تجاري مع أهل اليمن والعراق ومع تجار الشام كما استفادت من أسواق مكة المكرمة التي تزدهر التجارة فيها أثناء المواسم المتعددة فيجلبون لها منتجات بلادهم كما كانوا يبادلونها السلع والبضائع التي ترد في تلك المواسم من مختلف البلاد فيعودون بها الى بلادهم (٤) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٨ ط بيروت ١٣٩٨هـ . المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٩ . الادريسي : نزهة المشتاق ق٢ ص ١٤٤ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ق١ ص ١٤٤، ١٤٥ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٧ .

(٤) الطائف : نادية صقر ص ٤٦ .

أما فيما يخص الطرق البحرية فحافظ المسلمون عصورا طويلة على البحر الأحمر واحتكروه لأنفسهم حتى أصبح بحيرة اسلامية لايسمح لأى سفينة أجنبية الدخول فيه فعرفوا مسالكه وشعبه المرجانية واستفادوا من الرياح الموسمية فى رحلاتهم التجارية الى الخليج والهند والصين .

ولما كانت تجارة الحجاز البحرية قد اتخذت من البحر الأحمر مجالا رحبا لها فانه يحسن بنا التعريف بهذا البحر الذى حمل مسميات عدة ، فقد أطلق عليه الهمداني البحر الكبير وبحر الفرما (١) ، وسماه الاصطخرى بحر فارس وذكر أنه يمتد من القلزم الى مايحاذى بطن اليمن (٢) وقد وافقه المقدسي على هذه التسمية وذكر أن سبب التسمية يعود الى أن صناع المراكب كانوا فرسا (٣) ، كما أطلق عليه كل من ابن حوقل وناصر خسرو والقلقشندى اسم بحر القلزم وذلك نسبة الى مدينة القلزم التى تقع على الطرف الشمالى منه (٤) .

أما حدوده وأطواله فهو يبدأ من باب المندب وينتهى بمدينة القلزم ومقدار طوله الف وخمسمائة ميل ويتراوح عرضه مابين تسعة أميال الى أربعة عشر ميلا ويصل عمقه فى بعض المواقع الى أكثر من ٦٠٠٠ قدم وأعمق مناطقه الممتدة بين خطي ٢٠ و ١٦ شمالا ولايصب فيها أنهار وهو البقعة المائية التى تفصل بين قارتي آسيا وافريقيا (٥) .

---

(١) البلدان ص ٧ .

(٢) المسالك والممالك ص ٢٩ .

(٣) أحسن التقاسيم ص ١٨ .

(٤) صورة الارض ص ٤٤ . سفرنامة ص ٤٥ . نزهة المشتاق ج١ ص ٥ . القلقشندى ج٣ ص ٢٤١ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ج١ ص ١٢٥ . القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر ص ١٠ .

وكان للبحر الاحمر دور كبير فى ازدهار التجارة ونقل المتاجر من الشرق الى الغرب فازدهرت موانئه والتى كان لها الاثر على الحركة التجارية ،ومنها الموانىء الحجازية جدة والسرين والجار،فقد كانت السفن التجارية تفرغ حمولتها القادمة بها من الصين والهند وفارس وكرمان وعمان فى عدن فتنقلها سفن اسلامية من عدن الى موانىء البحر الاحمر عبر طريقين شرقي وغربى (١) .

أما الشرقى فيسير بحذاء ساحل البحر الاحمر الشرقى مارا بعدد من الموانىء أهمها غلافقه المنفذ البحرى لمدينة زبيد(٢) وحلى وهى مدينة كبيرة آهلة بالناس ويليها عدد من المراسى البحرية ،هى مرسى الأبواب(٣) ومن الشمال مرسى الحادث(٤) ثم الشرجة(٥) والتى فيها مخازن معدة لمحصول الذرة(٦) ، ثم الى السرين فرضة السروات ثم الى مرسى الشعبة(٧) وفيها تستريح المراكب البحرية لتواصل سيرها الى جدة وهى قاعدة هامة يتفرع منها طرق بحرية متعددة ،منها طريق يتجه شمالا الى القلزم وأيلة والطور وهى طريق الحج المصرى وتقع عليها محطات ومراس بحرية وصفها الرحالة ابن بطوطة(٨) حين سار على هذا الطريق من أهمها ، ينبع والوجه(٩)

---

(١) ربيع : وثائق الجزيرة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ ص ٢٤٣ .

(٢) زبيد : مدينة مشهورة باليمن (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ١٣١) .

(٣)،(٤) ذكرها ابن بطوطة ولم أجد لهما وصفا فلعلهما قاما لظروف معينة وانتهيا بزوالها .

(٥) الشَّرْجَة : بلدة تقع قبالة وادى الموسم من وداى حرض قال عنها ابن بطوطة : بلدة صغيرة يسكنها تجار من اليمن لهم مراكب وتجارة عريضة (المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٦ . الرحلة ص ٢٤٧) .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٤٧ .

(٧) الشعبة : قرية عامرة بينها وبين السرين ثلاث مراحل (الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص ١٣٨) .

(٨) الرحلة ص ٢٤٧ .

(٩) الوجه : المكان المعروف الآن بقلعة الوجه الواقعة شرق البلدة المعروفة حاليا بالوجه (الحربى : المناسك ص ٦٥١ حاشية ٨) .

وعوينـد(١) وظبـه(٢) والسنبك(٣) والمصلـى(٤) ، (٥) وتنتهى بعض السفن القادمة من القلزم والتى تسير على هذا الطريق بميناء الجار ، وتواصل سيرها منه مارة بالمراسى البحرية الواقعة على حافة الطريق الشرقى الى اليمن وعدن ومنها الى الهند والصين (٦) .

وللطريق الشرقى مميزات أهمها أنه الطريق الموصل الى مكة عبر جده ولـذا فهو يخدم الحجاج القادمين عليه ، كما يستفيد منه التجار بنقل بضائعهم الى مكة حيث موسم الحج ثم يواصلون سيرهم من جدة بعد نهاية الموسم شمالا أوجنوبا وكثرة المراسى الواقعة على هذا الطريق تساعد أصحاب السفن بالتزود بمايحتاجون اليه كما أنها تمثل مكانا آمنا يلجئون اليه اذا أصابتهم ظروف نتيجة الرياح البحرية التى تهب عليهم فى مسيرهم أو قطاع طرق ينتظرونهم (٧) .

أما الطريق الغربى فهو المحاذى لساحل البحر الاحمر من الغرب ويبـدأ من

---

(١) عوينـد : ساحر عامر كثير انعسل فيه مرسى السفن (المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٥) .

(٢) ظبـه : بلـده معروفة الآن قاعدة تلك الناحية (الحربى : المناسك ص ٦٥١ ، حاشية ٨) .

(٣) السنبك : يطلق عليه المويلح . وهو بندر عظيم الارزاق وبه أسواق كثيرة يجلب اليها البضائع من كل مكان (الورثيلانى : نزهة الانظار ص ٣٧٠) .

(٤) المصلى : يرى موزل أنه عين مكان المويلح المعروف (الحربى : المناسك ص ١٥١ حاشية ٦) .

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٩١ . الحربى : المناسك ص ٦٥١، ٦٥٢ .

(٦) ناصر خسرو : سفرنامـه ص ٨٦ .

(٧) القلقشندى : صبح الاعشى ج٢ ص ٤٦٥ . العبيدي : التجارة والملاحة فى البحر الاحمر . رسالة جامعية لم تنشر ص ١٣١ .

اليمن والحبشة حيث يمر بأهم مرسى فيه جزيرة (دهلك)(١) ومنها الى سواكن(٢) التى تصلها سفن الحجاج الأفارقة والتجار القادمين من جدة ويعتبر هذا الطريق هو النقطة الواصلة بين الطريق الغربى والطريق الشرقى وينتهى الى نقطة هامة هى ميناء عيذاب ، ومنها تتفرع عدة طرق متعددة من أهمها الطريق البحرى الذى يصلها بجدة ويسير عليه حجاج مصر والمغرب ويستمر الطريق شمالا الى القصير(٣) ، والتى تنطلق منها الحجاج وتجار اليمن ، ولهذا الطريق مميزات(٤) أهمها الموانئ الموجودة على سواحله وصلاحيتها لرسو السفن ووجود ماء الشرب على المراكز والمراسى الساحلية التى تحتاجها السفن باستمرار بالاضافة الى مايحققه من فائدة للتجار حيث يجدون المتاجر المختلفة فيبيعون ويشترون(٥) .

---

(١) دهلك : بفتح أوله وسكونه ثانية ولام مفتوحة وآخره كاف ، أسم أعجمى معرب وهى جزيرة فى بحر اليمن مرسى بين بلاد اليمن والحبشة (ياقوت :معجم البلدان ج٣ ص٤٩٢) .

(٢) سواكن : بلد مشهور على ساحل البحر الجار قرب عيذاب ترفأ اليه سفن الذين يقدمون من جده (ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص٢٧٦) .

(٣) القصير : موضع قرب عيذاب بينهما ٨ أيام وبينه وبين قوص ٥ أيام . (ياقوت : المصدر السابق ج٤ ص٤٦٧) .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٣٦٧ . العبيدى : التجارة والملاحة فى البحر الاحمر ص٣٣ .

(٥) ابن سعيد المغربى : الجغرافيا ص١١٧ ، تحقيق اسماعيل المغربى ط١ بيروت ١٩٧٠م .

ولقد حظيت صناعة السفن بعناية فائقة بسبب الخطورة التى يتعرض لها العاملون فى البحار ، وقد تميزت سفن بحر القلزم بوضع خاص جعلها تختلف عن غيرها من السفن المستعملة فى البحار الأخرى وذلك لطبيعة صناعتها والمواد المستخدمة فى تلك الصناعة ، ومن أهم هذا الاختلاف أنها لاتحمل المسامير انما تشد بالحبال وقد وصف ابن جبير ذلك قائلا : (والجلاب التى يصرفونها فى هذا البحر الفرعونى ملفقة الانشاء لايستعمل فيها مسمار البتة انما هى مخيطة بأمراس القنبار وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه (١) الى أن يتخيط ويفتلونه أمراسا يخيطون بها المراكب ويخللونها بدسر من عيدان النخيل فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش .... ومقصدهم من دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المرجانية ، ولذلك يصرفون فيه المركب المسمارى (٢)) ويقول الادريسى عنها (ومراكب البحر مؤلفة بالدسر ومخروزة بحبال الليف ومجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك (٣)) هكذا كانت صناعتها تبدأ بوضع الهراب على الارض ثم تربط الى ألواح أفقية على كلا الجانبين بخيوط من الليف المستخرجة من النارجيل أو من القنب ثم تشد هذه الألواح بعضها الى بعض بتلك الخيوط (٤) فاذا أكمل ذلك سد مابين الألواح بزيت الخروع أو بالسمن أو بدهن سمك القرش .

---

(١) أى يدوسونه .

(٢) الرحلة ص٤٧ .

(٣) نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٧–١٣٨ .

(٤) ابن جبير : الرحلة ص٤٧ . حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ص٢٤٨،٢٤٩ . القاهرة ترجمة السيد يعقوب بكر . العبيدى : التجارة والملاحة فى البحر الأحمر ص٢٧٩ .

وقد وردت تعليلات تفسر أسباب خلو سفن البحر الأحمر من المسامير والحديد فذهب البعض الى الاعتقاد بوجود جبال المغناطيس فى أعماق البحر والتى تجذب الحديد (١)، وقال المسعودى ان سبب ذلك يعود الى أن ماء بحر الحبش يذيب الحديد فتضعف معه المسامير التى تشد السفينة (٢)، ولايمكن اعتماد هذا الرأى نظرا لأن الملوحة والخصائص الكيميائية لاتختلف عن بعضها اختلافا يمكن القول به (٣).

وقال ماركوبولو فى وصفه للسفينة التى تعمل فى هرمز أنها مخاطة بنوع من الحبل المفتول الذى يؤخذ من ليف جوز الهند وذلك لأن خشب السفن شديد الصلابة ويتصدع حين استعمال المسامير (٤)، ولايمكن قبول هذا الرأى نظرا لأن الخشب الذى تصنع منه سفن البحر الأحمر هو الساج الذى عرف بليونته (٥) والحقيقة أن السبب فى ذلك يعود الى طبيعة البحر الأحمر حيث تكثر الشعاب المرجانية به ممايجعل السفن تتحطم عند اصطدامها ولذلك يلجأون الى استعمال الحبال دون المسامير وقد نبه الى هذه الحقيقة ابن جبير فقال : (ومقصدهم فى دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة فى هذا البحر) (٦) وبسبب هذه الصعوبة التى تواجه السفن فى البحر من جراء تلك الشعاب المرجانية يأخذ ربان السفن حذرهم واستعدادهم فيقول الادريسى: (والربانيون فى هذه المراكب لهم آلات متخذة بحكمة ومصنوعة فى

---

(١) الزهرى : الجغرافيا ص ٢٦٩ . تحقيق محمد حاج صادق .

(٢) مروج الذهب ج١ ص ١٦٣ .

(٣) حورانى : العرب والملاحة ص ٥٧ .

(٤) الرحلات ص ٥٨ ترجمة عبدالعزيز جاويد الهيئة المصرية للكتاب القاهرة

(٥) حورانى : العرب والملاحة ص ٢٥٦ .

(٦) الرحلة ص ٤٧ .

أعلى الصارى الذى يكون فى مقدمة المركب فيجلس بها الربانى ويبصر مالاح أمامه من التروس التى تحت الماء تخيفه فيقول للماسك على المركب "خذ اليك وأدفع عنك" (١) وهكذا نرى مدى الاستعداد والحيطة لأخطار تلك الشعاب المرجانية فى البحر الأحمر ، ومدى ماستحدثه من أضرار فى السفن اذا اصطدمت بها لو كانت صناعتها بالمسامير الحديدية ومدى ماستتحمله حين يكون المركب لين خيط بأمراس النارجيل (٢) .

ولقد كانت سفن البحر الأحمر من الضخامة بمكان حيث تحمل أعدادا كبيرة من الحجاج كما كانت تنقل الجمال من عيذاب الى جدة ممايدل على قوتها وسعتها (٣) .

أما الملاحة فى البحر الأحمر فان السفن تسير فى الشتاء من الجنوب الى الشمال نظرا لتعرضها لهبوب الرياح المتجهة من الشمال الى الجنوب الغربى ، والسفن التى ستواصل سيرها الى الهند تنتظر موسم الملاحة فى المحيط الهندى الذى يخضع لهبوب الرياح الموسمية ، وتسير صيفا الى الهند ، أما عودتها ففى الشتاء (٤) .

وتكتنف الملاحة فى البحر الأحمر مخاطر كبيرة وذلك بسبب الشعاب المرجانية الكبيرة التى تملأ سواحله والصخور الناتئة المتعددة التى تنتشر فى أنحائه ، كما أن الخطورة تكمن فى مدخله عند خليج السويس وذلك بسبب التقاء الرياح التى تهب

---

(١) نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٧ .

(٢) العبيدى : التجارة والملاحة فى البحر الأحمر ص٢٤٨ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص١١٩ . ابن جبير ص٤٨ .

(٤) حسن شهاب : فن الملاحة عند العرب ص١٩٠،١٩١ . بيروت . ١٩٨٢م .

من ناحية الخليجين ولاتتوقف خطورة ركوب البحر لطبيعته التكوينية فقط بل ان (١) هناك مخاطر على التجار والسفن من متجرمة البحر الذين ملؤوه فى هذه الفترة حيث كان وجودهم ظاهرة يستخدمها الحكام لضرب مصالح الطرف الآخر ، وكان مايقع فى أيدى هؤلاء المتجرمة من المال والرجال لايعود الى أصله فالمال يصادر والرجال يباعون فى أسواق الرقيق . (٢)

وبسبب سمعة هذا البحر السيئة فى بعض السنين فقد كان يوضع بجنبات السفن المصاحف والأحجبة تبركا بها ويكتب على جدان السفينة بعض العبارات التى تدعو للسلام . ومنها هذه الآية (بسم الله مجراها ومرساها) . (٣)

أما ملكية السفن المستخدمة فى البحر الأحمر للتجارة فكانت تعود الى أفراد فى غالبها والقليل منها يشترك فى ملكيتها أكثر من واحد . (٤)

وللابحار فى البحر الأحمر مراسم معروفة حيث يصعد المسافرون الى السفينة قبل الرحيل بيوم وتسمى الليلة التى تسبق ليلة الرحيل بليلة الوداع ، وكانت تقضى فى الصلاة ، وقد تمر الأيام والسفينة لم تتحرك من مكانها لشدة الرياح المضادة لاتجاهها . (٥)

كما كان الابحار يخضع للاستخارة التى يقومون بها قبل الاقدام على الركوب وقبل الابحار ويقرأون سورة الفاتحة بصوت مسموع ثم يتبعها الدعاء . (٦)

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٧ ، البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص٢٧٨

(٢) القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر ص١٧

(٣) القوصى : المرجع السابق ص١٥ .

(٤) القوصى : المرجع السابق ص١٥، ١٧ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص٤٧ .

(٦) أحمد بن ماجد : ثلاث أزهار فى معرفة البحار ص١٥٨ . تحقيق ونشر تيودور شومونسكى ترجمة وتعليق محمد منير نشر عالم الكتب القاهرة .

كانت بلاد الحجاز مركزا للنشاط التجارى منذ القدم واستمر ذلك مع ظهور الاسلام حيث استقبلت ثغورهم التجارية السفن من الحبشة والهند والصين وبادلتها السفن العربية المصالح بتوجهها الى موانئ تلك البلاد ، وقد اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وازدهر النشاط التجارى فيها ، وعم ذلك بلاد الحجاز فقام فيها عدد من المحطات التجارية البحرية ، والتى كانت تستقبل البضائع والسلع من كافة أرجاء المعمورة ومنها :-

جدة :-

وهى ساحل مكة الاعظم وبها آثار تدل على أنها كانت مدينة قديمة ، وأول من جعلها ميناء لمكة المكرمة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) (١) حيث كان ميناءها السابق الشعيبة مقابل وادى محرم ، وتقع جدة على شاطئ البحر الاحمر وعلى بعد ثلاث مراحل من مكة وبها بوابتان احداها شرقية تؤدى الى مكة والاخرى غربية تؤدى الى البحر الاحمر ، ومواردها الزراعية شحيحة لقلة الماء فيها وضعف التربة حيث تؤثر ملوحة البحر عليها فلم يقم بها زراعة ،ولهذا يجلب اليها كل مايلزمها من القرى القريبة منها (٢) ، وأكثر بيوتها أخصاص من الطين ومن الآجر والجص وخشب الساج الهندى ،والابنوس الجيد ،وهى على أربع طبقات أو خمس وفى دورها مواصل للماء وفى أعلى منازلها قباب محكمة ولها أسطح يستريحون بها ليلا من أذى الحر

---

(١) جارالله بن فهد : القرى فى أودية أم القرى ورقة ٣ مخطوط بمركز البحث العلمى بمكة المكرمة رقم ٤١ ك ٢٣٨ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٢٠ . نوال سراج ششه : جدة فى مطلع القرن العاشر الميلادى ص ٢٥ نشر مكتبة الطالب الجامعى مكة ١٤٠٦هـ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ص ٥٣ ، الحميرى : الروض المعطار ص ١٥٧ . تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥م .

وجدة مجمع المسلمين الذين يفدون اليها عن طريق أيلة والقلزم ، وعن طريق عيذاب ، فكان يجتمع بها من جميع أطرف العالم من ديار مصر والمغرب واليمن والهند وغيرها فيقوم بها سوق كبير قبل وقت الحج (تباع فيه البضائع المجلوبة والأمتعة المنتجة والذخائر النفيسة)(١) وكان تجار عدن ينتهزون وصولهم الى جدة مع موسم الحج فيتبادلون البيع والشراء في أسواقها ثم يرحلون الى مكة(٢) .

ولقد أدى هذا الازدهار التجاري في جدة الى كثرة الأموال بأيدي أهلها وغيرهم ممن يرتادوا فضلا عما يستفيدون من الأموال والمكوس التي تجبى من الحجاج والتجار والتي يدفع قسط منها الى أمير مكة الهاشمي لكونها احدى اماراته(٣). وكانت السفن القادمة من الهند تنزل حمولتها من البضائع في ميناء عدن فتقوم السفن الاسلامية بنقلها عبر البحر الاحمر الى جدة ومازاد عن حاجتها ينقل الى عيذاب(٤) . كما كان التجار القادمون من بلاد الاندلس والمغرب ينقلون بضائعهم من الحرير والنحاس الى جدة وبخاصة اذا لم يبيعوها في أسواق مصر والشام(٥) ، كما أصبحت جدة نقطة وصل بين الشمال والجنوب فتنقل البضائع اليها من الاسكندرية عن طريق الفرما(٦) والقلزم وتسير القوافل التجارية منها الى عدن وبلاد المشرق ، واستطاعت المحافظة على رواج التجارة فيها فأصبحت مرسى مهما للملاحة

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص٥٣ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٩ ، ربيع : وثائق الجنيز . مصادر تاريخ الجزيرة الكتاب الأول ج٢ ص١٣٥ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ج١ ص٤٣٤ .

(٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار ج١ ص٢٠٢

(٥) ربيع : المرجع السابق ص١٣٥ .

(٦) الفرما : مدينة على البحر المتوسط تقع بين العريش والفسطاط بينها وبين البحر الاحمر مسافة أربعة أيام (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٢٥٦) .

في البحـر الأحمـــــر (١)

الجـار :-

ميناء المدينة على ساحل البحر الاحمر وعلى ثلاثة مراحل منها وهى أصغر من جدة ,ولقد زاد نموها بعد استقرار المسلمين فى المدينة واتخاذها قاعدة لهم (٢) حيث كانت سفن الحبشة تصلها لعلاقة المسلمين القديمة معها ، وحينما فتحت الاسكندرية ، بعث عمرو بن العاص عشرين مركبا تحمل القمح ، فخرج اليها الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ورجال من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - لاستقبالها . (٣)

ولقد أصبحت فيما بعد قرية آهلة بالسكان ومراكب السفن واردة اليها وصادرة منها ولم يكن بها كبير تجارة بل كانت ثغر المدينة على البحر الاحمر تستقبل به السفن وفى الفترة موضوع البحث كانت ميناءا للحجاج القادمين من مصر والتجار والقادمين من الصين والهند . (٤) وأدت شهرة هذا الميناء الى اطلاق اسمه على البحر الاحمر فعرف ببحر الجار ، فقد كانت تصله المراكب التجارية من القلزم ثم تقلع الى عدن فى طريقها الى سواحل الهند ، ومالبث أن قلت شهرته فى أوخر القرن السادس وبدأ يضمحل ، وصار الحجاج من مصر والمغرب يركبون البحر من عيذاب الى جـده . (٥)

---

(١) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الادنى فى العصور الوسطى ج١ ص٥٢ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص٣٩ ، الانصارى :نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص٢١٥،٢١٦ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص١٥٤ بيروت . عاتق البلادي على طريق الهجرة ص٢١١ . نشر دار مكة للنشر - الطبعة الاولى

(٤) ناصر خسرو : سفرنامـــه ص١١٢

(٥) الادريسى : نزهة المشتاق ج١ ص١٤٠ ، هايد : المرجع السابق ق١ ص٥٣ .

السرين :-

الميناء الثانى لمكة المكرمة وهى مدينة مشهورة تقع على الطريق الساحلى الواصل بين مكة واليمن (١). وحيث أنها غير موجودة الآن ولايوجد دليل قطعى يحدد مكانها فانه يحسن ذكر الأقوال التى جاءت بها المصادر التاريخية والجغرافية عن موقعها فقد ذكر الادريسى أن بينها وبين حلى خمسة أيام من جهة الشمال (٢)، وذكر أبوالفدا أنها تبعد عن حلى بتسعة عشر فرسخا من جهة الشمال (٣) كما قيل انها عند جدة فى نواحى مكة ،وقيل أيضا انها على ساحل البحر الاحمر بينها وبين مكة أربعة أيام- قال الحميرى (سرين مدينة عظيمة فى طريق بمقربة من يلملم) (٤) وهكذا فان النصوص لاتحدد موقعا معينا لذلك الميناء الشهير،فيرى البعض قربها الى مكة ،ويرى الآخرون أنها لحلى أقرب ،وفى دراسة حديثة وميدانية عن موقعها ثبت انها تقع فى الجنوب الغربى من قرية الوسقه (٥). وعلى مسافة أحد عشر كيلو مترا تقريبا عنها (٦)، وتبنى مساكنها من الخشب والحشيش الا المسجد الجامع فان

---

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٣١٢ .

(٢) نزهة المشتاق ق٢ ص ١٣٨ .

(٣) تقويم البلدان : ص ٩٣ .

(٤) الروض المعطار : ص ٣١٢ .

(٥) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١١٦ . الرياض ١٩٨١م .

(٦) والموقع عبارة عن تل رملى بارز يطفح بكثير من فتات الفخار والخزف ومخلفات المبانى من الأحجار البحرية والطوب الاحمر . ويحيط بالموقع من الناحية الجنوبية الغربية بحر غزير يعتقد بأن كان موقع الميناء ويقع الى الشمال من هذا التل مقبرتان بها عدد من شواهد القبور التى نقش عليها أسماء أصحابها بخط كوفى جميل وأغلبها غير مؤرخ والشواهد المؤرخة منها تعود الى القرنين الرابع والخامس الهجريين (الزيلعي : المرجع السابق ص ١٨٦) .

بناءه من المدر (١) ، والخشب والحشيش ولايزال الى عهد قريب هو المستخدم فى بناء البيوت فى تهامة ،وتقوم فيها زراعة الذرة والسمسم على الامطار ولكن محاصيلها لا تكفى فتنقل لها الغلال من عثر والجوده والحبشه ،وهى فرضة السروات الرئيسة تنقل منتجاتها من الحبوب والتمور والعسل اليها ولهذا كان لهام اسهام فى نشاط مكة التجارى فتنقل هذه المحاصيل الى مكة عن طريق جدة أو تنقل منها مباشرة على الجمال الى مكة ،ويقوم فى السرين سوق تجارى عظيم تستقبل فيه المنتجات المحلية والخارجية (٢) ، أما العملة المتداولة فى البيع والشراء فيغلب عليها التزييف ، ولأهمية موقعها كمرسى بحرى هام كانت تستقبل المراكب التجارية الصاعدة اليها من اليمن ، والنازلة اليها من الحجاز فتفرض رسوم على بضائعها من المتاع والدقيق فيأخذ نصفها أمير مكة والنصف الآخر يذهب الى أمير البلدة التهامى (٣) حيث وصلت حدود امارة مكة فى الفترة موضوع البحث الى مدينة حلى .

ومع هذا النشاط التجارى الذى كان يتم فى السرين الا أنها لاتقارن بحركة جدة التجارية فالسرين لاتعدو ميناء داخليا لمكة يغطى الحد الجنوبى لامارة مكة بماتحتاجه من الأمتعة والأرزاق (٤) .

عيذاب :

تعد عيذاب من أهم المراكز الجارية ذات الصلة الوثيقة بموانى الحجاز وخاصة

---

(١) المدر : قطع الطين اليابسة (ابن منظور : لسان العرب ج٦ ص ٤١٥٩) . دار المعارف بالقاهرة .

(٢) الحميرى : الروض المعطار ص ٣٠٢ ، الجاسر : كتب المنازل . مصادر تاريخ الجزيرة ، الكتاب الاول ج١ ص ٢٣١ .

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ق١ ص ١٣٨ .

(٤) الزيلعى : مكة وعلاقتها الخارجية ص ١٨٦ .

جده حيث تقع على ساحل البحر الاحمر فى جانبه الغربى (١) ، وهى مدينة أكثر بيوتها من الاخصاص وقد زارها ناصر خسرو فى سنة ٤٤٢هـ فذكر أن عدد سكانها خمسة آلاف نسمة وهى تتبع سلطان مصر . وتفضل السفن الرسو بها بسبب عمق مياهها فضلا عن خلوها من الشعاب المرجانية التى تنبت فى البحر الاحمر ، ولذلك كانت مرسى للسفن التجارية القادمة من الحبشة وزنجبار واليمن والتى تفرغ حولتها فيها فتؤخذ عليها المكوس ثم تنقل على ظهور الجمال الى أسوان وعن طريق النهر تنقل الى الفسطاط (٢) . وقد زاد ارتباطها بجدة منذ عام ٤٦٠هـ وذلك بسبب زيادة النفوذ الصليبى فى بلاد الشام وقيام امارتهم فى مراكز مهمة أصبحت تهدد القوافل التجارية والحجاج القادمين عبر سيناء وكذا بسبب الشدة التى حلت أيام الخليفة المستنصر (٤٢٧–٤٨٧هـ) ، وماجلبته من ضرائب أدى الى تحول الحجاج والتجار المصريين والمغاربة عن طريق شبه جزيرة سيناء ومنها عبر الصحراء الشرقية الى عيذاب ثم جدة (٣) وفى الفترة موضوع البحث يخضع الحجاج الذين يصلون الى عيذاب للانتقال منها الى جدة لغرض الضرائب ، فيؤخذ عن كل حمل طعام يحملونه ضريبة معلومة بالاضافة الى المكوس على كل حاج ومقدارها سبعة دنانير وزيادة دينار على المغاربة (٤) ،أما صلتها التجارية بموانئ الحجاز فان الطريق البحرى لذا يبدأ من عدن منتهيا بجدة ثم عيذاب ظل مزدهرا حتى نهاية القرن الثامن الميلادى الذى

---

(١) سرور : تاريخ الحضارة ص١٥١ . الكويت

(٢) سفرنامه ص١١٨ .

(٣) المقريزي:المواعظ والاعتبار ج ١ص ٢٠٢ . العبيدى: التجارة والملاحة ص ٤٢ .

(٤) ابن جبير: الرحلة ص٤٥ . متيز الحضارة الاسلامية ج٢ ص ٤٤٣ .

يوحى بازدهار التجارة بين موانئ الحجاز وعيذاب طيلة تلك الفترة (١) . ولقد ساعد على ازدهار هذه التجارة اهتمام الفاطميين بحماية القوافل التى ترسو بها من متجرمة البحر حيث يوجد أسطول يتنقل فى مياه البحر وقاعدته عيذاب وذلك من أجل حماية السفن التجارية ونتج عنه استتباب الأمن بها (٢) حتى قال الرحالة الفارسى ناصر خسرو (ان البزاز وتجار الجواهر والصيارفة لايغلقون أبواب أماكنهم بل يسدلون عليها الستار ولم يكن أحد يمد يده الى شئ منها) (٣) كما بلغت التجارة بها شأوا عظيما حيث كانت تحلها البضائع الهندية ، ومن ضمنها الفلفل والذى قال عنه ابن جبير انه يوازى التراب من كثرته (٤) .

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق٢ ص١٣٥ ، ابن جبير : الرحلة ص٤٣، القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر ص١٢٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج٣ ص٥٢٠ . القوصي : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص١٢٩ .

(٣) سفرنامه ص١١٨ .

(٤) الرحلة ص٤٣، ٤٤ . ابن مماتي قوانين الدواوين ، ص ٣٢٧ . ط مصر ١٩٤٣م .

أما عن السلع المتبادلة :-

فقد كانت أسواق الحجاز وبالذات أسواق مكة المكرمة تزخر بأنواع كثيرة من السلع الواردة من مختلف البلدان (فما على الأرض سلعة من السلع ولاذخيرة من الذخائر الا وهى موجودة فيها مدة الموسم) (١) ولاشك أن ذلك ناتج عن عمق العلاقات التجارية التى تربط مكة بغيرها من البلدان الأخرى وذلك عن طريق المواصلات البرية والبحرية القاصدة لها من كل مكان ، وقد لاقت بعض السلع الشرقية اقبالا منقطع النظير من الاوربيين وظلوا لجهلهم بمواطن تلك السلع يرتادون أسواق الشام ومصر لشرائها مماجعل موانىء الحجاز تقوم بدور الوسيط لنقل هذه المنتجات الى محطاتها النهائية (٢) ،وأهم السلع التى اشتهرت آنذاك :-

المسك : وتجارة المسك تجارة عالمية وكانت التبت والصين هى البلاد التى يتوفر فيها حيوان المسك وهى الظباء التى لها نابين وسرتها مسك ، ومسك ظباء التبت أحسن من غيره نظرا لأنها ترعى فى التبت ولايتعرض لها الا بعد أن تقوم برميه حيث يجتمع الدم فى سرتها كالخراج فاذا تم أصابه مثل الحكة فتتجه الى حجر حاد تحك به سرتها فينفجر الدم وتخرج المادة ، وأهل التبت يتبعون المراعي لالتقاط المسك ويتركونها حتى تبلغ المدة اللازمة لنضجها ، وأما أهل الصين فانهم يغشونه بالدم ، وتؤثر الرطوبة عليه بسبب طول المسافة .

القرفة (الدار الصينى) : وهى من محاصيل بلاد الهند وتنبت على ضفاف أنهارها كما تقوم زراعته بالصين وأصل التسمية نسبة الى الصين حيث كلمة الدار معناها خشب والصينى نسبة الى الصين ، كما تزرع فى منطقة المليبار قرب الحدود الصينية الهندية ويستعمله السكان هناك وقودا لنيرانهم (٤) ، وهو من الغلات التى عرفت منذ

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ٨٧ .

(٢) العبيدى : الملاحة والتجارة فى البحر الأحمر ص ٢٦٠ .

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٧٩ . العبيدى : التجارة والملاحة فى البحر الأحمر ص ٢٧٠ .

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٢٠ . ابن البيطار : الجامع لمفردات الأغذية والأدوية ط مصر ١٩٥٧م . نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ص ١٩٩ .

القدم فى بلاد الحجاز ، حيث كانت تصل بكميات كبيرة الى موانىء البحر الأحمر وتنمو أشجارها فى اليمن وسيلان وتعتبر من البلاد المنتجة لأجود أنواعه (١) .

الفلفل : وقد حظي بأهمية كبيرة كسلعة تجارية وأصبح الطلب عليه يزداد يوما بعد يوم ، فتوسع التجار فى جلبه الى أسوق الشرق وكان الاوربيون يحرصون عليه أشد الحرص وبلغ من أهميته أنهم يتعاملون به بدل النقد أحيانا فكان العبد يعتق نفسه بمايقدمه الى سيده من كميات الفلفل كما كان يدفع مهرا للزوجة وقيمة للأرض الزراعية المقتطعة ، ولهذه الثمرة فوائد على سكان المناطق الباردة ، فهم يكثرون من تناولها (٢) .

وموطن هذه الشجرة الهند والصين وسيلان ، حيث تنبت فيها بأعداد كبيرة وشجرة الفلفل شبيهة بدوالى العنب وتغرس ازاء النارجيل لتصعد عليها وتثمر عناقيد صغار ، فاذا جاء فصل الخريف قطفت ووضعت على الحصر فى الشمس لتجفيفها كما يصنع بالزبيب ثم تقلب فى الشمس لتيبس ويسود لونها ثم تعرض للبيع (٣) ،وذكر القزويني أنها شجرة عالية لايزول من تحتها الماء وثمرتها عناقيد اذا ارتفعت الشمس واشتد حرها تنضم أوراقها على عناقيدها والا أحرقتها الشمس قبل ادراكها وهى شجرة مباحة للجميع اذا هبت الريح سقطت عناقيدها على وجه الماء فيجمعها الناس وتحمل من أقصى المشرق الى أقصى المغرب لتباع هناك (٤) ، ويصل الى موانىء البحر الأحمر كميات كبيرة منه وقد وصف ابن جبير مارآه فى عيذاب التراب من كثرته ، ويتعرض هذا المحصول كغيره من المحاصيل الأخرى للغش ففى بعض الأحيان يضاف اليه التراب وأحيانا يوضع فى أماكن رطبة ليثقل وزنه ، وأجود الأنواع ماكان نظيفا من التراب والحصى (٥) .

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٥٦٨ .

(٢) سونياهاو : فى طلب التوابل ص ٢٠ ترجمة محمد عزيز . نشر مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧م نعيم زكى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ص ١٩٩ .

(٣) ابن بطوقة / الرحلة ص ٥٥٩ . ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج٤ ص ١٦٦ .

(٤) آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٢٣ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ص ٤٣ . العبيدى للتحارة والملاحة فى البحر الاحمر ص ٢٦٥ .

ومن السلع التى راجت فى الحجاز القرنفل وهى شجرة عادية ضخمة كثيرة النماء تؤخذ محاصيلها ويترك أصلها والقرنفل هو الذى يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج ، وثمرة القرنفل هى المعروفة بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة ، ويزرع بجاوة وفى جزيرة برطايل(١) وينزل التجار فيها فيضعون بضاعتهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون الى مراكبهم ويلبثون فيها فاذا أصبحوا ذهبوا الى أمتعتهم فيجدون الى جانب كل شئ من البضاعة شيئا من القرنفل فان رضيه أخذه وترك البضاعة وان أخذ البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يردوا أحدهما الى مكانه وان طلب أحدهم الزيادة ترك البضاعة والقرنفل فيزداد له فيه (٢) .

ويجلب النارجيل ، وهو جوز الهند ، الى الحجاز من الهند وشجرته تشبه النخيل وثمرها يشبه رأس الآدمى وعليها ليف كالشعر ، يصنع منه حبالا يخيطون بها المراكب القلزمية عوضا عن مسامير الحديد ، كما تصنع منه أشرعة المراكب وله فوائد للجسم وذلك بتقويته ، ويصنع منه الزيت والحليب والعسل (٣) .

ومن السلع التى راجت تجارتها فى ذلك الوقت العود الهندى وشجرته تشبه شجرة البلوط وقشوره رقيقة وعروقه طويلة ممتدة وفيها رائحة عطرية ، وهى أنواع ومن أجودها القمارى وينبت بجاوه ويبادله أهلها بالأثواب كما ينبت فى سومطرة وحضرموت وهو أقل الأنواع جودة ، وأجود الأنواع منه ماكان معبا رزينا ظاهر الرطوبة كثير الماء والدهن وعلامة جودته رائحته (٤) .

---

(١) برطايل : قال عنها القزويني : جزيرة قريبة من جزائر الرايخ ، ولم أجد غير ذلك عنها (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٨١) .

(٢) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٨١ .

(٣) ابن بطوطه : الرحلة ص ٢٦٣،٢٦٤ .

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ص ٦٢٣ ، السليمان : النشاط التجارى ص ٢٤١،٢٤٢ .

ومنها أيضا الكافور ، شجرته كالقصب الا أن أنابيبه أطول ويكون الكافور داخل هذه الأنابيب ، فاذا كسرت القصبة وجد داخل الأنبوب ولونه أحمر لامع ويجلب من سرنديب الى الحجاز وهو أطيب الأنواع ، ومن أنواعه الرياص والقارونى والأزرق وجميعها يجلب من الصين والهند وجاوه (١) .

ومن السلع التى تجلب الى الحجاز الخلنجان وتنتجه جزيرة جاوه وبلاد البنغال وهو عبارة عن عروق متشعبة ذات عقد بين السواد والحمرة ويستخدم فى طهى الطعام كما يفيد فى علاج أمراض الكلى والمعدة والقصبة الهوائية (٢) .

ومن السلع الهامة التى تجلب الى بلاد الحجاز الزنجبيل وقد شاع استعماله قديما ، ولاتقل أهميته عن الفلفل والبهار حيث يدخل فى طهى الطعام وفى العقاقير الطبية وتقوم زراعته فى الهند والصين وسمرقند واليمن ، ويجلب الى الأسواق للبيع اما اخضرا أو مخلوطا بالسكر ، ويعرض فى أسواق مكة منتجات جزيرة مدغشقر وزنجبار من الزنجبيل (٣) .

ومن البضائع التى اشتهرت فى تلك الفترة الصبر وهو أنواع كثيرة تنتجه البلاد العربية كاليمن وعمان ، كما يجلب من الهند والصين وجاوه ، ويحتل مرتبة متقدمة فى المحاصيل الزراعية التى تنتجها جزيرة سوقطره الواقعة فى البحر العربى ، ومنه نوع ردئ رائحته منتنة وصفرته يسيره ، وشجر الصبر لها ورق لزج يلصق باليد ، وتنتج سوقطرة ماعرف بدم الأخوين وهو صمغ يساعد على علاج الجروح ويجلب الى أسواق الحجاز (٤) .

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ص ٦٢٢ ، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ج٤ ص ٤٢ .

(٢) السليمان : النشاط التجارى ص ٢٣٣ . العبيدى : التجارة والملاحة ص ٢٦٧ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ص ٤٠٧ . ابن البيطار : الجامع لمفردات الأغذية ج٢ ص ١٦٧ . العبيدى : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٤) القزويني : آثار العباد وأخبار البلاد ص ٨٢ . الادريسي : نزهة المشتاق ق١ ص ٥٠ . العبيدي : المرجع السابق ص ٢٦٨ .

ومن البضائع التى اشتهرت آنذاك (الورس (الزعفران اليمانى) والذى يصنع منه اللون الأصفر ويستخدم فى صبغ الملابس كما تستخدمه النساء فى مادة التجميل (١) ويجلب من اليمن أيضا الصمغ العربى والعصايب والعقيق والأدم واللبان ودهن الكادى والحناء والملايات وقطع الحرير والصوف والحرير المخلوط بالكتان (٢) .

وكانت عمان سوق رائجة لبضائع الهند والصين واليمن إبان ازدهار التجارة فى الخليج فتصلها مختلف سلع هذه البلاد مثل العطور والتوابل ولاشك أن مايزيد عن حاجتها يصدر منها الى الأسواق الكبيرة فى الجزيرة كسوق مكة وذلك من خلال الطرق التجارية البرية والبحرية التى تربطها بها ، بالاضافة الى مااشتهرت به من منتجات كاللؤلؤ العمانى (٣) .

واشتهرت مصر بتجارة المنسوجات وكانت مصدرا رئيسيا للحجاز فى جميع حاجاته ومن ذلك كسوة الكعبة المشرفة ، وبها مصانع نسيج للخاصة والعامة ،ومنها المعروف بالبهنسية (٤) كما ينسج فيها المقاطع السلطانية والثياب الجميلة وبها دور نسيج كبيرة تعمل بها الستور ويبلغ طول الستر المنتج فيها ستون ذراعا ويزيد وينقص عن ذلك وقيمة الزوج منها مائتان مثقال ، وجميع الستور القطنية والصوفية يكتب عليها اسم منتجيها وتعريفاتها ( ) وفيها يصنع الصابون ويصدر الى جميع جهات الأرض وذلك لجودته ، كما يجلب من تنيس (٦) الثياب والفرش الملونة (٧) .

---

(١) الغنيم : جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك للبكرى ص ١٢٧ .

(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٨٧،٨١ . الغنيم جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك للبكرى ص ١٢٧ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٩٧ . نقولازياده . جزيرة العرب فى المؤلفات الصينية مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول ج٢ ص ١٣،١٢ .

(٤) البهنسية : نسبة الى مدينة بهنسا فى مصر الجهة الغربية من النيل تعمل بها الستور البهنسية (المقريزي . المواعظ ج١ ص ٢٣٧)

(٥) الادريسي : نزهة المشتاق ق٢ ص ١٣٠،١٢٨ . القزويني : آثار العباد ص ١٩٣،١٧١ . ابن الاثير الكامل ج٨ ص ٧٣ .

(٦) تنيس : من بلاد مصر كانت مركز لصناعة ثياب الشروب المتميزة المقريزى : الخطط والآثار، ج٢ ص ١٧٧،١٧٦ .

(٧) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١١١ .

ومن دمياط تجلب الثياب البيض بالاضافة الى ما اشتهرت مصر بتصديره الى بلاد الحجاز من الحبوب والغلال والقراطيس والجمال البختمية التى تعيش فى صحراء عيذاب فتنقلها السفن منها الى جده .(١)(٢)

ومن بلاد الشام تنقل القوافل التجارية البرية بضائع مختلفة الى بلاد الحجاز من اشهرها الزيت والسويق والثياب البعلبكية ويصل ثمن الثوب منها ستين درهما.

كما تجلب العمايم العراقية والثياب الموصلية من العراق (٣) ، هذا بالاضافة الى بعض السلع الأخرى التى تجلب الى الحجاز من الهند كالهندمة الهندى والتمر الهندى والحلتيت والطيب والصندل .

ويجلب النابتول من الهند وهو يمضغ وقد غلب مضغه على أهل مكة بدلا من الطين (٤).

أما الصين فقد اشتهرت بتصدير الحرير والمنسوجات القطنية الى الشرق وكذلك الأوانى الذهب والفضة والأوانى المصنوعة من الفخار الصينى (٥).

ومن سرنديب يجلب الحرير والياقوت بجميع ألوانه كلها والبلور والماس وأنواع من العطر كثيرة ويرتاد تجار الأندلس والمغرب والحجاز بين وقت آخر فيجلبون له الحرير والنحاس (٦).

ويجلب الى مكة نوع من الأطعمة يسمى الطين يؤكل آخر الطعام وهو يجلب من ناحية كران نيسابور وهو أخضر كالسلق ، وهو مشرق اللون لانظير له ،ويتحف منه الملوك والسادة ويباع الرطل فى مصر وبلاد المغرب بدينار وقد حرم أكله كثير من الفقهاء (٧).

---

(١) دمياط من أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا وهى أول بلد فتحه المسلمون حين دخولهم مصر (المقريزى : الخطط والآثار ج٢ ص ٢١٣) .

(٢) ناصر خسرو . سفرنامه ص ١١٩ . المقريزى : المواعظ والاعتبار ج١ ص ٢١٣ .

(٣) الأزهرى : الجغرافية ص ٢٧١ . العبيدى : التجار والملاحة فى البحر الأحمر ص ٢٧٢ .

(٤) الجاحظ : التبصر بالتجارة ص ٣٣،٣٤ القاهرة ١٣٥٤هـ الطبعة الثانية .

(٥) الادريسى : نزهة المشتاق ق١ ص ٧٤ القزوينى : آثار العباد ص ٥٥ .آدم متز : تاريخ الحضارة الاسلامية ج٢ ص ٢٥٦ .

(٦) ربيع وثائق الجنيزة : ص ١٣٥ . الادريسي : نزهة المشتاق ق١ ص ٧٤ .

(٧) آدم متز : الحضارة الاسلامية ق٢ ص ٣١٣ .

أما مايخرج من بلاد الحجاز الى غيرها من البلدان الاخرى فبعضه انتاج محلـــــى والبعض الآخر تجمع مادته من بلاد أخرى ثم يصنع ويصدر منها كما أن بعض السلع لاتحتاجها أسواق مكة فتخرج منها الى أسواق بلدان أخرى ، فمن البضائع الأدم حيث يتم عملها فى الطائف ومكة وذلك من جلود الجمال والبقروالبقر والغزلان (١) ،كما يعمل السنا الخزرجي فى مكة ويستخدم فى صبغ الشعر اذا خلط بالحناء ومن عصارته يؤخذ اللون ، وأكثر استخدامها فى دباغة الجلـــود (٢) . ويصدر من مكة الـــى بلاد المغرب ومصر مايردها من بلاد الهند مثل العود والعطر والمسك (٣) ،كما يخرج من مكة البرود اليمانية والوشى الصنعانى (٤) ،وهو مايصل الى أسواق مكة من اليمن لحيويـــة أسواقها تنقل منها تلك السلع الى بلدان أخرى ، كما تنقل منها الخيـــــول العربية والتى اشتهرت بين الناس (٥) ، فاذا زادت عن حاجتهم نقلوها الى غيرهـــم وتحمل السفن من ميناء جده الكثير من النحاس والمرجان (٥) ، ومن السلع التى تصدرهـا مكة المن وهو من حاصلات الجزيرة العربية ، وهو صمغ تشتهر به بلاد العرب ومنـــه نوع يعرف بالمكى نسبة الى مكـة المكرمـــة (٦) .

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٢٤ .

(٢) الغنيم ، جزيرة العرب في كتاب المسالك للبكرى ص ١٥٧ .

(٣) نوع من الثياب . مخلوط الألوان . ابن منظور لسان العرب ج٦ ص ٤٨٤٦ .

(٤) الزهرى : الجغرافية ص ٢٧١ .

(٥) القوصي : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص ٢٠٧،٢١٦، . العبيدى : التجـارة والملاحة فى البحر الأحمر ص ١٤٧ .

(٦) نعيم زكي : طرق التجارة الدوليـــة ص ٢١٥،٢١٦ .

أما طوائف التجار فى الحجاز :-

فقد مارس العرب التجارة منذ القدم وعلى أيديهم انتشر الاسلام فى أماكن متفرقة من العالم ، ولقد أرسل الحجاج فى عهد الوليد بن عبدالملك حملة عسكرية الى السند ليحمى بها طرق التجارة الاسلامية ، وكان لهذه الخطوة أثرها فيما بعد باستمرار النشاط التجارى للمسلمين (١) ، وأهالى الحجاز كغيرهم من أبناء البلاد التى تزدهر التجارة بها ، يكون لهم اسهام فى ذلك فيستقبلون البضائع والسلع التى تصل بلادهم سواء أكان منها ماهو برى يأتى من اليمن والشام والعراق أو ماهو بحرى يأتى عن طريق موانىء جدة والجار والسرين من مصر والهند والصين والحبشة (٢) ، كما كان قوم منهم يسافرون الى هذه البلاد ومنهم من استقر فيها وطبيعة بلاد الحجاز وماحباه الله من وجود الحرمين الشريفين فيها جعل كافة أبناء البلاد الاسلامية ومن مختلف بلادهم يسهمون بالنشاط التجارى فيها فيفد اليها الأتراك والفرس والاحباش والهنود والصينيون وغيرهم من أبناء البلاد الاسلامية الذين يقدمون اليها للحج ويتبادلون فيما بينهم السلع التى يجلبونها معهم (٣) ، ولقد أصبح التبادل التجارى سمة ظاهرة بينهم،فالشاميون يحملون بضائع الشرق الى بلاد الغرب حيث ينقلونها الى موانئهم ، ومن هناك تنقل الى أوروبا . وتجار فارس يجلبون معهم منتجات بلادهم من الملابس والياقوت والسجاد وغيرها ويستبدلونها بسلع أخرى ، وتجار المراكب التجارية يؤقتون مجيئهم بموسم الحج

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ٢٨٨،٢٨٩ .

(٢) القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص ١٥ .

(٣) ربيع : وثائق الجنيزه مصادر تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول ج٢ ص ١٣٤،١٣٥ .

يعرضون منتجات البلاد التى قدموا منها من التوابل والخزف ويبادلونها مع غيرهم من التجار بالبيع والشراء (١) ، وقد اشتهر من الطوائف التجارية التى مارست التجارة آنذاك :-

المغاربة :-

وقد وفد المغاربة للحجاز بعد أن خضعت للفاطميين ذلك أن دولة الفاطميين قد قامت فى المغرب أولا وكان من نتيجة انتقالها الى مصر وصول أعداد كبيرة من المغاربة اليها .وكان لهم دور المشاركة فى مختلف الأعمال والحرف ومنها النشاط التجارى . فلما تم الاستيلاء على الحجاز جاءت الاعداد الكبيرة التى جلبت من المغرب واستوطنت الحجاز كما استوطنت مصر فى السابق واشتغلوا بالتجارة حتى أن موانىء الحجاز كانت تموج بأعداد كبيرة من التجار المغاربة الذين قدموا اليها من بعض جهات المغرب مثل برقه (٢) والقيروان (٣) والمهدية (٤) وأصبحت تجارتهم تتزايد يوما بعد يوم فى موانىء شبه الجزيرة العربية حتى وصلوا فى نشاطهم التجارى الى الهند (٥) ولم يتوقف نشاطهم فى الموانئ فحسب بل انتشروا فى أماكن متعددة فى الحجاز فقد ورد فى وثائق الجنيزة رسالة كتبها ابن الى أمه أثناء اقامته فى عيذاب يخبرها بوصوله أولا الى قوص وأنه سأل هناك عن أولاد عمه فأخبره رجل أنهم فى حامية فى بلد يقال له حلية (٦) (وحليه هى حلى بنى يعقوب) (٧) ، ولقد كان لانتشارهم الكبير فى الحجاز أن عمل بعضهم فى الزراعة

---

(١) هايد : تاريخ التجارة ج١ ص٥٨، ٥٩ .

(٢) برقة : صقع كبير بينه وبين الاسكندرية ٢٢٠ فرسخا وبينها وبين القيروان ٢٢٥ فرسخا . فتحت صلحا (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٣٨٨، ٣٨٩) .

(٣) القيروان : مدينة فى شمال افريقيا على خط طول ٣١ درجة وعلى خط عرض ٣٠ درجة ، بناها عقبة بن نافع بعد هزيمة البربر (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٤٢٠، ٤٢١) .

(٤) المهدية : مدينة فى الشمال الافريقى بينها وبين القيروان مرحلتان(ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٢٣٠) .

(٥) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص٨٤ .

(٦) ربيع : وثائق الجنيزه . مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول ج٢ ص٣٧

(٧) ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص٢٩٧ .

وهو ماأشار اليه ابن جبير فى قوله فى عين سليمان (قد جلب الله اليهـا من المغاربة ذوى البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيها بساتين ومزارع وكانوا أحد الاسباب فى خصب هذه الجهات) (١) .

الكارمية :

من الطوائف التى عملت فى التجارة أيضـا ، وهم فئة من التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الاقصى وخاصة التوابل الى غير ذلك من السلع الشرقية والتى كانت تجلب عن طريق عدن لتنقل منها الى الموانىء الأخرى لبيعها هناك وقد أكسب ذلك تجارتهم مكانة لدى حكام اليمن ومصر (٢) ، وقيل أن أول اشارة لهم فى المصادر ماذكر عن تأخر وصول التجار وانقطاع الكارم فى عهد المستنصر (٣) .

ولقد وقع اختلاف فى أصل الكلمة ، فذكر القلقشندى أن أصلها يعود الى كلمة الكانم وهى منطقة موزعة بين السودان الغربى وبحر الغزال وبحيرة تشاد ، حيث كانت صلة مصر بالبحيرة قديمة فعن طريقها يجلب الفلفل ثم حدث تصحيف فىالكلمة فأصبحت الكارم وقد بنى هذا الرأى (كاترمير) (٤) وذهب ليثمان (Latman) الى القول بأن هذا الاسم أخذ عن متاجر التجار نفسها اذا لفظة " كوراريمـا " تعنى الحبهان من التوابل التى يتاجر فيها ثم حرفت وأصبحت الكارم (٥) . ويذهب جواتين الى تفسير جديد لكلمة الكارم فيقول ان أصل الكلمة هندى ، وأنهـا لدى جنوب الهند كلمة كاريام (Karyam) تعنى الأعمال والاشغال ولعلاقة هؤلاء التجار بهم أطلقوا عليهم هذا الاسم (٦) ، ويذهب الشاطر البصيلى الى رأى جديد

---

(١) الرحلة ص ٩٩ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ ص ٣٢ . القوصى : أضواء جديدة على تجارة الكارم ووثائق الجنيزه ص ٢٥ مقالة علمية بالجمعية التاريخية المصرية مجلد٢٢عام١٩٧٥م

(٣) ابن أيبك . كنز الدرر وجامع الغرر ج٦ ص ٣٨٠ تحقيق، صلاح المنجد القاهرة ١٣٨٠هـ

(٤) القوصى : أضواءجديدةعلى تجارةالكارم،ووثائق الجنيزه مقال بالجمعيةالتاريخية المصرية مجلد ٢٢ عام ١٩٧٥م .

(٥) القوصى : المرجع السابق ص ٢٥ .

(٦) القوصى : المرجع السابق ص ٢٥ .

فيقول أن كارم أصلها مؤلف من كلمتين (كار) و (يم) " فكار تعني الحرفة ويم تعني المحيط " فسقط حرف الياء وأصبحت كارم (١)، وأيا كان سبب التسمية فالذي يهمنا هو دورهم في تجارة البحر الاحمر، وينتمي هؤلاء الى مختلف مناطق العالم الاسلامي العراق والشام ومصر والحجاز والمغرب وقد كانوا يجلبون سلعا مختلفة من أهمها الفلفل والبهار بالاضافة الى سلع أخرى من الحاصلات الزراعية ومن الملبوسات والحرير والخشب والدقيق والأسلحة وأدوات الزينة والبضائع الثمينة الغالية (٢).

وكانت عدن هي محطتهم التي يجتمعون فيها ثم يصدرون منها الى موانىء البحر الاحمر ومنها موانىء الحجاز ذات الشهرة التجارية الكبيرة حيث يستفيدون من الفرصة الكبرى وهي تجمع الناس في موسم الحج وأشار القلقشندي الى تجارتهم فقال (انه كان للفاطميين اسطول بعيذاب تلتقي الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وسواحلها خوفا على مراكب قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الاسطول منهم) (٣). ويوحي هذا النص الى مكانتهم التجارية وكبر عدد أسطولهم التجاري حتى استوجب الحماية لهم من الدولة الفاطمية ولقد استفادت من تجارتهم موانىء الحجاز حيث كانت تخضع لجباية المكوس منها قبل وصولها الى الموانىء المصرية ولقد كان لهم اشتغال بالأعمال المصرفية وفي السفارة بين الحكام والسلاطين وبلغ بهم الثراء مبلغا كبيرا كما كان لهم مساهمة في تشييد المرافق النافعة للناس من المساجد والمدارس والمستشفيات في مكة والفسطاط والاسكندرية وغيرها من المدن الاخرى (٤).

---

(١) القوصي : المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر ص ١٠٣ .

(٣) صبح الاعشى : ج٣ ص ٥٢٠ .

(٤) ربيع : وثائق الجنيزه . مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ ص ١٣٧ .

أما طرق التعامل التجارى :-

ففى مجتمعات المسلمين يدور النشاط التجارى بصور مختلفة منها النشاط الفردى . ومنها النشاط المشترك : وهو عدة أنواع :-

الأول شركة المضاربة : وصفتها أن يدفع صاحب المال ماله الى من يقوم بالتجارة فيه ويتفق معه على شئ معين من الربح وليس على التاجر نصيب من الخسارة . وقد يتفقان على أن يأخذ التاجر أجرا معينا وتصبح الخسارة والربح من نصيب صاحب المال ولهما حق القسمة متى شاءا بعد تصفية حقوقهما .

الثانى شركة العنان : وهى اشتراك اثنين بمالهما ويتحملان جميعا مؤنة العمل فيها مثل السفر والادارة ويقع على كل منهما نصيب من الخسارة يأخذ كل منهما نصيبه من الربح .

الثالث : شركة الوجوه : وهى أن يشتريا بجاههما دينا فما ربحا فهو بينهما

الرابع : شركة الأبدان : وهى أن يشتركا فيما يكسبان بأبدانهما .

الخامس : شركة المفاوضة وهى أن يدخلا فى الشركة المكاسب النادرة كالعثور على لقطة أو ركاز .(٢)

وقد سادت بعض هذه الأحوال التجارية فى تلك الفترة بالحجاز . فتنقل المصادر التاريخية بعض صور التعامل التجارى . ومنها أن التاجر المسلم يقوم

---

(١) ابن قدامه : المقنع ص ١٣٢ بيروت ١٣٩٩هـ .

(٢) ابن قدامه : المصدر السابق ص ١٣٢، ١٣٣ .

بالتجارة لنفسه فيضع رأسماله ويبدأ يعمل بالتجارة والبيع والشراء والسفر للخارج الى مواطن السلع فى الهند والصين والحبشة ، أو يضيف الى نفسه غيره فى ذلك بأن يكون وكيلا لتاجر فى ماله كأن يتفقان على المشاركة فى أموالهما أو يتفقا على الاقراض من قبل مالك المال فيقوم التاجر بالتجارة بهذا المال ويأخذ مايكسبه ويعيد رأس المال الى صاحبه على اعتبار أنه قرضة حسنة له ومنهم من يوقع عقد مضاربة (١) ، ومنه تتأسس شركات المضاربة الواردة وفق الاسس الاسلامية ، وأشهرها ماظهر لنا فى هذه الفترة من طريقة التعامل التجارى هو شركة المضاربة فقد نقلت وثائق الجنيزه مامضمونه أنه فى حالة وصول التاجر الى بلده أو وصوله الى أحد الموانئ لابد له من مراجعة حساباته ومعرفة الربح والخسارة ونصيب كل شريك يعمل وبعد ذلك يعمد الى بعث رسائل تتضمن معلومات شريكه أو شركائه يفيدهم بحال الشركة وسيرها . وينتظر منهم الموافقة على استمرارها أو عدمه وفى الوثائق وثيقة خاصة عن نقل شحنة من البضائع أرسلت من مصر الى ميناء جدة سنة ٤٢٩هـ واتفق التاجر مع شريك أن نفقات شحن بضائعها يتحملها التاجر ، وفى نهاية الوثيقة عدل عن ذلك الى أن يتحمل الطرفين النفقات بينهما مناصفة (٢) ، وهذه بعض صور شركات المضاربة التى كانت تتم فى ذلك الوقت .

× × × × × × × × × × × ×

وبجانب الازدهار التجارى الذى شمل الحجاز فى هذه الفترة نتيجة تحول التجارة من الخليج العربي الى البحر الاحمر لثقل الدولة الفاطمة الاقتصادى واجهت الحجاز عوامل حدت من هذا النشاط التجارى وأضعفت منه بين وقت وآخر ومن ذلك انقطاع الحج فكما سلمنا بدور الحج فى انتعاش التجارة وعموم مرافق الحياة فى بلاد الحجاز فقد كانت موسميا تجاريا يجلب اليها السلع من مختلف الأقطار وتزدهر فيها حركة البيع والشراء فى مختلف مدن الحجاز ، لذا فان توقف الحجيج عن عادته

---

(١) ابن قدامه : المقنع ص ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣ .

(٢) ربيع : وثائق الجنيزه مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الاول ج٢ ص ١٣٥

السنوية أو توقف بعضهم يعنى كساد السوق التجارى وخمول حركة البيع والشراء وارتفاع الاسعار وندرة المعروضات ، ويرجع انقطاع الحج الى أمور عدة منها :- هجوم القبائل المتمرسة على قطع الطرق والتى اتخذت من هذا العمل موردا ماليا رغم اذعان الخلافة فى بغداد لمطالبهم وذلك بدفع أموال لهم أثناء اعتراضهم لطريق الحجاج ، ولكن ذلك لم يحد من طمعهم المستمر بأموال الحجاج والتجار فكثيرا مايدعون بعدم كفاية تلك الأموال المدفوعة لهم ، فيطالبون بالزيادة أو بالاعتداء على أموال الحجاج والتجار وهذا ماوقع سنة ٤٠٢هـ حينما وقف الأعراب أمام الحجاج فأفسدوا عليهم المياه ثم هجموا عليهم فأكثروا فيهم القتل وأخذوا الأموال ولم يسلم من الحجاج الا اليسير (١) ، وتكرر ذلك فى أعوام ٤٠٨هـ ، ٤٠٩هـ ، ٤١٠هـ حيث انقطع الحج من العراق بسبب ضعف الأمن على الطرق وهجمة الاعراب عليها واستمرت الحال سنين عديدة فاذا لم يدفع للأعراب مايطلبون من المال ولم يكن للدولة قوة عليهم هجموا على جموع الحجيج فنهبوهم وقتلوا منهم الكثير (٢) .

أما الأمر الآخر والذى بسببه ينقطع الحج فهو عدم صلاحية الطرق التى يسير عليها الحجاج وذلك بسبب قلة الصيانة أو انعدام ذلك بالكلية ممايؤدى الى ضياع معالم الطريق التى وضعت عليه فيضل الناس بسبب ذلك ويهلكون جوعا وعطشا أو بسبب انعدام المياه وذلك راجع الى نضوب الآبار التى على الطريق وتعرضها للردم بالتراب من جراء هبوب الرياح عليها ، ففى عام ٤٠٦هـ هلك من الحجاج أربعة عشر الفا بسبب العطش حتى وصل الأمر بالأحياء أن يشربوا بول الابل (٣) وفى سنة ٤٠٥هـ لم يتمكن حجاج خراسان من مواصلة سيرهم الى الحجاز بسبب العطش وقلة المياه التى

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص٦ .

(٢) ابن كثير : المصدر السابق ج١٢ ص٧، ٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج٧ ص٢٩١ .

التى على الطرق[1] ، ويؤثر سوء الأحوال الاقتصادية التى يمر بها الحجاز على الحج فاذا قلت الأمطار وأجدبت الأرض ضاقت الأرزاق على الناس فيه فدب فيهم الفقر فيهاجر من يستطيع ذلك ويكابد ضنك العيش من لايستطيع السفر ومن ذلك ماحدث سنة ٤٣٩هـ حينما صدر بمصر مرسوم فاطمى مضمونه يقول (أمير المؤمنين أنه ليس من الخير أن يسافر الحجاج للحجاز هذا العام فان به قحطا وضيقا - قد هلك به خلق كثيرون وانى أقول هذا شفقة بالمسلمين فسمع الناس لهذا فلم يسافر أحد منهم)[2] . كما ينقطع الحج من بعض البلدان بسبب مواقف سياسية بين أمراء الحجاز وحكام بعض بلدان العالم الاسلامى ويتخذ منع الحجاج من بلادهم وسيلة للتضييق على اقتصاد الحجاز ، ومن ذلك مافعله العليحى سنة ٤٥٦هـ حينما طرد نائبه محمد بن جعفر بن أبى هاشم عن امرة مكة فما كان منه الا أن منع الحج من اليمن نكاية بالأمير الجديد وقطع محمد بن جعفر الطريق الى مكة والذى تسير عليه القوافل التجارية القادمة من اليمن ، فغلت الاسعار فى أسواق مكة وضاقت معيشتهم[3] .

وكرر هذا العمل الافضل[4] ابن امير الجيوش الفاطمية سنة ٥١٤هـ حين قطع المسيرة عن الحجاز ومنع الناس من الحج وقد اتخذ هذا الموقف بسبب اقدام أمير مكة قاسم بن محمد بن جعفر سنة ٥١٢هـ على نهب التجارة فى ميناء عيذاب ولم يكف عن هذا المنع الا بعد التزام أمير مكة باعادة أموال التجار التى نهبها .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٢ ص١٧٢ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص١١٠ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٤٧٠ .

(٤) الافضل هو ابن والى عكا الفاطمى بدر الجمالى ,ولى الوزارة فى آخر عهد المستنصر بالله واستمر حتى وفاته ,وقد كان له نفوذ فى الدولة وقيل والى أهل السنة فألغى بعض احتفالات الشيعة ,وقد قتل سنة ٥١٥هـ واختلف فى سبب ذلك . المقريزى : ج١ اتعاظ الحنفا ص٢٨١،٢٨٢،٢٨٣ . القاهرة ١٣٩٣هـ .

(٥) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص٤٦٩ و ص٤٩٧ .

ومن العوائق التى حدت من ازدهار التجارة فى بلاد الحجاز ضعف السلطة الحاكمة وتسلطها على الناس وقد أصاب الحجاز ما أصاب العالم الاسلامى من تدهور الأوضاع السياسية آنذاك ومنافسة الفاطميين للخلافة العباسية فى بغداد وماتبع ذلك من تدهور فى تسيير دفة الأمور فى مختلف البلاد التى تخضع للنفوذ العباسى . والحجاز على وجه الخصوص حيث زاد نفوذ أمرائه رغم عدم قدرتهم على حفظ الأمن وضبط النظام فيه وأصبح همهم الوحيد جلب المال الى أيديهم من أى باب كان ذلك وهو ماجسدته الحوادث التاريخية عنهم ، وقد بدأ ذلك أبوالفتوح حين أعلن خلافته فى مكة المكرمة واستقل بالحجاز حيث عمد الى سلب أموال الكعبة وأموال التجار حتى يتقوى بها فى حركتـه (١) ، وتصف المصادر التاريخية أمير مكة محمد بن أبى هاشم بأنه كان ظالما ويسلب الأموال ويقتل الحجاج ويأخذ أموالهم (٢) ، كما قام قاسم ابن محمد فى سنة ٥١٢هـ بتسيير رجاله الى عيذاب فنهبوا مراكب التجار وأموالهم وقتلوا جماعة منهـم (٣) ، ولايكتفى بعض الأمراء بسلب ذوى المال والجاه بل يصل بهم الأمر الى نهب أموال عامة الناس والمجاورين الضعفاء ، وقد فعل ذلك منهم أمير مكة قاسم بن هاشم (٥٤٩ - ٥٥٧) سنة ٥٥٣هـ حين أخذ أموال أهل مكة والمجاورين وهرب بهـا (٤) الى الخارج واذا كان هذا فعل الامير فما بالك بغيره من حاشيته وذوى السلطة لديه .

ومن صور ضعف السلطة اختلال الأمن بين الناس ، وقد تجلى هذا الامر فى مكة بالاعتداء على الحجاج ، ولاشك أن موسم الحج كما تقدم يصاحبه ازدهار فى التجارة وأن الاعتداء على الحجاج ونهب أموالهم يؤثر على حركة البيع والشراء فى الحجاز ،

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص٤٣٧ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ج٢ ص٤٩٦ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٥ ص١٤٠ .

(٤) السنجارى : منايح الكرم ورقة ٢٧٢ مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ٣ .

ولقد تكرر ذلك كثيرا ، فمن ذلك ماحصل سنة ٤٦٨هـ حيث وقعت معركة عظيمة بين الحجاج وعبيد مكة انتهت بهزيمة العبيد (١) ، كما لايسلم الحجاج من اعتداء الامراء أنفسهم ففى سنة ٤٨٦هـ سير أمير مكة محمد بن أبى هاشم عسكره الى الحجاج فلحقوا بهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وأحمالهم (٢) ، وحتى فى حرم الله الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا لم يأمن الناس فقد اعتدى عليهم أمير مكة سنة ٥٣٩هـ بسبب ماوقع بينه وبين أمير الحج العراقى (٣) ، ان وقوع مثل هذه الأحداث على مسمع ومرأى من الحجاج حيث يتناقلونها بينهم وينقلونها الى بلادهم ستؤثر على من يجلب تجارته الى الحجاز ويحسب لقدومه اليه الف حساب ، وربما يعدل عنه الى مكان آخر .

ومن صور ضعف الأمن واختلال الامور فى بلاد الحجاز النزاع بين الامراء ومايجر من نهب أموال الناس وقتل الكثير منهم ، ومن ذلك ماجرته الحروب التى وقعت بين مكة والمدينة زمن امارة شكر (٤) بن أبى الفتوح "٤٣٠-٤٥٣هـ" . وما أحدثته ثورة حمزة بن (٥) أبى وهاس وبنى سليمان على نائب الصليحى فى مكةمحمد بن أبى هاشم سنة ٤٥٦هـ من قيام الأخير بقطع الطريق البرى التجارى الذى يربط مكة باليمن ومنعه القوافل التجارية من الدخول الى مكة مماشكل حصارا

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق ج٣ ص٤٧٨ .

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج٤ ص٤٨٦ .

(٢) ابن فهد : المصدر السابق ج٢ ص٥٠٨ .

(٣) شكر بن أبى الفتوح : ولى امارة مكة بعد وفاة والده سنة ٤٣٠هـ وحارب أهل المدينة حتى جمع بين الحرمين واستمر فى الامارة حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ وبه انقرضت دولة السليمانيين ولم يولد له ذكر فخلفه عبد له . حتى استطاع الهواشم انتزاعها منه (الفاسي : العقد الثمين ج٥ ص١٥،١٦) .

(٥) حمزة بن أبى وهاس : بن أبى الطيب بن داوود (زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ص٣١ مطبعة جامعة الملك فؤاد ١٩٥١م) .

اقتصاديا عليها فارتفعت الأسعار ونقصت المؤن(١) كما قام نزاع بين قاسم بن هاشم وعمه عيسى(٢) (٥٥٦ - ٥٥٧هـ) سنة ٧٥٧هـ حيث جمع الأول جمعا من العرب وأغراهم بالمال وسار بهم الى مكة فهرب عمه منها ورجع اليها بعد قتله(٣) .

ومن العوائق التى حدث من التجارة كثرة المكوس المفروضة عليها ، وذلك راجع الى قلة الايرادات المالية التى تصل الى أمراء الحجاز ممايدفعهم الى فرض الضرائب والمكوس على التجارات التى تصل الى بلادهم فينعكس أثرها على أسعار السلع فيرتفع ثمنها بسبب تلك المكوس المفروضة عليها ويحجم الناس عن شرائها ممايؤدى الى تلفها أو نقلها الى مكان آخر . ومن الموانئ التى تؤخذ بها الضرائب والمكوس ميناء السرين حيث يقتسم مايؤخذ فيه وبين أمير مكة وأمير البلدة التهامى(٤) . وفى جده تؤخذ تلك الضرائب على التجارات وتدفع الى أمير مكة وتتضاعف المكوس والضرائب على بعض التجارات نتيجة لمرورها فى مركزين تؤخذ فيهما كما هى الحال فى البضائع القادمة من المغرب وافريقيا فتؤخذ عليها ضرائب فى عيذاب وتتكرر عليها هذه الضرائب فى جدة وهكذا الأمر بالنسبة لبضائع الصين والهند القادمة عبر عدن واليمن(٥) ، وتختلف مقادير الضرائب ، ففى جدة يؤخذ على كل حمل حنطة نصف دينار كيل من(٦) فرد الزاملة وعلى سفط(٧) الثياب الشطوى(٨) ثلاثة دنانير

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ص٥٢٤ . السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص٩٢ .

(٢) عيسى بن فليته : ولى أمر مكة سنة ٥٥٦هـ واختلف مع ابن أخيه قاسم ثم استقر له الأمر وبقى أميرا حتى وفاته سنة ٥٧٠هـ (الفاسى : العقد ج٦ ص٤٧٠) .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ج٢ ص٥٢٤ .

(٤) مجهول : المنازل ورقة٣ مخطوط بجامعة الملك سعود تحت رقم (١٧) .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٠٤ .

(٦) الفرد . نصف الزوج (ابن منظور ، المصدر السابق ج٥ ص٣٣٧٣) .

(٧) السفط مايعبأ فيه الثياب . ابن منظور المصدر السابق ج٣ ص٢٠٢٧ .

(٨) الشطوي : ضرب من ثياب الكتان تصنع فى شطى . ابن منظور . لسان العرب ج٤ ص٢٢٦٦ .

ومن سفط الديبقى ديناران وحمل الصوف ديناران وفى عشر يؤخذ كل حمل دينار وعلى سلة الزعفران دينار أما فى السرين فيؤخذ العشر . وقدر أنه يصل الى خزانة أمير مكة ثلث أموال التجار .(١)

ولاتسلم القوافل البرية من هذه الضرائب فيوجد مراكز برية مزودة بقوة عسكرية تقضى على المقاومة التى يلاقيها الجباة من التجار وتساعد بالقبض عليهم فى حالة الهروب ، ومن هذه مركز القرين قرب جدة ومركز بطن مر قرب مكة وذلك من أجل قبض الضرائب والمكوس على القوافل القادمة الى أسواق مكة وجدة .(٢)

ومن العوائق التى حدت من التجارة مخاطر الطرق البرية والبحرية على حد سواء وقد أشارت المصادر التاريخية الى ذلك وعزت فى سنين مختلفة انقطاع الحج الى فساد الطريق ومن ذلك ماوقع سنة ٤٠٣هـ حين توقف الحج من العراق وخراسان بسبب فساد الطريق وسنة ٤١٥هـ من خراسان للسبب نفسه ، ومايجرى على الحجاج يجرى على غيرهم من مرتادى الطرق وبالأخص أصحاب القوافل التجارية .(٣)

أما مخاطر الطرق البحرية فتكمن فيما يتمتع به البحر الأحمر من سمعة سيئة لدى ملاحى السفن منذ القدم حتى انفرد عن غيره من البحار بهذه الخطورة وأصبح ربان السفن يخافون منه أكثر خوفهم من المحيط الهندى ، وتتمثل هذه المخاطر بالشعب المرجانية التى تملأ سواحله والصخور التى تملأ جوانبه ، فضلا عن العواصف التى تهب عليه بين وقت وآخر وأخطر مناطق البحر الأحمر تأثرا بهذه

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٠٤،١٠٥ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ص١٣٥،١٣٨،١٣٩ . ابن جبير : الرحلة ص٥٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج٧ ص٢٦٨ و ج٨ ص١٦ .

الرياح مدخل خليج السويس وذلك بسبب التقاء الرياح التى تهب عليه من ناحية الخليجين هذا فضلا عن أخطار البحر المستديمة والتى كانت السفن تتعرض لها فى موانئ البحر الأحمر وفى غيره فى لحظة وصولها وخروجها منه فكثيرا ماكانت تتعرض للاصطدام بالشاطئ (١) وقد تنفلق نصفين فتغرق البضاعة التى على ظهرها ، بالاضافة الى أخطار البحر على وجه العموم ، فقد ذكر أن أحد التجار ممن يملك تجارة عريضة فى أثناء رجوعه من الهند غرقت سفنه ولم ينج منها سوى سفينة صغيرة فضاعت غالب تجارته فيها (٢) . ولاتتوقف خطورة البحر على تلك العوامل فقط بل لقد شاع فى هذه الفترة قرصنة البحر وأصبحت حرفة شائعة يتبناها الاعداء ضد بعضهم .

وقد كان يخصص لهم الرواتب والامتيازات التى تدفعهم للعمل لكلا الطرفين ، فكانوا يجوبون الطرق البحرية للاستيلاء على السفن التى تسير فيها فاذا تم لهم ذلك صادروها ومن عليها من الرجال والبضاعة فيباع الرجال فى أسواق الرقيق وتمتلك البضاعة ، ولهذا كان خطرهم شديدا على التجارة فى ذلك الوقت ، وهذا ماتشير اليه وثائق الجنيزة من أن قوافل التجار تبدأ رحلتها فى مجموعات متقاربة بسبب خطر التجرم البحرى (٣) .

---

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ص٤٦ . الادريسى : المصدر السابق ق١ ص١٣٦،١٣٧

(٢) القوصي : تجارة مصر فى البحر الأحمر ص١٥ .

(٣) ربيع : وثائق الجزيرة . مصادر فى تاريخ الجزيرة العربية ج٢ ص١٣٨ .

القوصي : تجارة مصر فى البحر الاحمر ص١٣ .

الفصـــــل الثالـــــث

المنشـــآت التجارية ونظـــم المعـاملات .

(الاســـواق)

العملات .

المكاييل والموازيـــــن .

الاسعار .

الايرادات المالية والمصروفات .

الازمات الاقتصاديـــــة .

عرف الحجاز منذ القدم بأنه ملتقى التجار من كل مكان وفيه قامت أسواق العرب القديمة عكاظ[(١)] ومجنة[(٢)] وذو المجاز[(٣)] والتى كانت ملتقى للشعراء والادباء وللحجاج الذين يفدون الى مكة ولم تزل هذه الأسواق تمارس فعاليتها حتى العصر الأموى[(٤)]، ولهذا فان مقومات استمرار النشاط التجارى فى مدن وقرى الحجاز من وجود التجمعات الموسمية وارتياد الناس لها لا زالت قائمة عبر تاريخ الحجاز الطويل ،ففى مكة المكرمة أسواق موسمية تقام فى أوقات معلومة من السنة يفد اليها الناس خصوصا لبيع ما لديهم ، فتصبح فيها الحركة التجارية على قدم وساق وذلك لكثرة مرتادى هذه الأسواق من الباعة والمشترين بالاضافة الى ندرة المعروضات التى تعرض فيها ،وفى بعض الأحيان يصاحب هذه المواسم هبوط فى الأسعار يدعو الناس الى الشراء استعدادا لمواسم الغلاء وقلة المعروضات والمنتجات ، ولقد رتب التجار مواعيد حضورهم لهذه الأسواق من مختلف البلاد لشراء المعروضات المتنوعة وعرض بضائعهم فى هذه الاسواق المستهلكة والأسواق الموسمية التى تقوم فى مكة[(٥)] ويصاحب مواسم تجمع الناس بها ، ومن هذه المواسم أول رجب حيث الاعتقاد لدى بعض الناس

---

(١) عكاظ : نخل فى واد بينه وبين الطائف لية وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كان تقوم سوق للعرب (ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ، ص ١٤٤) .

(٢) ومجنه : بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وبه سوق للعرب (ياقوت، معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٥٨) .

(٣) ذو المجاز : موضع سوق عرفه (ياقوت : المصدر السابق، ج٥ ، ص ٥٥) .

(٤) القزويني : آثار العباد وأخبار البلاد ، ص ٩٤ ،السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز ، ص ٩٩ ،٤٤ .

(٥) السليمان : النشاط التجاري ، ص ٢٦٣ .

أهمية العمرة الرجبية وفضلها ،والموسم الاخر يوافق وقت الحج والذى يأتى الناس فيه الى مكة من كل حدب وصوب استجابة لنداء الله عز وجل (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (١) وفى أيام المواسم تصبح مكة سوقا تجارية عظيمة (يباع فيها من الدقيق الى العقيق ،ومن البر الى الدر ، وكان يباع الدقيق بدار الندوة الى جهة باب بنى شيبه ، ومعظم السوق فى البلاط الآخذ من الغرب الى الشمال ، وفى البلاط الاخذ من الشمال الى الشرق ،وفى ذلك من النهى الشرعى ماهو معلوم) (٢) وسبب ذلك امتهان حرمة المسجد الحرام، فيصبح مثل السوق التجارى فيقع الناس بما يقعون فى أسواقهم من المحظورات الشرعية) (٣) وفى مشاعر الحج تقوم أسواق موسمية تلبى حاجة الحجاج ، ففى عرفه يقوم سوق كبير تكثر فيه ألوان الطعام يأتى بها أهل السروات من ناحية اليمن كما يجلب اليها أيضا مختلف البضائع التى ترد مكه ، وسوق منى الموسمى يفوق سوق عرفات ويعود ذلك الى طول مدة العرض حيث تطول مدة اقامة الناس لتميزها عن غيرها من مشاعر الحج ولذلك يجلب اليها أنواع من البضائع المختلفة منها الجواهر النفيسة بالاضافة الى مختلف أنواع الاطعمة التى يحتاجها الناس مدة اقامتهم. (٤)

أما الاسواق الدائمة فهي مابين الصفا والمروة ، حيث كانت خارج المسجد

١) سورة الحج آيه ٢٧

٢) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤١ ،ريتشارد موتيل : الاحوال السياسية والاقتصادية فى مكة ص ٢٧٣ . الرياض ١٤٠٥هـ .

٣) ابن جبير : الرحلة ص ٩٧ . العبدرى : الرحلة ص ٢٦٧ ،مجهول الاستبصار فى عجائب الامصار ص ٢٥ . الاسكندرية ١٥٥٨م .

٤) ابن جبير : المصدر السابق ص ١٥٧ . العبدرى : المصدر السابق ص ١٨٥

الحرام حتى وقت قريب ، فانتشرت المحلات التجارية وأصبحت تشكل سوقا للمواد الغذائية يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن والفواكه والخضار ويجلب اليها أهل السروات الزبيب الاسود والاحمر واللوز وقصب السكر (١) ،وتؤثر كثافة الحركة التجارية على طريقة العرض للسلع التجارية فتشير المصادر التاريخية الى قدم وجود اسواق متخصصه فى مكة المكرمة حسب المعروضات التى فيها وهذه الطريقة تحقق التجانس فى المعروضات مما ييسر على الناس سهولة تحديد وشراء مايريدونه ، فكما رأينا تخصص السوق الواقع بين الصفا والمروة بالمواد الغذائية (٢) نجد أن هناك أسواقا اخرى لاصناف البضائع ، ففى مكة سوق للعطارين يقع غرب باب السلام وآخر لهم عند باب بنى شيبه وسوق للبزازين كما كان لاهل الصرافه سوق خاص بهم (٣) ، واشتهر بمكة سوق عرف بسوق بنى زيد متخصص فى تجارة الجواهر والمعادن النفسية (٤) .

وتقل الحركة التجارية فى الطائف عنها فى مكة مع قربه منها فتذكر المصادر سوق صغير بها يسمى المشرق وتجلب اليه الفاكهة من قرية الوهط القريبة منه .
والطائف طريق أهل السروات الى مكة فلا بد أنهم كانوا يعرضون بعضا من بضائعهم فى الطائف كما ان من تكون بضاعته قليلة يجد سوقا مناسبا فى الطائف سيعرضها فيه ويوفر على نفسه مشقة السفر الى مكة ،كما تجلب محاصيل مزارع الطائف المتنوعة الى هذا السوق ليبيعها ،

وقد اشتهرت الطائف منذ القدم ببضاعة الادم وتصديرها

١) ابن جبير : الرحلة ص ٩٧ ، ٩٨ . ابن بطوطه : الرحلة ص ١٣٢ .
٢) ابن بطوطه : المصدر السابق ص ١٤١ .
٣) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١٢٣
٤) الغنيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك للبكرى ص ٣٩

ولا شك أن عرضها للمشترين سوف يكون بالسوق (١) ،وقد تغيرت اسواقها وازدهرت واصبحت اسواقا حافلة يحضرها الناس من اطراف نجد ويجلب اليها الكثير من الحبوب والثمار والزيت والعسل (٢).

أما جده فان موقعها يؤهل لقيام اسواق تجارية كبيرة بها وذلك أنها أول من يستقبل السلع الواردة الى الحجاز ،وبعض الاحيان غالب مناطق شبه الجزيرة العربية القريبة فمن اسواقها الندار وسمى بذلك لندرة المعروضات التى تنزل فيه وهناك سوق يسمى نظرب وهو مستطيل وفى غاية اللطافة وفيه أماكن اقامة للتجار وغيرهم من مرتادى هذا السوق يقيمون فيها حتى يكونوا قرب سلعهم التى يعرضونها فيه ويزخر هذا السوق بأنواع الاطعمة والاقمشة التى تجلب اليه (٣)،وفيه ايضا سوق يعرف بالجامع وسمي بذلك نسبة الى الجامع المعروف بمسجد الشافعى ويدخل اليه القادم من باب مكة الى اليمين (٤) ، ومن اسواقها سوق يعرف بسوق النبط وهو سوق ظريف يجمع صيادى السمك ويباع فيه السمك الطرى والتمر الهندى وانواع من المنسوجات ،والى جواره خان صغير يسكنه التجار الذين يفدون الى هذا السوق من اماكن بعيده (٥) ، ويجوار هذا السوق سوق يعرف بالخراج يزدحم أيام مواسم الحج لكثرة الوافدين اليه من الناس من الباعة والمشترين ،وفيها سوق يقع خارج البلد

---

١) الاديسى : نزهة المشتاق ق ص ١٤٤ ،١٤٥ ابتسام آل سويلم : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز فى العصر العباسى . ص ٣١.
٢) حمد الجاسر : مقتطفات من رحلة العباشى ص ١١٣ .
٣) الحضرواى : السلاح والعده فى اخبار جده ـ مخطوط مكتبة جامعة الملك سعودفلم (٩١)
٤) الحضراوى : المصدر السابق ورقه ٣٥.
٥) الحضراوى : المصدر السابق ورقه ٣٥.

يعرف بسوق بره ولعل وقوعه خارج البلد لكون المعروضات التى فيه يتعذر دخولها الى وسط البلد لسبب وآخر (١) ،وكانت أسواق جده محطة نهائية لبعض القوافل التجارية البرية والبحرية التى تباع فى أسواقها ، كما أن هناك قسم آخر يواصل مسيرة الى مكة أو الى موقع آخر برى أو بحرى ،وتستقبل اسواق جده الاطعمة من القمح والذرة من سواكن ويحمل تجار سواكن الذين يجلبون لها هذه الاطعمة ماتحتاجة الاسواق الافريقية من مختلف البضائع الموجودة فى اسواق جده مما يعنى قيام حركة تبادل تجارى فى أسواق جده مع بلاد اخرى (٢) .

والاسواق فى المدينة قديمة قدم تاريخها فمن المعروف ان موقعها قد ساعد على نشاط الحركة التجارية فيها حيث تتوسط مجموعة من القرى المتناثرة حولها كما تنتشر فى صحرائها مراعى البدو والمتنقلين فى جهاتها ولهذا كانت محطة تزودهم بما يحتاجونه من الطعام ومتطلبات الحياة ،وقد أنشأ النبى - صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة سوقا للمسلمين فيها قصد من ذلك حمايتهم من استغلال اليهود واستمر سوق المدينة بازدهار ونما وكانت تجارة التمور من أهم معروضاته حيث كثافة محصول المدينة منه (٣) ، ويتجر أهل المدينة مع جيرانهم من أهل البادية فى بضائع شتى منها السمن واللبن والاغنام والخيول وماتنتجه المدينة من القمح والشعير والذرة والمنسوجات، كما تزداد حركة البيع والشراء فيه اثناء موسم الحج بقدوم

١) الحضرواى :السلاح والعدة فى اخبار جده ،ورقة٣٥ .
٢) السليمان : النشاط التجارى ص ٢٦٢ .
٣) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٢ ص٧٥٣ و ٧٥٤ .

(١)
التجار والحجاج اليها للزيارة ٠

وبجانب هذه الاسواق الكبيرة فى المدن قامت اسواق فى القرى والارياف
(٢)
واماكن تجمع البادية ففى خليص قام سوق عظيم يرتاده الاعراب بين وقت واخر يجلب اليه البدو اغنامهم كما تصل اليه بضائع اخرى منها التمر والادم وكثير من الارزاق فترخص اسعارها وفى ينبع سوق كبير يزدهر أيام الموسم الذى يقدم فيه الحجاج فيشترون مايحتاجون من البر والتمر مايوصلهم الى مكة ، وكذا الحال فى رابغ ،وفى بدر سوق يستقبلون به قوافل الحجاج وغيرهم من
(٣)
التجار فيبادلونهم بما لديهم من التمر والجمال ،وغيرها ، كما قامت اسواق عامره فى الجارميناء المدينة الرئيسى والتى كانت تستقبل مختلف البضائع الواردة
(٤)
الى المدينة ويباع فى هذه الاسواق الحنطة والاسماك ٠

* * *

---

١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٠٠حمد الجاسر مقتطفات من رحلة العياشى ص ٤٤٣٠
السليمان : النشاط التجارى ص ١٠٣ ، ١٠٤ ٠
٢) خليص ٠ حصن بين مكة والمدينة (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٧)٠
٣) العبدرى : الرحلة ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ٠
٤) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ج ٩ ص ٤٨٧ ٠

اما العمـــلات :

فقد نشأت الدولة الاسلامية ولم يكن لها نقود خاصة تتعامل بها وكان التعامل بين الناس يتم بالنقود الاجنبية (١) وهى الدنانير الذهبية البيزنطية التى يعود بها التجار الذاهبون الى الشام كثمن لبضاعتهم ،وكذلك الدراهم الساسانية الفضية التى يجلبها التجار القادمون من بلاد الفرس وكذا النقود الحميرية التى تأتى من اليمن ٠(٢)

أما العملة الاسلامية فقد اختلف فى بدأ سكها ،هل كانت زمن النبى صلى الله عليه وسلم أم فى عهد الخلفاء ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أم فى عهد معاوية رضى الله عنه أو عبدالملك بن مروان ولعل الرأى الاخير هو الصواب ٠(٣)

وأيا كان الامر فان الحجاز كانت تتبع الدولة الاسلامية والتى تباعدت أطرافها وأصبحت كبعض الاقاليم تضرب لها نقودا خاصة بها ولكنها تحت شعار الدولة مع الالتزام بالعيارات النقدية ٠ (٤)

وعندما استقل عبدالله بن الزبير بالحجاز سك دراهم شكلها مستدير ونقش على وجه (محمد رسول الله) وعلى الاخر(امر الله بالوفاء والعدل) وبعد أن قضى

---

(١) يسمى الدنيار لوزنه او قبل ضربه يسمى تبر. وهو الذهب غير المضروب الكره أو القطعة ٠ ويسمى الدرهم لوزنه درهما وزنة كل عشرة دراهم سته مثاقيل والمثقال زنة اثنين وعشرين قيراطا الاجبه والقيراط يختلف وزنه بحسب البلاد ،بمكه ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره (المقريزى النقود القديم الاسلامية ص ٢٧ - ٢٨ حاشيه رقم (٢١) القاهرة ١٩٣٩)

(٢) البلاذرى كتاب النقود ص ٩٢٨ من مجموعة النقود العربية وعلم النميات

(٣) ناقش هذه القضية الوكيل فى كتابه المدينه عاصمة الاسلام الاولى ص ٨١٢، ٨١٣ ط المدينة عام ١٤٠٦هـ ٠

(٤) المقريزى ٠ النقود القديمة الاسلامية ص ٣١، ٣٢، ٣٣٠ الوكيل المرجع السابق ص ١٨١٢، ١٨١٣٠

الامويون على حركته عادت الامور الى وضعها السابق فأصبح التعامل بالدراهم السائدة فى العالم الاسلامى آنذاك وبقى هذا الوضع حتى انتشرت الزيوف وذلك بعد أن قويت امارات الاقاليم وفقدت الخلافة هيبتها ثم مالبثت الدولة الفاطمية أن سكت عمله خاصة بها وذلك عام ٣٥٨ هـ، حيث ضرب جوهر الصقلى الدينار المعزى ونقش على وجه ثلاثه اسطر أحدها (دعى الامام المعز لتوحيد الاحد الصمد) وتحته سطر (ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة) وفى الوجه الاخر (لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين ووزير خاتم المرسلين) وحتى تقوى الدولة الفاطمية من عملتها وتزيد من شهرتها امر المعز (٣٦٥/٣٤١) هـ فى سنة ٣٦٢هـ عامله على الخراج بمصر بأن لايقبض الا دينارا مصريا فأثر ذلك على الدينار العباس وانحط ونقص من صرفه اكثر من ربع دينار (١)، وبجانب هذه العملات للدولتين العباسية والفاطمية تورد المصادر التاريخية تقدير بعض السلع بدنانير مغربية ونيسابورية مما يدل على كثرة العملات المتداولة بأسواق مكة المكرمة (٢) كما وجدت فى مكة نقود محليه يستخدمها أهل مكة فيما بينهم وهى المطوقة والعشرية وهما ثلثا المثقال ،وتفضل

---

١) المقريزى : النقود القديمة الاسلامية ص ٥٨ .
٢) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١١ . ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٣٤ .

المغربية على غيرها ،وتسمى الدراهم المستعملة بمكة المحمدية ولايعرف مصدر هذه التسمية كما وجد فى مكة المزنبقة وتساوى اربع وعشرون مثقال ولكنهــا تبطـل فى موسم الحج من ٦ ذى الحجة الى آخر الموسم (١) ،ولعل هذا الاجراء الاقتصاى الــذى اتخذ تجاه هذه العملة يراد به كسب العملة العاليمة آنذاك ذات القيمة العاليــة كالعباسية والفاطمية وضمان توافرها بيد التجار والصراف ويوافق هــذا الاجراء نهج الدول الضعيفة اقتصاديا بالحفاظ على عملتها وعدم خروجها من محيطها (٢).

وقف شهدت مكة عبر فترات متقطعة ضرب عملات محلية باسم امرائهــــا العلويين وفعل ذلك ابو الفتوح حين خرج عن طاعة الفاطميين سنة ٤٠١هـ،ونــــادى بنفســه خليفة ولما نقص المال عليه أشار الوزير ابوالقاسم (٣) ،الذى هرب من بطـش الحاكم الفاطمى بأخذ أموال الكعبة وماعليها من اطواق الذهب والفضة فأخذهــــا وضربهـــــا دنانيـــــر سميت بالفتحية نسبة اليــه ، كما ذكر ان لهـا اسم آخر الكعبيةولعل مصدر هذا الاسم من اعدائه ليعرفوا الناس انها اخـــذت من أموال الكعبة المشرفة ،وهذا الاسم بلاشك ليس الاسم الرسمى لها (٤) ، وحيـــــن فشلت حركة ابو الفتوح وعاد الى مكة بعد أن صفـــح عنه الحاكم ضرب عملة باســـم الحاكم يستجدى بها رضاه (٥).

---

١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٩٩.

٢) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ٢٦١.

٣) الوزير ابو القاسم . هو الحسين بن على بن الحسين الوزير الذى هرب من مصـــر لما قتل الحاكم والده الى الرملة ثم العراق وخدم بنى بويه ووزر لهم . توفـى سنة ٤١٨ هـ (الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ص ٦٩ حاشية ٤).

٤) ابن فهد : اتحاف الورى ج ٤ ص ٤٣٦، ٤٣٧ .

٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٩٥ طبع القاهرة ١٣٩٢هـ .

وتكرر ضرب العملة فى مكة والمدينة ،ففى سنة ٤٦٢ هـ وبعد أن ضاقت النفقة على امير مكه محمد بن جعفر وقلت الدراهم بيده عمد الى اخذ الذهب من استار الكعبة والميزاب والباب فضربه دراهم ودنانير وعمل مثله امير المدينة (١) أبن مهنا حيث أخذ قناديل المسجد النبوى فضربها دراهم ودنانير ، اما كيفية هذه العملة ومقدارها ووزنها وباسم من ضربت فلا تدلنا المصادر التاريخية على شئ من ذلك ، ومع هذا الضرب المتكرر فى الحجاز للدراهم والدنانير الا أن المصادر حينما تورد امورا تخص التعامل بالعملات يوحى ايرادها انها الفاطمية او العباسية بينما تلك العملات المحلية التى ضربت فى الحجاز لاتتعدى اسواقه ، فمثلا فى سنة ٤٤٧ هـ ورد ارتفاع الاسعار بمكة وقدرت قيمة عشرة ارطال من الخبز بدينار مغربى ولم تقدر بدينار محلى من التى ضربت فى مكة (٢) ، كذلك كان العطاء من العباسيين لامراء مكة بالدينار العباسى . فقد بعث الب ارسلان لمحمد بن جعفر بن هاشم ٣٠ الف دينار ولامير المدينة ابن مهنا ٢٠ ألف دينار (٣) وحينما ارتفع الكرب عن مصر والذى حل بها سنة ٤٦٢هـ بسبب القحط والجدب والوباء واعاد الفاطميون الاتصال بالحجاز (٤) اعطوا امير مكة محمد بن جعفر الف دينار معزية ، وهكذا كانت اسواق الحجاز مليئة بالدنانير الفاطمية العباسية سواء ماكان يصلها عن طريق العطايا والهبات لامراء مكة والمدينة وأما كان يجلبه الحجاج معهم لقضاء حوائجهم فى موسم الحج فى الاسواق ،وهذا ما

---

١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٩ ، ١٠١ .
٢) ابن فهد : اتحاف الورى حـ ٢ ص ٤٦٤ .
٣) ابن الاثير: الكامل ج ٨ ص ٧٩ . جمال الدين بن على بن ظافر: اخبار الدول المنقطعة ص ٦٨ .
٤) ابن فهد: اتحاف الورى حـ ٢ ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

جعل المنافسة على اشدها بين العملتين العباسية والفاطمية فى اسواق مكة ولعل ذلك يعود الى الاجراء الذى اتخذه الفاطميون تجاه العملة العباسية بمقاطعتها ورفض التعامل بها والذى اثر على الدينار العباسى حتى فى بغداد نفسها وجعل حكومة بغداد تقابل هذا الاجراء بالمثل فتُرِكت الدنانير المصرية ومُنِع من الابتياع بها والإجارة والمداينه وغير ذلك(1) واستمر التعامل فترة طويلة بالدنانير المصرية بأسواق الحجاز حتى ضرب الملك المسعود يوسف بن محمد(2) دنانير محلية بمكة (كان الواحد منها يساوى أربعة دراهم ، وكل درهم ثلث جوز وكل جائز ثمانية فلوس وكل فلس اربع درس)(3) .

والتزييف بالدراهم منذ القدم ، واول من عمل ذلك فى العصر الاسلامى عبيد الله بن زياد ، ويراعى فى العملة المزيفة الوزن فيعوضون نقص الذهب باستعمال الزئبق والأُنتيمون وانتقلت عدوى التزييف الى بعض بلاد الحجاز فالسرين رغم سعة تجارتها وازدهار أسواقها الا ان العملة المستخدمة فيها كانت مزيفة(4) .

وبجانب التعامل بالنقود والتى هى قيمة المبيع من السلع والبضائع وجد فى الحجاز

---

1) ابن الحوزى: المنتظم ج ٢ ص ٨٨. الزيلعى. مكه وعلاقاتها الخارجية ص ٦١.
2) يوسف بن محمد بن أبى بكر قدم الى مكة سنة ٦١١هـ ثم رحل منها فى نفس العام حتى قدم اليها سنة ٦١٩ هـ وانتزعها من حسن بن قتاده بعد حرب معه وفى عهده أمنت الطرق وقلت الاشرار . توفى سنة ٦٢٦ هـ ودفن بمكة (الفاسى العقد الثمين ج ٧ ص ٤٩٣ ، ٤٩٤) .
3) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص١٢ . الزيلعى : المرجع السابق ص ١٨٦.
4) المقريزى : النقود القديمة الاسلامية ص ٥٠. حمد الجاسر : كتب المنازل . مصادر تاريخ الجزيرة الكتاب الاول ج ٢ ص ٢٣١ .ميتز الحضارة الاسلامية ص ٣٨٧.

نظام البيع بالمقايضة وهو ماعرف بكج كج ، وهو تعامل أهل مكة مع السرويين الذين يحملون اليها مختلف البضائع فيقول ابن جبير عنه (ومن العجيب امر هؤلاء الماثرين انهم لايبيعون جميع سلعهم بدينار ولادرهم انما يبيعون بالخرقة والعباءات الشمل فأهل مكه يعدون لهم ذلك مع الامتعة والملاحف المتان وما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويبايعونهم فيه ويشارونهم)(١) كما ان بعض الاصناف التى لاتخضع للنظام آنذاك تباع بما يسمى بالبيعة ومن ذلك الادم حيث كل بيعة تساوى مائة منّ وحمل الجمل يتم به بيعتين ونصف ولعلها تشبه الكورجه التى لاتزال تباع بها الجلود فى وقتنا الحاضر بمكة .(٢)

---

١) الرحلة . ص ١١٠ ، ١١١ .

٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٣ . الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٦٣ .

أما عن الموازين والمكاييل المستخدمة :

فان أول من عمل الاوزان الحجاج بن يوسف الثقفى ايام كان واليا لعبد الملك بن مروان على العراق ، وذلك ان سمير اليهودى والذى ضرب الدراهم للحجاج من الفضة الخالصة ، جعل فيها ذهبا فأراد الحجاج قتله فأشار عليه بما هو خير من قتله فأذن الحجاج له فوضع الاوزان وزن الف وزن خمسمائة الى وزن فجعلها حديدا ونقشها وقدمها الى الحجاج فعفا عنه (١) ، والمعتبر فى الوزن هو الرطل فيساوى اثناعشر اوقية ، والاوقية خمسون درهما ويساوى الرطل البغدادى مائة وثلاثون درهما والمن يعادل رطلان (٢) .

ووحدة الوزن المستخدمة فى بلاد الحجاز هى المن المعروف فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ويسميه أهل مكة والمدينة رطل يساوى مائتى درهم ويختلف مقداره عن الرطل البغدادى المستعمل فى اليمن وعمان (٣) .

وتوزن جميع الحوائج من العطر وغيره بالرطل ،كما ان هناك حوائج اخرى يستخدم لها ارطال تختلف عن هذا الوزن فمن اللحم اربعمائة درهم وبه يباع اللحم والشحم والهريسه والمجبنه ، ومن السمن ثمان مائه درهم وبه يباع السمن والزيت والخل والشيرج،وقد استمر البيع فى هذه الارطال بمناطق مكة فيوجد رطل للمسك ورطل للعنبر ورطل الصباغ والبخور ، وفيه ايضا الرطل الحجرى والبندرى والبارقى

١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١ ص ٤١٥ .
٢) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٩٩ .
٣) المقدسى : المصدر السابق ص ٩٩ . ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٢ .

وكلها تنسب الى اماكن تقع جنوب مكة المكرمة (١) .

اما المكاييل فيستخدم فى بلاد الحجاز الصاع والمد والمكوك فالمد ربع الصاع، والصاع ثلث المكوك ، ويساوى الصاع خمسة ارطال وثلث ولكن مالبث ان تعدل الى اربعة ارطال فقط والصاع مكيال أهل المدينة منذ القدم ، واشتهر فيها الصاع النبوى ويستخدم الصاع فى مكة لكيل الحنطة وسائر الحبوب (٢) ، وكما حصل التزييف فى العملات وقع التطفيف فى الكيل فيقول المقدسى (ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما جرايات الملاحين ويتعاملون بالكبير) (٣) وتباع الاقمشة وماشاكلها بذراع اليد وذلك ايام المواسم كالحج والعمرة واذا انتهت هذه المواسم زيد فى الذراع (٤) .

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٢ . الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٦٣.

٢) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٩٩. ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٣.

٣) المقدسى : المرجع السابق ص ٩٩. ابن المجاور : المصدر السابق ص ١٣.

٤) السليمان : النشاط التجارى ص ٢٦٧.

أمـا الاسعـــار:

فهي كمؤشر الحرارة ،سريعة التجاوب مع الظروف المحيطة بها ، وقد خضعت اسواق مدن الحجاز لظروف متعددة ومتنوعة ، فحادث يرفع الاسعار واخر يخفضها ، فقد تصل السلع الى ايدى الناس بما يشبه العطاء . وقد ينحرمون منها ونظرا لعلاقة الحجاز الوثيقة مع اقاليم الدولة الاسلامية القريبة منه كمصر والشام والعراق واليمن فانها كثيرا ماتتأثر بها سلبا او ايجابا فيكون الحدث فى تلك البلدان ويظهر اثره واضحا جليا فى اسواق مكة والمدينة مما يوضح بجلاء عمق العلاقة التجارية التى تربط الحجاز بهذه الاقاليم ، ومن ذلك ماحصل عام ٤٤٥هـ حين عم ارتفاع الاسعار لكافة السلع الشرائية فى العراق والشام ومصر والحجاز[(١)] وتكرر ذلك عام ٤٤٨ هـ ، فارتفعت وشملت مختلف السلع التجارية فى الشام والجزيرة واليمن والحجاز[(٢)] ، وكما تتأثر اسواق الحجاز بارتفاع الاسعار فى البلاد ذات الصلة التجارية بها ، تتأثر ايضا بانخفاضها فقد عم الرخص جميع البلاد عام ٤٥٤هـ. وبلغ من شدته ان بيع الف رطل من التمر بالبصرة بثمانية قراريط[(٣)] .

وكما تبين لنا اثناء الحديث عن المحاصيل الزراعية بالحجاز من أنها لاتكفى لسد حاجة الناس وانه منذ القدم يجلب الى اسواق الحجاز من الشام ومصر مايكفيهم من الحبوب والقمح فيلاحظ تأثر الاسواق الحجازية بانقطاع هذه المحاصيل عنها بسبب

---

١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٠.
٢) المصدر السابق ج ٨ ص ٧٩ .
٣) المصدر السابق ج ٨ ص ٧٣ . الجزيرى : درر الفوائد المنظمة فى طريق الحاج ص ٢٥٤.

ماحل بموطنها الاصلى من احداث تؤدى الى انقطاعها عنهم أو نقصانها عليهم كالجوائح والحروب ، ومن ذلك ماحصل حينما تأخرت زيادة مياه النيل بمصر عام ٤٤٧ هـ واثر ذلك على محاصيل مصر الزراعية فارتفعت الاسعار لديهم فلم يحملوا شيئا من الحبوب الى مكة فوقع بها غلاء شديد (١) وتكررت الحالة عام ٥١٤هـ حين منع الحج وقطعت الميره من مصر بسبب اعتداء امير مكة على اموال التجار فى عيذاب فظهر الغلاء بمكة (٢) .

وحيث يستفيد الحجاز من قدوم الحجاج اليه فى الموسم فان انقطاعهم عنه يؤثر فى غلاء المعيشة عندهم ،فلما منع الصليحى الحج من اليمن عام ٤٥٦هـ ارتفعت الاسعار فى مكة (٣) ،وكما تتأثر قيمة السلع التجارية بالاحداث الخارجية يكون تأثيرها أسرع بالأحداث الداخلية التى تقوم فى مدن الحجاز فقد دخل الصليحى مكة عام ٤٥٥ هـ فأحسن فيها السيرة وجلب لها الاقوات فسهل على الناس حركتهم وتوفرت السلع فى أسواقهم ونعم الناس بحياة ملؤها الامن والاستقرار (٤) .

وبجانب هذا التأثر بالاحداث الداخلية فان النظم التى يسنها الامراء والحكام ، تؤثر فى واقع الناس المعاشى ففرض الضرائب والمكوس تزيد من قيمة السلع التجارية على التجار فيزيدون فى سعرها اثناء البيع ليعوضوا تلك المبالغ التى اخذت منهم ،

١) ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٩٧ ،ص ٢٥٩ . الجزيرى : دررالفرائد ج١ ص ٢٥٩.

٢) ابن فهد : المصدر السابق ج ٦ ص ٤٧٠. الجزيرى: المصدر السابق ج١ ص ٢٥٥.

٣) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٧٩ . الجزيرى : درر الفرائد ص ٢٥٤ . ابن فهد اتحاف الورى ج ٤ ص ٤٦٤ .

٤) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٩٦.

وعندما تلغى مثل هذه الرسوم تنزل قيمة البضائع على التجار فيرخصون فى اسعار بضائعهم ومن ذلك ماقام به امير مكة فليته بن قاسم (١) (٥١٧هـ - ٥٢٧ هـ) حينما اسقط المكوس التى تفرض على التجار والحجاج فرخصت الاسعار واستحسن الناس ملكه (٢) .

ويصعب علينا تحديد اسعار معينة للسلع التجارية التى تعرض فى اسواق مدن الحجاز بهذه الفترة ،وذلك راجع الى طولها وطبيعة التغير التى تلازم الاسعار وسرعة استجابتها للظروف القريبة منها والبعيده ، فتنقل لنا المصادر رخصا فى الاسعار يشمل الحاجات الضرورية فى سنة ما ثم لا تلبث أن تنقل لنا غلاء فاحشا لسنة اخرى قريبة منها ،ومثال ذلك لما انقطعت حمولة مصر من الطعام الى مكة بسبب عدم زيادة النيل سنة ٤٤٧هـ صار بمكة غلاء فاحش بحيث بلغ عشرة أرطال من الخبز بدينار مغربى (٣) ، وعلى العكس منه تماما ماحدث سنة ٤٥١هـ حينما حل بمكة رخص لم يعهد مثله من قبل حتى أنه بلغ قيمة مائتى رطل من البر والتمر بدينار واحد (٤) ويمكن القول أن السوق الرئيسة فى الحجاز هى مكة وهى المقياس الحقيقى للاسعار فى الحجاز ،فما يقع فيها ينعكس على غيرها من الاماكن الاخرى .

---

١) فليته بن قاسم ولى امرة مكه بعد وفاة أبيه سنة ٥١٧ فأحسن الى الناس وأسقط المكوس عنهم . توفى سنة ٥٢٧ هـ وله من الاولاد شكر ومفرج وموسى (الفاسى : العقد الثمين ج ٧ ص ٢٠) .

٢) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٣١٤ . الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٩.

٣) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٧٦.

٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦ ،الجزيرى : المصدر السابق ص ١٥٤

أمـــا الايرادات الماليه : فالمعروف ان امراء الحجاز فى مكة والمدينـة فى هذه الفترة يعتمدون اعتمادا شبه كلى فى ايراداتهم المالية التى يستطيعـون بها تصريف امورهم على مايصلهم من حكام الدولة العباسية ،والفاطمية ،ولهـذا تميزت هذه الفترة بالتلون السياسى منهم ،فهم يدفعون لاحدى الدولتين التـــى لديها قدرة مالية تدفع لهم منها ويخطبون لها على منابر الحرمين الشريفيـــن وينبذ الطرف الاخر ، ثم ماتلبث أن تتغير الحال تبعا لقوة الدولة وضعفهـــا ومن ذلك مافعله محمد بن أبى هاشم والذى وصف بتلون ولائه حسب مصالحه ، ففـــى سنة ٤٦٢ هـ وحينما انقطع مايرد من حكام الدولة الفاطمية ،ماكان منـه الا أن بعث برسوله الى السلطان ألب أرسلان يبلغه باستعداده لاقامة الخطبة للخليفـــة القائم بأمر الله (٤٢٢هـ - ٤٦٧هـ) وللسلطان ألب أرسلان بمكه وانه سيسقط اسم الفاطميين منها وسيلغى شعارهم بالاذان وهو عبارة " حي على خير العمل ،فمـــا كان من ألب أرسلان الا أن استجاب لطلبه وذلك بدفع ثلاثين الف دينار وخلعـــا نفيسه ووعده بعشرة آلاف دينار كل سنة وفعل ذلك مع آل مهنا بالمدينة حيـــن دانوا بالولاء للعباسيين فبعث لهم عشرين ألف دينار ووعدهم بخمسة آلاف دينـار سنوى ولم يلبث ابن ابى هاشم فترة وجيزة الا أن أعلن نكث عهده وولائه لبنـى العباس بعد ماتحسنت الاحوال فى مصر وطلب منه المستنصربالله (٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ) ذلـــك حيث بعث له برسالة وهدايا فأعاد الخطبة للفاطميين وحتى يثبتـوا لاهل مكة ان ماحصل من قطع الاعانات لهم كان بسبب ظروف مرت عليهم سارعـوا ببعث الاموال الى الحجاز لتوزيعها على الناس هناك وكان ذلك عام ٤٦٧هـ .

(١) ورد رقم الحاشية فوق: "ألب" في سطر "بعث برسوله"؛ (٢) فوق: "سنوى"؛ (٣) فوق: "ببعث".

١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٠٨.
٢) ابن فهد. اتحاف الورى ص ٢ ص ٤٧٣.
٣) ابن فهد المصدر السابق حـ ٢ ص ٤٧٧.

ويظهر لنا أن حاجة امراء مكة الى المال ، واعتمادهم على تلك المنح والاعطيات التى تصلهم من مصر تجعلهم بين وقت واخر يعلنون الولاء او يقطعونه ،ولم يتوقف ذلك على الولاء السياسى فقط بل وصل الى المعتقد ،فمرة يظهرون شعار الشيعة ومرة يظهرون شعار السنة ، ولعل ذلك بسبب اعتناقهم المذهب الشيعى ، والذى من اصوله (التقية) ،وأيا كان الامر فى الولاء السياسى والمذهبى ،فان تلك الاعانات والاعطيات تلقى من الاهالى والامراء اهمية كبيرة لحاجتهم الماسة اليها وقلة مواردهم الاخرى ،وهو ما أسعد حكام الدولة الفاطمية والعباسية على حد سواء حتى يجدوا لهم مدخلا يتسمون به على رعاية شئون الحرمين الشريفين وذلك بكسب ود الناس وتعاطفهم معهم ، ومن تلك الاعانات ماكان يقدمه وباستمرار حكام الفاطميين بمصر للامراء فى مكة والمدينة من اعطيات سنوية فقد كانوا يكسون الكعبة ويدفعون اجور الخدم والحاشيه للحرمين الشريفين وثلاثه آلاف دينار شهرية كما كانت تبعث لهم الخيول والخلع مرتين فى السنة (١) كما يشملون بها عامة الناس ، فلما حج المعز الفاطمى (٣٤١- ٣٦٥ هـ) حمل معه اموالا كثيرة ثم قام بتوزيعها على الناس فى مكة والمدينة ،وهذا الحاكم (٣٨٦-٤١١ هـ) يبعث لاهل الحرمين من يوزع عليهم النقود هذا غير ماتقدمه لهم فى ايام الجدب والقحط الذى ينزل ببلاد الحجاز ومن ذلك ما وقع سنة ٤٤٠ هـ حينما هاجر أكثر من ٣٥ ألفا من أهالى الحجاز الى مصر واجريت لهم هناك الارزاق لمدة عام كامل ثم اعيدوا بعد ماتحسنت

١) ناصر خسرو : سفر نامه ص ١١٢.

٢) السخاوى : التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفه ج ٢ ص ٤٦.

ظروف بلادهم وأغدقت عليهم الصلات واستمرت الاعانات تتوالى من قبل الفاطميين الى الحجاز سواء أكانت لطلب أم لغيره فيذكر لنا عمارة اليمني أنه ذهب الى مصر سنة ٥٥٠ هـ فأعطى مائتي دينار بالاضافة الى عينة غذائية مقدارها ١٠٠ أردب قمح حملها الى الحجاز[(١)](٢).

وتمثل الضرائب والمكوس جانبا مهما فى ايرادات الحجاز المالية بالذات لامارتي مكة والمدينة .

والمكس هو الجباية وهو انتقاص الثمن فى البياعة ، والمكس دراهم تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية[(٣)] . وقد جاء الاسلام وأبطلها فورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : لا يدخل الجنة صاحب مكس وقوله : صلى الله عليه أن صاحب المكس فى النار وأستحدث الاسلام بديلا عنها وعن غيرها من أمور الجاهلية التى تؤخذ من الناس ظلما وعدوانا ، ومن ذلك الزكاة التى تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم[(٤)] ، ولكن حكام مكة فى هذه الفترة تناسوا وتجاهلوا الحكم الشرعي لهذا العمل وجعلوا من الضرائب والمكوس موارد ماليه لهم تقوى امارتهم وتزيد من ظلمهم وجبروتهم على الناس واستغلوا سلطتهم على الحرم الشريف ليطلبوا من الحجاج والعمار ذلك ، ولعل أسوء هذه المكوس هو ما يؤخذ على الحجاج حيث كان يأخذونه من الحاج قبل سفره ، وتبدأ معاناة حجاج بيت الله الحرام والقادمين من شمال افريقيا ومصر من ميناء عيذاب فمن أراد الحج ووصلها فعليه دفع المكس ،ولايعبر أحد من الحجاج الى جده الا بعد دفع هذا المبلغ ومقداره

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٢ .

(٢) النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، ص ٩٨ ،نشر مكتبة المثنى ببغداد .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ج٦ ،ص ٢٤٨ .

(٤) ابن سلام : الأموال ، ص ٤٦١ .

على أهل المغرب ثمانية دنانير وعلى غيرهم سبعة وهذا الدينار الزائد على المغاربة هو ما يسمى بداية الكلب وذلك أن حجاج من أهل المغرب أخذ منهم أحد الكلاب رغيفا من الخبز فتواثب عليه المغاربة فقتلوه فعاتبهم عليه الجنود فلما رأوا الهلاك اعترفوا على أنفسهم بدية الكلب ومقدارها دينار على كل حاج وربانية السفن هم المطالبون بمتابعة ذلك (١) فاذا ثبت أن أحد ركب ووصل جده ولم يدفع ، يطالب ربان السفينة بدفع ما عليه ويقع على الحاج السجن والحرمان من الحج وربما تعداه الى أصناف العذاب (٢) ، ومنها أن يؤخذ فيدلى فى صهريج من صهاريج جده أو ينقل الى جزيرة قبالة ميناء جده حيث عرش بها أخشاب يعلقونهم فيها من حقويهم (فاذا حج الناس - وقضوا مناسكهم وأفاض كل راجعا الى مقصده فحينئذ يخرج المغاربة من أماكن تقييدهم ويشحنون فى المراكب الراجعة الى القلزم وعيذاب) (٣) ولقد استمرت معاناة الحجاج من هذا المكس الذى يؤخذ عليهم ولا يرون فيه أي وجهة حق حتى رأى بعض فقهاء الاندلس سقوط فريضة الحج بسبب ما يلاقيه الحجاج من اذى ومعاناة وخطر على أرواحهم من تسلط أولئك الأمراء عليهم ولما تسلم الأمر صلاح الدين (٤) أمر أمراء مكة باسقاط هذا المكس وعوضهم عنه بالف دينا والف اردب قمح مع اقطاعات تصلهم من اليمن ومصر وتحمل لهم سنويا الى جده (٥) ،

---

(١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤٨ .

(٢) ابن جبير ، ص ٥٥ .

(٣) ابن المجاور : المرجع السابق ، ص ٤٨ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٣٤ .

(٤) صلاح الدين الأيوبى قامت على اكتافه الدولة الايوبية وجاهد الصليبيين فى الشام وكان حسن السيرة والسريرة توفى سنه ٥٨٩هـ (ابن كثير: البداية والنهاية ح ١٣ ص ٢ و ٣ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .

وقد كان حجاج الشام والعراق يدفعون ذلك المكس الى أمير حجهم حيث يدفعه بدوره الى أمير مكة ولا يكفي ذلك المكس(١) فى حمايتهم من رسوم أخرى يدفعونها أثناء تعرض الأعراب لهم فى الطريق والذين قصروا عملهم على ما يأخذونه من أولئك الحجاج (٢) ، فأصبح عرفا لديهم ذلك ومع تلك الرسوم المتكررة فلا يسلمون من الاعتداء سواء أكان من الأمير أو من جنوده أو عبيد مكة أو من الاعراب الذين لا يخضعون لسلطة معينة تلزمهم بضمان(٣) الأمان للحجاج ولهذا قل أن يمر عام ويسلم فيه الحجاج من السلب والنهب والقتل ، وحكام المدينة مع خصوبة أرضها وكثافة ثمارها المختلفة من نخيل وغيره الا أن سوء الادارة ، كان عاملا أساسيا فى ضمور وارداتها الماليه مما حدا بهم محاكاة أبناء عمهم فى مكة بفرض ضريبة ماليه لمن أراد زيارة المسجد النبوى للصلاة فيه والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤) .

وبجانب المكوس التى تجبى من الحجاج فى مختلف الأماكن هناك موارد ماليه أخرى هى المكوس التى تجبى من السفن والقوافل التجارية القادمة الى بلاد الحجاز عن طريق موانئها المتعددة ، جده والجار والسرين أو المارة بها ، وكذا القوافل البرية ، ففى جده يذكر المقدسي (ان المكوس تؤخذ من كل حمل حنطة دينار وكيل من فرد الزامله وعلى سقط ثياب الشطوى ثلاث دنانير ومن سقط الدبيقى ديناران ، وجمل الصوف ديناريـن) (٥)

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ، ص ١٤٨ . ابن فهد : اتحاف الورى ج٢ ، ص ٤٧٥ .

(٢) ابن فهدر المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥١٢ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ، . ج ٢ ، ص ٤٧٨ ، ٥٠٨ ، ٥١٢ ، ٥١٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٧ ، ص ٣٤ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٤ .

ويقوم بتنفيذ ذلك وال من قبل حاكم مكة وكل اليه تصريف أمورها وتدبير أحوالها فهو الذى يقبض صدقاتها ولوازمها ومكوسها ويحرس عمالتها ، ولا شك أنه لا يمكنه التصرف بهذه الأموال الا على قدر حاجة امارته فى جده وغالبها يدفعه الى أمير مكة يضمها الى غيرها من الايرادات التى تصل اليه (١) .

وميناء الجار الخاص بالمدينة ومنفذها البحرى الذى كثيرا ما تشير المصادر الى ورود قوافل بحرية تجارية اليه من مصر واليمن وغيرها ومع انها لا تذكر وجود مكوس تؤخذ فى هذا الميناء على ما يصله من السلع التجارية الا أنه لا يستبعد من أمراء المدينة استغلال هذه الفرصة وفرض ما يريدون على ما يصل الى هذا الميناء وهم الذين فرضوا مكوسا على زوار مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبناء عمهم يقيمون المراكز التجارية فى البر والبحر لجمع تلك المكوس .

وفى ميناء السرين تجبى المكوس على التجارات الصاعده والنازلة من اليمن الى الحجاز عن طريقها ، وذلك على مختلف البضائع من الأطعمة وكذا الرقيق ، ومكسها يقسم مناصفة بين أمير مكه وصاحب تهامة (٢) .

ولا تنحصر جباية المكوس على البضائع الخارجية القادمة عبر موانىء الحجاز فى جده والسرين بل تشمل كذلك الطرق التجارية البرية والذى يبين هيمنة حكام مكة على الطرق المؤدية اليها وشدة قبضتهم عليها فقد أقاموا مركزين احدهما فى القرين والآخر فى بطر مر وذلك لايقاف القوافل التجارية البرية

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ، ق ١ ،ص ١٣٩ .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق ، ق ٢ ، ص ١٣٨ .

التى تحمل البضائع الى أسواق مكه وارغامها على دفع المكس المقرر عليها وقد بلغ عن كل حمل جمل نصف دينار (١) ، وقد تطورت امكانات هذين المركزين بعد وأصبحت عبارة عن حصن صغير مربع مبنى على مكان مرتفع بالحجر والجص وفى أعلاه ثلاث عشر برجا وحفر حوله بئر عذبة الماء وزود بخياله وخيل توقف القوافل التجارية عنوة وأصبح على كل حمل دينار علوي (٢) .

وفى الطائف التى اشتهرت بأنها الممول الرئيسي لأسواق مكة بمختلف منتجاتها الزراعية والصناعية وما يمر عبرها من المناطق الجنوبية الى مكة فقد كان يؤخذ على كل حمل حب مد مكى وربع (٣) .

ومع هذه المعاناة والاضطهاد التى يلقاها الناس من أمراء الحجاز فى مكة وغيرها وطلبهم دفع هذا المكس وتعنتهم فى طلبه وعدم التنازل عنه فانهم لا يعتبرون ذلك ضمانا لسلامتهم فكثيرا ما كانوا يتعرضون للسلب والنهب والقتل ، فهذا أبوالفتوح لما عزم على الاستقلال فى بلاد الحجاز لم يجد ما يسد حاجته من المال الا أموال الكعبة والتجار فأخذها منهم ، وهذا الامير محمد بن أبي هاشم تصفه المصادر بأنه كان يقتل الحجاج ويأخذ أموالهم (٤) ، ولقد أصبح للأسف سلوك الاعتداء على الحجاج أمرا طبيعيا لدى امراء مكة قل من لا يفعله منهم اذا احتاج اليه ، ومن ذلك ما حصل سنة ٥٤٠ هـ حين نهب

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ، ص ٤١ .

(٣) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٧٠ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٤٠ ، النسجاوى : منايح الكرم ورقة ٢٦٦ .

أصحاب هاشم بن فليته الحجاج وهم فى المسجد يطوفون ويصلون ولم يرقبوا فيه الا ولا ذمة ،وتكرر ذلك سنة ٥٥٣ هـ فصادر المجاورين رغم معاناتهم الماليه وكذا التجار وأعيان مكة ثم هرب منها خوفا من أمير الحج (١) ، كما لم يوفر لهم ذلك المكس الحماية من أخطار الطريق وقطاعه مع أنهم كانوا يدفعون مقابل سلامتهم مبالغ ماليه ، ولكن قطاع الطرق لم يستجيبوا لذلك واعتبروا أنفسهم طلاب حق حتى أصبح هذا الأمر معروفا لدى أمراء بغداد يجمعون مبلغا للأعراب يحمون به أنفسهم من أذاهم وتسلطهم ومع ذلك كانوا عرضة لشرهم ففى سنة ٤١٢هـ وحينما كان الحجاج تحت حماية رجال محمود الغزنوى (٢) اعترض طريقهم الأعراب وأجبروهم على دفع المبالغ المعتادة فجمع لهم مبلغ خمسة آلاف دينار فلم يرضهم عددها وطلبوا الزيادة واستنهضوا شياطين العرب للقتال معهم ولكن الله سلم من هذه المكيدة وذلك بقتل زعيمهم من غلام سمرقندى فانهزم الأعراب وسلك الناس الطريق الى الحج (٣) ، ومن ذلك ما حدث عام ٥٤٥هـ حين خرج الأعراب على الحجاج فطلب أميرهم ممن معه كفاية شرهم بمال يدفعونه لهم فرفض الحجاج ذلك فوثب عليهم الأعراب وهلك منهم خلق كثير ولم ينج منهم الا القليل .

وكما أسلفنا عن بدعية هذه المكوس وما جلبته على الناس من ظلم لهم واستيلاء على أموالهم بغير وجه حق فقد أظهرت سخط الناس جميعا وبخاصة العلماء فقد قال ابن جبير عنهم (فأحق بلاد الله أن يطهرها - اي صلاح الدين -

---

(١) السخاوى منايح الكرم ق ٢٧٠.

(٢) محمود بن سبكتكين أمين الدولة وصحاب بلاد غزنه حكم بلاد كثيرة فى الهند وكان له ميل لأهل السنه وناصرا لها محبا لأهل الخير رفض هدايا الفاطميين توفى سنه ٤٢١هـ(ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣١).

(٣) ابن كثير. المصدر السابق حـ ١٣ ص ١١.

(٤) ابن فهد: اتحاف الورى حـ ٢ ص ٥١٢.

بالسيف ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة فى سبيل الله هذه البلاد الحجازية لما هم عليه من حل عرى الاسلام واستحلال أموال الحجاج ودمائهم)[١] وذهب بعض علماء الأندلس الى سقوط فريضة الحج عن الناس بسبب ما يلاقونه من أمراء مكة من دفع المكس وغيره[٢] .

ويرى المقريزي ان ذلك المكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه وان الآكل منه فاسق لا تحل شهادته[٣] .

واذا سلمنا ان الامارة تقدم خدمات للتجار من حراسة بضائعهم وانزالها فى الموانيء ونقلها الى الأسواق وتحتاج الى مقابل لهذه الأعمال فتأخذ هذا المبلغ نظيره ، فمن أين يلتمس لهم العذر فى اضطهاد الحجاج وأخذ أموالهم ، وتأخذ المرء حيرة حينما يرى البعض يدافع عن هذه الخطأ ويرى صواب هذا العمل الذى أقدم عليه أمراء الحجاز فهاهو الادريسى يقول (هذا المكس يأخذه الهاشمى صاحب مكة فينفقه فى أرزاق أجناده اذ منافعه قليلة وجباياته لا تفى بلوازمه ورزق من معه)[٤] . وهو يقصد بذلك المكس الذى يؤخذ من الحجاج

وهذا بجانب الحقيقة ،فمكة المكرمة استطاعت منذ فجر الاسلام ان تقوم بسد حاجتها دون اللجوء الى التضييق على عباد الله فى مكوس تفرض عليهم وذلك من موارد مختلفة لما احسن استغلالها مع انها مرت بظروف مشابهة

---

(١) الرحلة : ص ٥٥ .

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٥ .

(٣) السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٦٨ .

(٤) نزهة المشتاق ، ق ٢ ، ص ١٣٥ . الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٤٣ .

للاوضاع التى عاشتها زمن امرة الاشراف ، ولكن عدم الأهلية لهذه الامـــارة واعتبارهم أن الوصول الى امرة بلاد الحرمين الشريفين مغنما قل من يصل اليـه حال بلا شك عن الاهتمام بالواجب المفترض أن يقوموا به .

ومن الايرادات الماليه لبلاد الحجاز أعمال الخير والصدقات التى ينفقهـا المحسنون ذوو المال فيها وذلك أن مكة المكرمة والمدينة المنورة تهفـــو اليها الافئدة وتميل لهما القلوب بوجود الحرمين الشريفين فيهما فيسهـم من لديه سعة من المال فى اصلاح المسجد الحرام أو المسجد النبوى وتجديـد عمرانهما كلما دعت الحاجة الى ذلك طمعا بما عند الله ، ولا يتوقف البـذل على ذلك فقط بل ينفق أهل الاحسان أموالهم خدمة لضيوف الرحمن فى مواسـم الحج ويدفعون النفقات والصدقات على المجاورين والمنقطعين من بلادهم فى مكـة والمدينة ويصل قسم منها الى الامارة مقابل خدمتها للحرمين الشريفيـن ، والقسم الآخر يصل الى أهل مكة والمجاورين فيزيد غناهم ويرفع من مستواهـم المعيشي ولو كان ذلك على فترات متقطعة .

ومن ذلك ما فعلته جميلة بنت ناصر الدولة (١) صاحبة الفضل أثناء حجهـا فلقد أعطت للرجال المنقطعين ثلاثمائة بعير وفرقت لحظة وصولها عشرة آلاف درهم على الناس وأعتقت ثلاثمائة عبد وثلاثمائة أمة وكست المجاورين كما تصدقت بعشرة آلاف دينار وقيل ان الذى دفعت من الكسوة خمسين الف ثوب ولا شـك أن نزول هذا المال الى أيدى الناس فى مكة لـه مردوده خلال هذه الفترة بانتعاش

---

(١) جميلة بنت الملك ناصر الدين أبي محمد الحسين عبدالله بن محمـد صاحب الموصل (ابن فهد ، اتحاف الورى ، ج٢ ،ص ٤١٤) .

اقتصادهم ، وتحسين مستوى معيشتهم (١) ، وهناك من المحسنين من يحدد مبلغا لينفقه سنويا فى مكة وممن فعل ذلك بدر الدين بن حسنويه ،والذى كان ينفق مائة الف دينار سنوى يصل قسم منها الى أيدى أمراء مكة ويوزع باقيها على الفقراء والفقهاء والقراء (٢)، كما ترك الصليحي حين حج سنة ٤٥٥هـ آثارا طيبة وذلك بكثرة احسانه للناس وصدقاته عليهم وما جلبه من أمن لم يعهدوه من قبل (٣) ، كما أجرى ابراهيم بن محمد الاسترابادى صدقاته على فقراء مكة لمدة سنة كاملة (٤) .

وتأخذ صدقات المحسنين ونفقاتهم فى بلاد الحرمين صورا أخرى من ذلك القيام باصلاح وتجديد الحرمين الشريفين وبناء المساجد وايصال المياه من منابعها الى المدن ليشرب منها الناس ، بالاضافة الى صيانة طرق الحجاج وحفر الآبار فيها وبناء الاستراحات للمسافرين واقامة العلامات ليهتدى بها المسافرون (٥) .

وتستقبل بلاد الحجاز فى المواسم الناس الذين يقدمون للعمرة أو للحج ويقضون فيها فترات ليست بقصيرة وينفقون أثنائها ما معهم من النقود فتزدهر فيها الأسواق التجارية بما فيها من مختلف البضائع المحلية والقادمة من الخارج كما يستفيد منهم الأهالي باسكانهم وتجهيز الأطعمة لهم .

---

(١) السنجاري : منايح الكرم ، ورقه ٢٢٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٧ ، ص ٢٧٦ . ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ص ١٧٣ .

(٣) ابن فهد. اتحاف الورى حـ ٢ ص ٤٧٦.

(٤) المقريزي : الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ، ص ٦٥ ، ٦٦، ط مكتبة الخانجى والمثنى بغداد ، ١٩٥٥م .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٣ . ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج ١١ ،ص ٣٥٤ . ابن فهد : المصدر السابق ح ٢ ص ٤٧٦.

أمـــا المصـروفات :

فمن المعروف أن أي دولة أو امارة يكون لها تنظيم معين يحدد لهـا ايراداتها الماليه ومصروفاتها ،ولكن أمراء الحجاز فى هذه الفترة سعـوا حسب ما تفيده المصادر الى تنظيم وجلب ايرادات ماليه لهم من أي طريـق يستطيعون الدخول من خلاله واقتصرت مصروفاتهم على حاجاتهم الخاصة وأجنادهم التى يحمون بها أنفسهم من رجاله وخياله (١) ، ولعل من يدفع المال لهم من حكام الدولة العباسية أو الفاطمية أدرك سوء ادارتهم وطمعهم فأصبح ينص علـى المصارف الاخرى للمال غير التى تخصهم حتى يضمن بذلك وصولها الى أصحابهـا ، فالفاطميون يرسلون كسوة سنوية من مصانع مصر الى الكعبة ويرسلون الخيـول التى يعتمد عليها أمراء الحجاز فى قوتهم العسكرية وأجور الخدم والحاشيـة للامراء وللحرمين الشريفين (٢) .

وكما أسلفنا أن من الايرادات نفقات المحسنين التى أصبحت هى أسـاس المصروفات للعناية بالمرافق المختلفة دون أن يكون لأمراء الحجاز ولايـة عليها حيث لا يكتفون بعدم العمل بل يشترطون على من أراد عمل شئ مـن ذلك ان يخصص لهم مبلغا خاصا ، وقد شملت تلك الأعمال تجديد بعض أجـزاء الحرمين الشريفين وجلب المياه الـى مكة والمدينة ، وصيانة طرق الحجـاج وباقامة الاستراحات وحفر الآبار وبناء العلامات التى توضح الطرق للمسافريـن ، وبناء المساجد فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ،كما تشمل مصروفاتهم أيضا رعاية الفقراء وضعفاء الناس بما يحتاجون من الاطعمـة والأشربة أو بنـاء الأربطة التى يسكنونها (٣) .

---

(١) عمارة اليمنى : النكت العصرية فى اخبار الوزارة المصرية ، ص ١٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٧٦ . ابن الاثير: الكامل فـى التاريخ ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٣ .

الأزمـات الاقتصـاديـة :

لا يعتمد الحجاز فى هذه الفترة على مورد اقتصادى يمضن له الاستقـرار المعيشى وعدم التعرض لازمات اقتصادية تضر بسكانه ، بل الملا حظ ان مـوارده الاقتصادية ليست ثابتة وهذا ما جعل اقتصاده يخضع للتقلب بين فترة وأخرى فتره يعيش رخاء مطلقا ثم لا يلبث أن يتراجع الى أسوأ الأحوال ، فمـن موارده الاقتصادية الزراعة والرعى ، فاذا قلت الأمطار أو نضبت الآبـار أو غارت المياه ، قلت المحاصيل الزراعية فيها والمواشى ، وارتفعت الاسعار وتضرر الناس بسبب ذلك ولاقوا من جراء ذلك أزمة معيشية (١) .

ويؤثر موسم الحج فى اقتصاد بلاد الحجاز بما يجلبه لهم من قوة للسوق الشرائية وتوفير للعملات المختلفة لديهم ، فاذا تعكر صفو هذا الموسـم بالاضطرابات والفتن أو بشدة القحط أو بسبب اجراءات تضر الناس قلت الفائـدة من الموسم ،كما يؤثر النشاط التجارى مع العالم الخارجي بما ينقله الى أسواق الحجاز من بضائع مختلفة ومتنوعة ، تلبي حاجة السوق وتنمى حركته ، فـاذا انقطعت التجارة ، اما لقلة محاصيل البلاد المنتجة ، أو زادت قيمتهـا الشرائية بسبب المكوس التى تفرض عليها أثر ذلك على اقتصاد الحجـاز ، وزاد من أعبائه ، وهكذا نرى تعدد العوامل فى الازمات الاقتصاديـة التى تعـرض لها ومنها ما وقع سنة ٤٣٩ هـ من القحط بمكة حيث تأخر نـزول المطر عليهم وحيث تعتمد آبـارهـم التى تُسقى المزارع على الامطار قلـت بسبب ذلك محاصيلهم الزراعية وانعدمت الأرزاق فيها ولم تقف هذه المعـانـاة على مكة وحدها بل شملت معظم مناطـق الحجاز فأصاب الناس جوع وفقر فـى

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٢٣ .

بلادهم وأصبحوا لا يجدون ما يقتاتون به من التمر والحبوب مما اضطر المجاورين للحرمين الشريفين الى مغادرة الحجاز والذين كانوا يعيشون على صدقات المحسنين عليهم ، فلما قل ما بايدى الناس انقطع ما يصل الى أولئك المجاورين وقد أثر ذلك على قدوم الحجاج والذين يتحرى الناس مجيئهم لما يجلبون معهم من عروض التجارة والمنافع لأهل مكة فلما سمعوا ما حل بالحجاز لم يصل اليها أحد ، فزاد من المعاناة فما كان من الناس الا أن خرجوا حين قل ما في أيديهم من الطعام وارتفعت الاسعار حتى بلغ قيمة أربعة امنان من الخبز بدينار نيسابورى ، وانتشرت بينهم الأمراض بسبب الجوع والفقر المتفشى بهم وهلك منهم خلق كثير وقد بلغ عدد من خرج الى مصر بسبب هذه الشدة قرابة خمس وثلاثين الف نسمة فلما وصلوا اليها اجرى عليهم الفاطميون النفقات وكسوهم ولم تحسنت الأحوال بالحجاز بعد سقوط الأمطار رجعوا اليها (١) ، وتكررت تلك المعاناة سنة ٤٤٠هـ حين حل بالحجاز قحط وشدة فأعلن فى مصر أنه من الخير عدم الذهاب الى مكة هذا العام للشدة التى نزلت بها ، وزاد من معاناة الناس ما فعله الأعراب بالحجاج المغاربة حين اقتتلوا معهم فقتل منهم ما يقارب الفى رجل ،ولعل ما خفف المعاناة هذه السنة عن سابقتها ما بعثه الفاطميون لأمراء الحجاز من مال وخلع وغيرها (٢) ، وعادت هذه الأزمة عام ٤٤٢هـ فكان بمكة قحط وجدب بسبب انقطاع الأمطار فنقصت الاطعمة الضرورية التى يحتاجونها وارتفعت بسبب ذلك الاسعار

---

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٢ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٢ .

حتى بلغ الستة عشر منا من القمح بدينار مغربي ونتيجة لهذه الظروف والمعاناة من نقص الحاجات الضرورية عند الناس في مكة وما حولها قامت هجرة سكانية جماعية لعدم قدرتهم على مقاومة تلك الظروف العصيبة التى حلت بهم حتى أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو قدر سكان مكة أثناء زيارته لها بألفي نسمة فقط بالاضافة الى خمسمائة من المجاورين .(١)

وتعتمد الحجاز منذ القدم على ما يصلها من بلاد الشام ومصر من الأطعمة والحبوب حيث لا تكفى محاصيلها الزراعية فى سد احتياجاتها وهذا الاعتماد جعلها تحت رحمة ظروف تلك البلاد وطبيعة علاقتها معهم فتتأثر بها سلبا وايجابا ومن ذلك ما وقع سنة ٤٤٧هـ فى مصر من عدم زيادة مياه النيل كعادته السنوية مما أثر بدوره على محاصيلهم الزراعية فنقصت عن عادتها فلم يحمل الى الحجاز شئ منها ، فحدث من جراء ذلك بمكة غلاء شديد فكان عشرة أرطال من الخبز بدينار مغربي وانعدم وجوده فى الأسواق وكاد الناس والحجاج يموتون جوعا حتى فرج الله عنهم بأن بعث لهم الجراد كما تقول المصادر فأكلوه (٢) ، كما تذكر وقوع غلاء بمكة سنة ٤٤٨هـ ولكنها لا توضح سبب ذلك .(٣)

ومما يبين أهمية العلاقة التى تربط الحجاز مع مصر وتأثرها السريع بالأحوال التى تمر بها مصر وبالذات الجانب الاقتصادي نظرا لاعتمادها على

---

(١) سفر نامه ص ١٢٣.

(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

(٣) ابن فهد : المصدر السابق ،ج٢ ، ٤٦٥ .

الغلات المصرية كالحبوب ، ما وقع بمصر سنة ٤٦٢ هـ (حين حل بها القحط المفرط والوباء الذى لم يسمع عنه عبر الدهور وكاد الخراب يستولى على ديار مصر لفعف الناس واشتغالهم بأنفهسم حتى أكل بعضهم بعضا وتشتتوا فى البلاد طلبا للحياة ونجاة من الموت)(١) ، فانتقلت آثار ذلك على بلاد الحجاز حيث انقطع ما كان يصلها من مصر فى كل عام وقلت ايرادات حكام المدينة ومكه ، بل وضاقت أيديهم لقلة ما فيها فما كان منها الا ان عمدوا فى مكة الى قناديل الكعبة واستارها وبابها والميزاب وفى المدينة الى قناديل المسجد وآلات فضة كانت هناك فسكوها دراهم ودنانير ولم يكفهم ذلك حينما ازدادت عليهم الشدة وضاقت بهم الحال فعمدوا الى مصادرة أموال الناس).(٢)

ويؤثر موسم الحج على حياة الناس فى الحجاز فيجلب لهم فيه الا رزاق من أنحاء بلاد المسلمين وبالذات من البلاد القريبة وتزداد عندهم حركة البيع والشراء فيجنون من ذلك فوائد كبرى ، ولهذا فان انقطاع الحجاج أو تأخر بعضهم يؤثر على اقتصاد الحجاز ويزيد من معاناتهم وهو ما حدث سنة ٤٥٦هـ حين منع الصليحي الحج من اليمن فارتفعت الاسعار وحل بالناس الكرب وتفاقمت أحوالهم المعيشية بسبب اعتمادهم على ما يصل مع الحجاج من اليمن من بضائع وسلع معينة يجلبونها معهم من بلادهم المشهورة بمحاصيلها الزراعية . (٣)

وتساهم الاعانات التى تصل الى الحجاز سواء أكانت نقدية أوعينية من

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة حـ٥ ص ٢٠ ابن كثير: البداية والنهاية حـ ١٢ ص ٣٩، ، ابن فهد: اتحاف الورى حـ ٢ ص ٤٧٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم ج ٧ ص ٦٥٦ .

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى حـ ٢ ص ٤٦٩.

مصر أو غيرها فى سد حاجة الحجاز فاذا انقطعت هذه الاعانات تأثر اقتصادهم بسبب ذلك وهو ما حدث سنة ٥١٤هـ حين قطعت الاعانات المختلفة التى تنقل الى الحجاز من مصر وزاد الطين بلة والازمة تفاقما ان منع الناس فى مصر من الحج حيث يستفيد من حضورهم عامة الناس والتجار فارتفعت الأسعار فى مكة وضاق الناس ذرعا بأحوالهم المتردية ومعاناتهم المتكررة ولاموا أميرهم على فعلته بمهاجمة التجار فى عيذاب وسرقة أموالهم وأرغموه على الاستجابة لطلب امير الجيوش الفاطمي بالاعتذار عما بدر منه ورد الأموال التى أخذت حتى يتخلصوا من تلك الظروف التى حلت بهم . (١)

وتؤدى حالة عدم الاستقرار واضطراب الأحوال فى بلاد الحجاز الى معاناة الناس خاصة وان الفتن والقلاقل والاضطرابات والحروب كانت سمة ظاهرة فى بلاد الحجاز فى هذه الفترة ومن ذلك ما وقع سنة ٤٥٦هـ من صراع بين أفراد الاسرة الحاكمة أدت الى ارتفاع الأسعار وزاد الأمر خطورة حينما تعذر وجود الطعام فى مكة وأجبرت هذه الحال أمير مكة محمد بن جعفر الى الخروج من مكة طمعا فى الحياة وطلبا للنجاة والاستقرار . (٢)

---

(١) ابن فهد : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٩٧ .

(٢) المسبحى : أخبار المصر فى نستين ،ص ١٨٧ .

الفصـــل الرابـــع :

الحرف والنشـــاط العمرانـــى .

١- المهن الاجتماعية والحرف .

٢- العمـــــــران .

بناء المساكن .

تجديد الحرمين الشريفين والكعبة المشرفة .

بناء وتجديد المساجد.

بناء وتجديد الاسوار

١- المهن الاجتماعية والحــرف :

فى كل مجتمع من المجتمعات يوجد مهن اجتماعية تتطلبها ظروف الحياة ،وتتجه اليها فئة من الناس فتوافق ميولهم وتلائمها ويتوقف عليها معاشهم ،وتصبح هى مصدرهم الرئيسى الذى يعتمدون عليه ،وقد واجهت سكان الحجاز فى هذه الفترة، ظروف صعبة للغاية نظرا لقلة الموارد المالية لبلادهم وضيق مجالات العمل فيها فأحدث ذلك وضعا اجتماعيا خاصا لفئات من الناس حدد مجالات العمل وضيقها عليهم فاتجهوا الى كل مهنة يتطلبها واقع الناس طمعا فى سد حاجتهم وما يعولون من أطفال واسر.

ومن المهن التى انتشرت فى الحجاز فى تلك الفترة اكراء الجمال أى تأجيرها على الناس ويعرضها اصحابها اما لنقل الناس أو نقل بضائعهم وأمتعتهم ،ويذكر الرحالة الفارسى ناصر خسروا أن حجاجا من خراسان قدموا المدينة سنة ٤٤٠ هـ واستأجروا جمالا من أعراب يعرضونها على الناس وذلك بقيمة اربعين دينارا للفرد الواحد بشرط ايصالهم الى عرفة قبل فوات الحج (وقد شدهم الاعراب على الجمال وأسرعوا بهم طمعا بالمال فتأثر أولئك من طريقة نقلهم، وطلبوا من الاعراب النزول عن الجمال ، فرفضوا ذلك ، فمات منهم اثنان فى الطريق بسبب تلك الظروف ، ووصل منهم اثنان حسب موعد الاتفاق ولكنهم فى حالة سيئة)[(١)] ،ومهنة اكراء الجمال لاتقتصر على النقل والاركاب بين المدن فقط بل ان ذلك موجود داخل المدن ،فيذكر ابن جبير أن المهن التى يزاولها العلويون فى جده اكراء الجمال ويكون ذلك بنقل الامتعة والاغراض من مكان لاخر

(١) سفر نامه ص ١٢٣

وكذلك نقل بضائع التجار من الميناء الى المخازن داخل مدينة جده.(١)

ومن المهن الاخرى ، بيع الماء أو السقى ، فبسبب شح المياه بمكة وجده وبين وقت وآخر لاعتمادهما على مياه الامطار والعيون والتى كثيرا ماتتعرض للانقطاع يحتاج الناس الى من ينقل اليهم الماء من العيون والابار الى داخل المدينة ومن البرك التى فى الخارج الى البرك التى داخل المدن ، ففى مكة اثناء شح المياه العذبة الصالحة للشرب يقوم السقاؤون بنقل المياه من الحوض الذى تصب فيه القناة التى انشأها ابن سلامة ومدها الى عرفة ويذهبون بها الى مكة ويبيعونها ، كما ينقل السقاؤون المياه العذبة من بئر الزاهد والتى تبعد نصف فرسخ عن مكة اليها ويبيعونها هناك(٢) ،وذكر ابن جبير أن من المهن التى يزاولها العلويون فى جدة نقل المياه وتعذيبها.(٣)

ولحاجة الناس الى مايوقدون به لطهي طعامهم من الحطب ويقاومون به شدة البرد ، وجد من بينهم من يقوم بالذهاب الى أماكن الحطب خارج المدن ويحتطب ثم يدخل به الى أسواق المدن فيبيعه .(٤)

ومن المهن التى انتشرت آنذاك الحجامة وحلق الشعر وبالذات فى مكة المكرمة حيث كثرة من يحتاج الى ذلك بعد أدائه لعمرته أو حجه وقضاء نسكه وقد اخذت

---

١) الرحلة ص٥٣ .
٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٢٤
٣) الرحلة ص٥٣.
٤) ناصر خسروا : المصدر السابق ص ١٢٣

هذه المهن حيزا كبيرا من المحلات التجارية بالصفا حيث بلغ عددها عشرون دكانا مقابلة للمروة لكي يتجه اليها من أدى عمرته ويكملها بحلق أوتقصير للشعر.(١)

ومن المهن التى عرفت فى ذلك الوقت النسخ والقراءة ،ولاندرى عن طبيعتها هل هى النسخ الذى يحتاجه الناس فى قضاء حوائجهم برسائل أو مكاتبات تجارية أو طلبات للامراء ، أو نسخ الكتب العلمية(٢) ولاشك بوجود كلا النوعين .

ومن المهن الجزاره وهى ذبح الحيوانات وبيع لحومها وكان الذى يقوم بها أهل السنة ، ونتيجة للنزاع الذى يقوم بين السنه والشيعة فى ذلك الوقت فقد امتد ليشمل اصحاب تلك المهن فكان بين الخياطين من الشيعة والجزارين من السنة منازعات ومشاحنات(٣)

ولوجود الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة تخصصت فئة من الناس لنظافتهما والعناية بهما وتطهيرهما من الاقذار والاوساخ والعمل على صيانتهما وانارتهما بالشموع واستمرار المحافظة على ذلك ،وهم غلمان من الاحابيش وقفوا على خدمة الحرمين الشريفين هيئاتهم حسان وملابسهم نظيفة ولهم مسؤول يعرف برئيس الخدم(٤).

---

١) ناصر خسرو . سفر نامه ص ١٢٣.
٢) المقدسى: احسن التقاسيم ص ١٠٢.
٣) المقدسى: المصدر السابق ص ١٠٢.
٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٧٢. ابن بطوطه . الرحلة ص ١٢١ .

ولكل مجتمع متطلبات يقوم افراده قدر استطاعتهم بتأمينها وذلك حسب الظروف المتاحة لهم " ولهذا قيل الحاجة ام الاختراع " ومتطلبات الانسان التى يكمل بها حاجاته كثيرة ومتنوعة واذا لم يتيسر له جلبها من مكان آخر فانه لا محالة سيقوم بايجادها من خلال الامكانات والخامات المتوفرة لديه ، والحجاز كغيره من المجتمعات البشرية قامت فيه حرف وصناعات مختلفة ومع أن شهرته بالزراعة فقد ساعد ذلك على الاستفادة منها كخامات للصناعة ، كالنخيل والنباتات الاخرى المختلفة ولكن استفادة الصناعة من النخيل اكثر من غيرها ، وهذا راجع الى ماتتميز به هذه الشجرة عن غيرها ، فمن سعفها قامت صناعة الحصير وانتشرت بين الناس وذلك للحاجة المتكررة له فى غالب شئون حياتهم ، فقد استخدمت تلك الصناعة فى المساكن والمراكب وأماكن العمل المختلفة واصبح سلعة مطلوبة من كافة الاوساط[1]، ومن صناعات سعف النخيل المكاتل والاطباق والقفاف ، وكانت هذه الصناعة موجودة منذ القدم فى الجزيرة العربية لوجود خامتها وهي سعف النخيل وسهولة عملها ، ولا تتوقف الاستفادة من النخيل فى ذلك فقط بل يستعمل جريدها فى سقف المنازل والمساجد وعمل الابواب والنوافذ لها[2]، كما قامت صناعات من أشجار اخرى ومنها صناعة الاقواس من شجر النشم وهو صناعة قديمة لهذه الآلة الحربية[3] وحاجة الناس لها مستمرة فلابد انها باقية .

١) ربيع : وثائق الجزيرة . دراسات تاريخ الجزيرة العربية ،الكتاب الاول ج٢ص ١٣٨.
٢) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٢ ص ٢١٤ - ٧٥٣ .
٣) ابن منظور : لسان العرب ج ٦ ص ٤٤٣٢.

ومن الحرف المنتشرة آنذاك حرفة النجارة ، وهى من الحرف التى لايمكن الاستغناء عنها حيث أنها أساسية فى توفير متطلبات الناس من الخامات الموجودة لديهم من الاشجار وقد كانت هذه الحرفة منتشرة فى أنحاء الجزيرة العربية ومنها الحجاز ففى مكة المكرمة مكان خاص لاصحاب هذه الحرفة ويقومون بصناعة الابواب والنوافذ والخشب وبعض الادوات المنزلية من الاقداح المنسوبة الى حلى وهى تصنع من خشب الاثل ،وتعتمد على المهارة الفنية دون أن يستعمل فيها المسامير أو الصمغ .(١)

ولاتزال مكة حتى اليوم تستورد هذه الاقداح وتستعمل للمعصوب ،وفى الغابة دون المدينة يحتطب الناس مايحتاجونه من أخشاب لاستعمالة فى نجارة أغراضهم وأدواتهم .(٣)

وحيث يوجد التعدين تقوم صناعته فقد كان الحجاز منذ القدم موطنا للمعادن المختلفة ولكن بعضها توقف لنفاد معادنه أو لظروف اخرى ،واستمر البعض فى انتاجه للمعادن ومنها المكان الذى بين ينبع وذى مروه حيث توجد معادن الذهب(٤)ويصاحب وجود هذه المعادن صناعتها ،فعرف الحجاز منذ القدم بصناعة الحلى من الذهب والفضة والاساور والخلاخيل والخواتم ، وهذه الصناعه تدعو اليها حاجة الناس غنيهم

---

١) الازرقى : اخبار مكه ج ٢ ص ٢٤٣ . الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٨٩
٢) الفيروزابادى : المغانم المطابه ص ٢٩٩.
٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠١.
٤) ذى المروة : قرية بين خشب ووادى القوى. ياقوت معجم البلدان ج ٥ ص ١١٦
٥) مالك : المدونه ج ٢ ص ٣١٢ ، ٣٩١.

وفقيرهم لايمكن انقراضها بل ستزداد مع الزمن تطورا وتقدما ،ومما يدل على استمرار الصناعة المعدنية وصناعة المعادن النفسية مافعله أبو الفتوح سنة ٤٠١هـ بضرب الدراهم والدنانير من الذهب والفضة التى آخذها من الكعبة كما ضرب امير مكة فى سنة ٤٦٢ هـ عملته من الذهب والفضة وذلك من أستار الكعبة وميزابها وفعل ذلك أمير المدينة بما اخذ من المسجد النبوى(١) وطريقة صهر المعادن ان تؤخذ على طبيعتها ثم تطرح فى التنور فتجتمع على ماكانت عليه ثم تصير فى الالة التى تخلط بها المعادن ثم تخرج من الآلة التى اجتمعت بها وتتكسر كالزجاج.(٢)

ومن صناعاتهم القطران الذى يؤخذ من شجرة تسمى غربة،وصناعة الرحى لطحن الغلال فى المنازل لتوفر الحجارة المناسبة لذلك.(٣)

اما صناعة المنسوجات فقديمه فى بلاد الحجاز حيث يعيش جزء من سكانه على رعي المواشى وبالذات فى المناطق التى لاتصلح للزراعة ويعمد اهلها الى الرعي والتجارة بالمواشى ومنتوجاتها المختلفة كالصوف والوبر ،وفى مكة أمير للحاكة،(٣) وهذا يدل على مدى العناية بهذا النوع من الصناعة وتقدمها عندهم حتى وصل الامر بتوحيد وتنظيم معين لأهلها يرعى شئونهم ويراقب احوالهم وهى على غرار ماعرف فى العصر الحاضر باسم النقابة،

ولقد اشتهرت بعض منسوجات الحجاز بأسماء معينة وذلك نسبة الى

١) ابن فهد: اتحاف الورىج ص ٤٣٦،٤٣٧. ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص ٨٩،١٠١.
٢) الاصفهانى : بلاد العرب ص ٣٨١ .
٣) ياقوت : معجم البلدان ص ٨٨ ، ٨٩ ،ياقوت : المصدر السابق ص ٤٢٢ جميل حرب : الحجاز واليمن فى العصر الايوبى ص ٢٢٧ط ١٤٠٥ هـ . جده .
٤) الازرقى : اخبار مكة ج ١ ص ٢٩٦ . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٣ .

البلد الذى تصنع فيه فاشتهر الثوب الظهرانى نسبة الى مر الظهران .(١)

وفى المدينة يصنع من لحاء شجر الخزم الحبال والتى عرفت بحبال الخزم، ولم تتوقف شهرتها على ذلك فحسب بل قام فى المدينة سوق مشهور عرف بسوق الخزاميين والذى يعنى اشتهار هذه الصناعه فى المدينة وكثافة الانتاج فيها(٢)، كما اشتهرت المدينة بانتاج آخر يعرف بالنسعة المدنية وعرضه أكثر من الاصبع ينسب الى المدينة(٣) وفى بلاد هذيل مكان يعرف ببلاد الجوز تشتهر بصناعة منسوجات عرفت بالابرد الجوزية نسبة الى بلاد جوز وهذه الابرد عبارة عن وزرات بعضها ذات حواش تزينها وتضفى عليها مسحة من الجمال يلبسها الناس مكان الإزار حيث يأتزرون بها.(٤)

واشتهرت بلاد الحجاز بصناعة الصبغ حيث يعمد أصحاب هذه الصناعة الى النباتات مثل الورس والزعفرات والعصفر فيصبغون بها الملابس لتغيير لونها.(٥)

وتعد الخياطة من الحرف التى تشتهر بها الحجاز حيث ينتشر الخياطون فى مكة ويقومون بخياطة المنسوجات حسب الطلب فلدى أهل الحجاز ملابس مختلفة مثل الإزار والرداء والاثواب المختلفة،(٦) والملاحف المتان والاقنعة والعبى حيث كانوا يقايضون أهل السروات ببعضها عند جلبهم بضائعهم .(٧)

---

١) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٦٣.
٢) الفيروزابادى : المغانم المطابه ص ١٢٩.
٣) الاصفهانى : مقاتل الطالبين ص ٣٢١. نشر دار الباز مكة المكرمة .
٤) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ١٨٣.
٥) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٨٠.
٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٠٣.
٧) ابن جبير : الرحلة ص ١١٠ – ١١١.

وتقوم الحياكة فى بادية الحجاز عند بنى سليم فى السوارقية حيث هم أهل ماشيه وترحال (١) ، وكذا حال أهل الخضراء فيعمدون الى مالديهم من صوف ماشيتهم ويحيكونه ويعملون منه بيوتهم السهلة النقل والتى تلائم طبيعة حياتهم (٢).

ومن الالات المستخدمة فى النسيج آلة المغزل الذى يدعى الحف بمكة (٣).

ومن صناعات الحجاز المشتهرة آنذاك صناعة العطور وتركيبها وتأتى غالبيتها من العود والعنبر والمسك ودهن اللبان النهامى (٤).

وينتج فى المدينة دهن اللبان المدنى وهو غالى الثمن ويطبخه أهل المدينة بالأفاوية الطيبة غير انه لايصلح لصنع طيب (الغاليه) بسبب غلبة روائح الأفاوية على روائح العنبر والمسك (٥) وقد بلغ من عناية أهله مكه بالطيب واحواله أن وجد لديهم سوق يعرف بسوق العطارين (٦) ، وعلى وجه العموم فقد استمرت تجارة العطور بين أهل الحجاز مع بلاد الهند وعدن وعمان وغيرها.

ومن الصناعات التى انتشرت فى بلاد الحجاز الصناعات الغذائية وقيامها امر ضرورى لسد متطلبات الناس وحاجاتهم وتقوم هذه النصاعة على المنتجات الزراعية والحيوانية ففى مكة قامت صناعة السكر وهو مايستخرج من نبات قصب السكر والذى يجلب الى مكة من بلاد السروات،ومن العسل والسكر قامت عندهم صناعة الحلوى فيصنع

١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ١٦ .
٢) السمهودى وفاء الوفاء ج ٢ ص ٢٣٨.
٣) الاصفهانى : الاغانى ج ٥ ص ١١٤.
٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٩٨.
٥) اليعقوبى : البلدان ص ٣٧٠.
٦) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١٢٣.

أهل مكة منها أنواعا غريبة وبصفات شتى ويحاكون بها جميع أنواع الفاكهة الرطبة واليابسه ويقول عليها ابن جبير (انه لم يشاهد اكمل منظرا منها لا بمصر ولابسواها وقد صورت منها تصاوير انسانية وفاكهية وجلبت فى موضات كأنها العرائس ونضّدت بسائر أنواعها المنضدة الملونة فتلوح كأنها الازاهر حسنا فتقيد الابصار وتستنزل الدرهم والدينار)[١].

ومن الصناعات الحيوانية التى قامت فى الحجاز صناعة السمن والجبن حيث أهل الحجاز أهل ابل وماشية يعتنون بها لوفرة المراعى القريبة منهم[٢]، وفى المدينة ولكثرة المراعى حولها يـ قوم البدو بجلب منتجات مواشيهم من الجبن والسمن الى أسواقها فتجد لها سوقا رائجة[٣].

وتقوم الحرف فى المجتمعات منسجمة مع حالها وواقعها فتذكر لنا المصادر قيام حرف متعددة فى الحجاز منها صيد السمك ،ففى جدة مصائد للسمك يعيش عليها فئة من الناس يعتمدون عليها فى كسب عيشهم ، وتتطلب هذه الحرفة وجود مراكب وسفن بحرية خاصة بالصيد تخرج من الشاطئ مسافات ليست بعيدة ثم تعود اليه ونتيجة للحاجة الى هذه المراكب فقد قامت فى موانئ الحجاز صناعتها واصلاح مايتعطل منها.

ومن الحرف أيضا استخراج اللؤلؤ وأخذ السلاحف البحرية وذلك عن طريق المراكب البحرية المتخذة لهذه الاغراض[٤].

١) الرحلة . ص ٩٨ .
٢) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٢، ١٥، ٢٢.
٣) حمد الجاسر : مقتطفات من رحلة العياشى ص ٥١١ .
٤) الادريسى : نزهة المشتاق ق ص ١٣٥ ، ١٣٦، ١٣٧ .

ومن الصناعات القديمة ذات الشهرة العالية فى بلاد الحجاز دباغة الجلود، وقد ازدهرت هذه الصناعة وتطورت عبر الزمن ، وذلك لوفرة مادتها التى تقوم عليها ، وهى جلود الحيوانات التى تكثربـبالاضافة الى الخبرة التى يستفيدها الجيل من الذى قبله .

واشتهرت مكة بدباغة الجلود وصناعتها لتوفر الجلود فيها حيث كثرة الحيوانات واشتغال كثير من أهلها بحرفة الرعي ، فعندهم الدواب والجمال (١) ، كما أن موسم الحج كان عاملا أساسيا لوفرة الجلود وكثرتها ،وذلك من هدي الحجاج الذى يذبحونه فى مكة ،بالاضافة الى مايجلبه الحجاج والتجار معهم من بلادهم من الجلود وبالذات من العراق وخراسان .

وفى الطائف يساعد حسن الجو وملائمته الى ازدهار هذه الصناعه وتقدمها ،حتى فاقوا بها غيرهم (٢) ، ومن العوامل التى ساعدت على ازدهارها وجود المواد المستعملة فى الدباغة وهي شجر القرظ والذى ينبت فى وادى العقيق وضواحى مكة المكرمة ومناطق اخرى قريبة منها ،وكذا شجر الارطى (٣) والسلم ويذكر ابن المجاور ارتباط دباغة الجلود بنجم سهيل ويستشهد على ذلك بعدم صلاحية الدباغة فى خراسان ولطلوعه على مناطق الحجاز اصبحت مدنه ملائمة لدباغة الجلود ،وهذا النجم يؤثر على الجلود فى تغيير لونه الى الحمرة وجعله لينا وناعما . (٤)

١) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤١.
٢) السيف : الصناعة فى الجزيرة العربية . مجلة كلية الاداب المجلد ١٢ج٢ص ٣٧٦.
٣) ابن سيده : المخصص مجلد ١ سفر ٤ ص ١٦٠. ابن المجاور . تاريخ المستبصر ص ٣٢.
٤) تاريخ المستبصر ص ١٤.

وأيا كان صحة هذا الاستنتاج فان دباغة الجلود وصناعتها انتشرت في مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية ومنها مدن الحجاز .

أما الآلات المستخدمة في الدباغة فكان يستعمل المحط لصقل الاديم وتنميقة ويصنع من الخشب والحديد ،وهناك آلة تسمى المجلاة وتستخدم لتنظيف الاوساخ التي تبقى عالقة في الجلد بالاضافة الى آلات اخرى تستعمل في مراحل مختلفة من تجهيز الجلد وهي : المنحاز والمبقر والمسرد والمقراض والمخصف .(١)

وللطائف شهرتها العظيمة في دباغة الجلود وصناعتها وفيها مدابغ كثيرة منذ القدم ،ويقول عن ذلك الهمداني (هي بلد الدباغ يدبغ بها الاهب الطائفية المعروكة)(٢) ولقد زادت عنايتهم بها حتى أصبحت تجارة أهلها تقوم على هذه الحرفة فأجادوها واشتهر الاديم الطائفي على غيره من الادم واصبحت الصناعة التي تقوم على أديم الطائف لها منزلتها الخاصة في نفوس الناس وعن ذلك يقول ابن المجاور (وجميع عملهم دباغ الادم ، ويدبغ بها الادم الثقيل المعروف وهو الذي يصلح لخوارزم)(٣).

أما مكة المكرمة فكان في جنوبها منذ القدم موقع فيه المدابغ والطواحين للقرظ وكانت منتجاتهم منها تصدر الى خراسان وما وراء النهر، وقد حافظ أهالي مكه على هذه الحرفة ، وكذا أهالي القرى المجاورة حولها ، وكان يدبغ فيها جلود الجمال

١) ابن سيده : المخصص المجلد ٠١ سفر٤ص ١١٥٠ أحمد فاروق: دباغة الجلود مجلة العرب ج٨و٩ سنة ١٣٩٦هـ ص ٥٤٥٠السيف:الصناعه في الجزيرة العربية . مجلة كلية الاداب مجلد ١٢ العدد الثاني ص ٣٣٨ .
٢) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٠.
٣) تاريخ المستبصر ص ٢٥.

والبقر والغزلان وكان القادمون من خراسات يشترون جلود البغال والفحول من رستاق الموصل وسواد اربل ويجلبونها معهم لتدبغ بمكة مما يدل على شهرة الدباغة فى مكة وجودتها (١)، ويجلب لها من وادى العقيق قرب المدينة شجر القرظ مايدل على عدم كفاية ماينبت حول مكة لدباغة جلودهم ،وتنشط تجارتها فى موسم الحج وتباع الجلود بالبيعة كل بيعة مائة منّ ويصبح الحمل بيعتين ونصف . وعيوب الجلد خدش السكين له ويبوسته من الدهن ،وخفته ،وما أصبح لونه أسودا من غيره ، أما جيده فهو الثقيل النقى الطاهر المبرأ من العيوب التى ذكرت (٢).

ويصنع من هذه الجلود صناعات مختلفة ومتنوعة فمنها الحصير المنسوج والذى تكون خيوطه سيور جلديه ،كما تصنع منه القرعة وهي جراب واسع الاسفل وضيق الفم وأوعية تسمى المشاعل تتخذ للنبيذ (٣).

كما تصنع منها الخفاف والنعال ،واشتهرت النعال المصنوعة بالطائف بجودتها وغلاء ثمنها ، كما يصنع من الجلود الاوعية التى تحفظ الماء والزيت والعسل والسمن والتمر واللبن ،ولا زال الى عهد قريب يحفظ فيه اللبن ،كما انها تساعد على تبريد الماء (٤) ،ومن الصناعات التى تقوم عليها صناعة السهيمان وهو وعاء من الجلد تحفظ فيه

١) ابن المجاور : المصدر السابق ص ١٣ . أحمد فاروق : دباغة الجلود ص ٥٤٩. مجلة العرب ج ٨ ، ٩ العدد ٢٢ سنة ١٣٩٦هـ .

٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ١٣ . السيف: الصناعة فى الجزيرة العربية ص ٣٣٨.

٣) ابن سيده : المخصص : المجلد الاول سفر٤ ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤ .

٤) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٤ ، ١٤٥ . السيف : الصناعة فى الجزيرة العربية ص ٣٣٨.

الدنانير (١) كما يصنع منه مايعرف بالقبه وهو على شكل خيمة ولجودتها كانت غالية الثمن لايستعملها الا الامراء وأرباب المال ،ويصنع منه مايعرف باسم الرهط وهو ماتلبسه النساء والصبيان . (٢)

ومن الصناعة فى الحجاز صناعة الحجارة ونقشها وتستخدم فى البيوت رفوف توضع عليها أشياءهم ، وكذا الحجارة المنقوشة لطى الابار . (٣)

---

١) التنوخى : الفرج بعد الشده ج ٣ ص ٢٨٨ ،دار صادر . بيروت .
٢) ابن سيده : المخصص . المجلد الاول سفر ٤ ص ٣٦ و ج ٣ سفر ٦ ص ٥٣.
٣) الازرقى : أخبار مكه ج ٢ ص ٤٣١ . الحربى . المناسك ص ٢٤٣ .

٢- العمـــــران :

لقد كانت المساكن فى بداية ظهور الاسلام فى الحجاز تبنى من الطيـــن والجريد فلما استعت رقعة الدولة الاسلامية وزادت مساحتها وتدفقت الاموال على المسلمين بدأوا فى تشييد المساكن والقصور وتفننوا فى ذلك وأبدعوا فيه ايمـا ابداع ،واستفادوا فى ذلك من خبرات البنائين من الفرس والروم فى عمارتهـم الجديده. (١)

ولكن الحال تبدلت عليهم فى بلاد الحجاز بعد انتقال قاعدة الخلافـة منها ،ومع مرور الزمن واختلاف الاحوال السياسية والاقتصادية ،وما أفرزتـه عليهم من ضعف مادى غيرت أحوالهم ، فان المصادر التاريخية تذكر لنا عـن تخطيط منسق وعمارة لابأس بها فى بعض مدن الحجاز ، ففى مكة المكرمة بنـى خلفاء بنى العباس عمارات كبيرة وأبنية جميلة (٢) ، ويظهر أنها على نفـس الطراز المتبع فى بناء مدن العراق والتى يستعمل فيها الساج والاخشاب والآجـر مواداً للبناء ، أما فى الداخل فاستعمل الجص لكسائها وأحيانا تحفر فيـه زخارف نباتيه وهندسية وتزين فى اعلاها بحنايا واشكال مختلفة. (٣)

وبيوت أهل مكة تأخذ نظام معين لقربها من الحرم الشريف ،فيوضع لهـا مناظر تطل على الحرم وسطوحها مقتـرنة بسطـح الحـرم ويخـرج منهـا اليـه ، كمـا أن ابـواب بيـوتهـم تفضـى مباشـرة الـى الحـرم الشـريف (٤) ، وبنـى بعـض امراء مكة بيوتهم خارج البلد لحاجتهـا

١) السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز ص ٢٦٦.
٢) ناصر خشرو: سفر نامه ص ١٢٣
٣) السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسى الاول ص ٣٧١ . نشر مؤسسة شـبـاب الجامعة . الاسكندريـة .
٤) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٤٠ .

الى ساحة كبيرة ،ومادة بنائها الحجارة ، كما أنها تزين بالحدائق ذات الاشجار والنخيل المختلفة فتضفى عليها منظرا بديعا". (١)

وفى المدينة المنورة يحاط المسجد النبوى بشارع من جميع جهاته مبلط بالحجر المنحوت المنقوش فيه(٢) وهذا يدل على جودة تخطيط المدينة ،فالمسجد النبوى يكثر ارتياد الناس له ،ومكان كهذا يحتاج الى التخطيط السليم فى سعة الشوارع وفرشها بالبلاط حيث يبقى على نظافتها باستمرار ،ويصف البلوى المدينة فيقول (المدينة المكرمة متسعة الارجاء ،مشرفة الانحاء ،طيبة الهواء،كثيرة النخل والماء ، ممتدة التخطيط والاستواء ، حسنة الترتيب) ،وللمدنية سور يحيط بها وله أربعة أبواب. (٣)

وفى جدة تبنى المساكن من الحجارة والطين أو من الحجارة والجص وفى اعلاها نقوش من الاخصاص كالغرف بها سطوح يستراح بها ليلا من اذى الحر ،كما يوجد بها دور تبنى من الخوص ويعمد الى ذلك ضعفاء الناس ، اما لعدم ملكيتهم للارض أو لضعف امكاناتهم المادية ،فلايستطيعون البناء بالحجر والطين ويسهل عليهم انشاء مثل هذه البيوت لتناسب حرارة ورطوبة جده فى فصل الصيف (٤) ،وتصف المصادر شوارعها بأنها مستقيمه مما يدل على جودة تخطيطها ،وفى الارياف والقرى

---

١) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٩٠
٢) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٣
٣) البلوى تاج المفرق ج ١ ص ٢٩٠ .
٤) ابن جبير: الرحلة ص ٥٣ . ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٥١ .

الحجازية تختلف المساكن من مكان لاخر حسب طبيعة موقعها ، ففى وادى القرى توصف المبانى بأنها أنيقة (١) ولكن هذه الاناقة لم يعرف مصدرها فلعل قدرة أهلها على حسن استغلال الخامات الموجودة لديهم وطريقتهم فى بنائها هو الذى جعلها توصف بالاناقة ولا يتوقع أن تكون مبانيهم مضاهية للمبانى التى تقوم فى مكة والمدينة وجده ،وتقام حماماتهم خارج البلد. (٢)

وفى السرين تبنى مساكنهم من الخشب ،ولهذا لايوقدون داخلها ،بل يوقدون نيرانهم خارجها ،ثم تنقل الى الداخل (٣) ، والبدو فى الخضراء وقرى المدينة يسكنون فى بيوت من الشعر ،يتنقلون من مكان الى اخر طلبا للماء والكلأ، وبيوت الشعر يستخدمها جميع الاعراب الذين ينتقلون مع مواشيهم من مكان لاخر لسهولة حملها واقامتها. (٤)

أما داخل البيوت فتفرش أرضها بالبرادع والبسط والحرير والمخاد المحشوة بالريش والنمارق والوسائد اللينه والكراس ،وفيها خشبات متعارضة توضع عليها الثياب كما تحاط أسقفها وبعض جدرانها بسترة من القماش ،وفيها اماكن تحفظ فيها الامتعة وأمكنة خاصة لحوائج النساء وعند أهل المدينة مايعرف بالمهراس يستخدم للوضوء ،وتضاء المساكن ليلا بالسراج . (٥)

١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٨٤.
٢) المقدسى : المصدر السابق ص ٨٤ .
٣) الغنيم : جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك للبكرى ص ١٤٣.
٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٢٥ . ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٨.
٥) الازرقى : أخبار مكه ج ٢ ص ١٨٧. ابن سيده : المخصص مجلد ٣سفر ٢ ص ١٣.

لم يكن على المسجد الحرام جدران تحيط به ، انما كانت الدور تحتضنه من كل جانب ، وكان للدور أبواب يدخل منها الناس من كل نواحيه ، فضاق على الناس فاشترى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دور ، هدمها ووسع بها الحرم ، ثم فعل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - مثل مافعل عمر ، ولما بسط ابن الزبير نفوذه على مكه اشترى دورا من الناس وادخلها فى المسجد ،وحين آلت الخلافة الى الوليد بن عبدالملك جدد بناءه.

ثم زاد ابوجعفر المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ) فى مساحته ولما حج المهدى (١٥٨-١٦٩هـ) سنة ١٦٠هـ اشترى الدور القريبة من الحرم واضافها اليه وجعل الكعبة متوسطة فيه.(١)

وفى الفترة موضوع البحث نال المسجد الحرام بعض الاعمال والاصلاحات ومنها ماقام به أبو النصر الاسترابادى الذى قدم الى مكة سنة ٤٦٦هـ وهو ممن عرف بالاحسان وبذل الخير ،فوجد موضعا قد تهدم فى الحرم فانفق ثلاثين الف دينار لاصلاحه صرف بعضها فيه وقسم اخذه امير مكه محمد بن ابى هاشم ،كما كسا البيت بكساء ابيض وجدد ميزاب الكعبة وزاد فى مساحة البيت.(٢)

وحظى البيت بعناية جمال الدين الاصبهانى ، فجدد الحجر الذى بجوار الكعبة وزخرف البيت بالذهب وبنى اسوار الحرم واعلاها صيانة له من دخول الاقذار

---

١) الازرقى : أخبار مكه ص ٦٨ الى ٨٠. الهروى : الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٨٥ ط دمشق .

٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٣ .

وجدد أبوابه وبنى منارة باب العمرة .(١)

والكعبة المشرفة قبلة المسلمين جميعا وقد نالت العناية والرعاية من المسلمين جميعا ،وكانت لها مكانة فى نفوس أهل الجاهلية لاعتقادهم أنها مصدر رزقهم ومعيشتهم ، فلما انتابها الحريق وتصدعت جدرانها ارتاعت قريش لذلك وأعادت بنائها ولما احترقت اثناء حصار الحجاج لعبدالله بن الزبير فى مكة تهدمت فبناها(٢) ، ابن الزبيروأعاد بنائها على قواعد ابراهيم ولما هزم ابن الزبير عمد الحجاج الى بنائها كما كانت زمن قريش. ومر عليها فيما بعد التعديل والتجديد ومن فعل ذلك أبو النصر الاسترايادى وذلك سنة ٤٩٦ هـ حيث جدد ميزابها وجمّله(٣) ، وفى سنة ٥٣٧ هـ عمل لها رامشن(٤) ميزابا نقل الى مكة معجثمانه(٥) وركب سنة ٥٣٩هـ ولكنه خلع سنة ٥٤٨هـ واستبدله الخليفة العباسى القتفى (٥٣٠-٥٥٥) هـ بميزاب جديد،(٦) وفى سنة ٥٤٢ هـ عمر سقف الكعبة والدرج الذى فى باطنها والذى يصعد الى سطحها ولعل ذلك لتآكله مع طول الزمن ،كمانالتها(٧) عناية جمال الدين الاصفهانى فقد جدد بابها وحلاه حلية حسنة بالفضة وحلاه بالذهب وذلك سنة ٥٥٠ هـ ،وكان يستوقف الانظار لجمالة ، كما عمل رخاما فى داخلها.(٨)

---

١) القطبى . أعلام العلماء الاعلام ص ١٩٤ .
٢) القطبى : المصدر السابق ص ١١٧.
٣) الفاسى . شفاء الغرام ج ١ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٣٩٠ .
٤) رامشتمن أعيان تجار العجم وخيارهم له أعمال فى الحرمين (الفاسى العقد الثمين ج ٤ ص ٣٨٥).
٥) ابن فهد . إتحاف الورى ج ٢ ص ٥٠٧ .
٦) ابن فهد . المصدر السابق ج ١ ص ٥١٥ .
٧) ابن فهد. المصدر السابق ص ٥١٠ .
٨) ابن فهد . المصدر السابق ص ٥١٥ .

أما المسجد النبوى فقد بناه صلى الله عليه وسلم مربعا وجعل قبلته الى بيت المقدس وطوله سبعون ذراعا وعرضه كذلك سبعون ذراعا ،وجعل له ثلاث ابواب ثم غير قبلته بعد التحول الى الكعبة ،وقيل انه صلى الله عليه وسلم بناه ثانية وزاد عليه بعد فتح خيبر ، ولم يكن له سطح فلما شكى الناس الحر ظلله بالجريد فلما وكف عليهم طينوه بالطين (١) .

وادخلت عليه فيما بعد اصلاحات من أهمها زيادة مساحته وتجديد بناءه فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢) .

وفى عهد عثمان - رضى الله عنه - زاد فى مساحته واستبدل اعمدته بحجارة منقوشة وسقفه بالساج (٣) ،فلما جاء عهد الوليد بن عبدالملك أمر اميره على المدينة عمر بن عبدالعزيز بزيادة مساحته ،فأدخل حجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - وأدخل القبر فيه وجدد بناءه بالحجارة المنقوشة وسقفه بالساج وأحدث فيه الشرفات والمحراب وجعل له اربع منارات (٤) .

وقد جدده جمال الدين الاصبهانى ،وبنى الدرج الذى يطلع اليه وكان الناس يتعبون من ذلك (٥) .

---

١) المراغى : تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص ٤٣، ٤٤، ٤٥ .
٢) المراغى : المصدر السابق ص ٤٦ .
٣) المراغى : المصدر السابق ص ٤٧ .
٤) المراغى : المصدر السابق ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠، ٥١ .
٥) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٣ .

ولقد توالى التجديد على المسجد النبوى فيما بعد فجددت الحجرة التى فيها قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرخام وعمل لها شباكا من خشب الصندل والابنوس وكانت الستائر الحريرية تأتى اليه تباعا من الخلفاء (١).

وفى سنة ٥٤٨هـ جدد جمال الدين الاصبهانى الحجرة وجعل الرخام حولها وبوسطها (٢) .

وبالاضافة الى ماتم القيام به تجاه الحرمين الشريفين من تجديد وبناء فقد شمل ذلك بعض المساجد ومنها :-

مسجد الخيف (٣) :

وقد عمر هذا المسجد زمن الخليفة المعتمد بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ) سنة ٢٥٦هـ وهو مسجد واسع كبير فى قبلته اربعة محاريب غير محرابه الكبير ،ثلاثة عن يساره وواحد عن يمينه وله درجة عاليه ، وفى مقدمته اربعة اروقة مسقوفة بآجر معقودة بالنورة كالاطباق وله رواق آخر لاصق بجواره الذى يلى الطريق، وبابه الكبير وسط هذا الجدار ،وفى وسط جداره ،منارة وعلى يمين القبلة خارج الاروقة درجة لاصقة بالرواق الذى يلى الطريق ليصعد منه الى أعلى مستوى الاروقة المذكورة وجدران المسجد عاليه لها شرافات (٤) وقدبنى هذا المسجد جمال الدين الاصفهانى ودفع

---

١) السبكى : تنزيل السكينة على قناديل المدينة ج ٣ ق١٦ جامعة الملك سعود. مخطوط رقم (٨) .
٢) المراغى : تحقيق النصرة ص ٥٣.
٣) روى فى فضل هذا المسجد قوله صلى الله عليه وسلم أن خمسة وسبعون نبيا كلهم قد طاف بالبيت وصلى فى مسجد منى ،فان استطعت ألا تفوتك صلاة فى مسجد منى فأفعل (الفاسى . شفاء الغرام ص ٢٦١).
٤) الفاسى : شفاء الغرام ج ص ٢٦١ ،٢٦٥.

في بنائه أموالا كثيرة .(١)

مسجد عرفـــه :

طوله من بابه الى جداره القبلى ستون ذراعا وربع ذراع وعرضه مائـــة وأربعون ذراعا وارتفاع جدرانه ستة أذرع الا ثلث ذراع والمنبر عشر درجـــات مبنية بالحجارة وجميع المسجد مكشوف ليس فيه رواق .(٢)

مسجد التنعيم :

وهو المكان الذى احرمت منه السيده عائشه - رضي الله عنها - فقد ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعبدالرحمن : أردف اختك - يعنى عائشه - فأعمرها من التنعيم فاذا هبطت بها الاكمة فمرها فلتحرم فانهـــا عمرة متقبلة ،وقد عمر فى هذا الموقع مسجدا وعمره فيما بعد امير مكـــة ابـو العباس عبدالله بن محمد بن داود (٢٣٨-٢٤١هـ) ثم فى سنة ٤٦٦هـ قدم الى مكـــة أبو النصر الاستراباذى فعمر ذلك المسجد .(٣)

وقد ذكر ابن فهد أن فى جداره نقش نصه (امر بعماره مسجد عائشـــة ام المؤمنين رضي الله عنها - بأمر منه الرئيس الاجل السيد فخر الرؤساء مضيـــف الحرمين أبو النصر أحمد بن عمر بن على وأخيه الرئيس الاجل السيد ذو المحاسن أبـى مسعود ابن محمد بن على تقبل الله عملهما فى الدارين وشكر سعيهما ولاقطع من الحرمين أثرهمـــا).(٤)

---

١) الفاسى شفاء الغرام ص ٢٦١ ، ٢٦٢.
٢) الازرقى، اخبار مكه ج ١ ص ٢٠٩ ، ٢٢٨.
٣) الفاسى العقد اليمين فى س ٢١٣.
٤) اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٧٥.

أما مسجد قباء فى المدينة ، فأعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبناه مسجدا وأسسه وصلى فيه قبل أن يدخل المدينة ، ولم يزل مسجد قباء على مابناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى أن بناه عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - فوسعه ونفسه بالفسيفساء وسقفه بالساج وعمل له منارة وجعل له اروقة فى وسطه ،وقد جدد عمارته جمال الدين الاصفهانى سنة ٥٥٥هـ وكان طوله ثمانية وستين ذراعا وعرضه كذلك وارتفاعه فى السماء عشرون ذراعا وطول منارته من وسطه اثنان وعشرون ذراعا وعلى رأسها نحو العشرة اذرع ،وفى المسجد تسع وثلاثين اسطوانة بين كل واحدة منها سبعة أذرع وفى جدرانه طاقات فى كل جانب ثمان الا الجانب الشامى فان الشامنه سدت ٠ (١)

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٠٩ ، ٨١٠ ٠

بنيت الاسوار منذ القدم لحماية المدن من الاعداء ،وقد شيدت على مدن الحجاز .

ففى مكة عنى امراؤها بتحصينها أكثر من عنايتهم بأى مجال آخر فكانوا يبنون القلاع كما كانوا يبنون مابين منافذ الجبال (فأيما وجدت فرجه بين جبلين سدوها بسور) (١) وكان سورها من جهة المعلى وهو مدخلها الرئيسى ، وبها مداخل من جهة المسفل ومن جهة باب العمرة ، أما بقية جهاتها فتحيط بها الجبال ولا تحتاج معه الى سور سوى سد منافذ تلك الجبال التى يمكن معها الدخول الى مكة (٢) .

أما المدينة المنورة فقد تعرضت لعدة حروب فى العصر العباسى ،حين استقل بها العلويون سنة ١٤٥هـ حيث عملوا خندقا حولها فى موقع خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يدل على عدم وجود سور بها الا أن هزيمتهم من قبل العباسيين جعلتهم يقومون بمحاولة اخرى سنة ١٦٩هـ ولكنها فشلت وتسببت فى تخريب كبير بالمدينة ،وفى عهد الخليفة الواثق (٢٢٧هـ-٢٣٢هـ) تعرضت المدينة لهجوم من بنى هلال مما تسبب فى الحاق الضرر بكثير من منشآتها ولعل تلك الاحداث المتكررة على المدينة فى العصر الاموى والعباسى هى التى كانت السبب فى بناء سورها سنة ٢٦٣هـ (٣) ثم بنى سور من الطين واللبن حول

١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٢١ . السباعى . تاريخ مكه ص ١٤.
٢) ابن جبير : الرحلة ص ٩١.
٣) صالح مصطفى : المدينة وتطورها العمرانى ص ١٣، ١٤ . نشر دار النهضة العربية

المدينــــــــة وقــــد هدم هذا السور فيما بعد وأقام عضد الدولة [1] بن بويـــــــة بدلا منه فى الفترة مابين سنة ٣٦٧هـ و ٣٧٢هـ سور من الحجر ، وكان هدفه بذلـــــك حماية المدينة من استيلاء الفاطميين عليها ، وقد تهدم فيما بعد [2] ،ثم البثـــــت أن تعرضت لهجمات الاعراب المقيمين حولها ، وذلك للسلبوالنهب فما كان من جمال الدين الاصبهانى الا أن بنى عليها سورا فأكمله ، وكان لهذا العمل الجليل منه رد فعـــل طيب فى نفوس أهلها فأصبح خطيب المسجد النبوى يضمن دعائه قوله (اللهم صن حـــرم من صان حرم نبيك) [3] ،ومع مرور الزمن زاد سكان المدينة لكثرة القادمين عليها فلـــم تعد تسعهم المساحة التى يحيط بها السور فأصبح الناس يبنون خارج السور وأصبحـــوا عرضة للاعتداء عليهم من الاعراب فلما حج نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٧هـ طلب سكانها منه أن يبنى عليهم سور يحيط بمساكنهم وماشيتهم فأمر به فبنى لهم [4] .

أما الطائف فكانت منذ القدم محصنة ولاقى المسلمون منها زمن رسول اللـــــه - صلى الله عليه وسلم - العنت بسبب قوة تحصينها بعد أن أغلقت أبوابه وبقيـــت هذه الحصون على حالها حتى هدمت خوفا من أن يلجأ الاعراب اليها ويحتصنون بهـــا [5]

وفى جدة شاهد ابن جبير [6] اثناء مروره بها سورها القديم والذى كان يحيط بها من جميع الجوانب .

---

(١) عضد الدولة ابن بويه ابوشجاع ابن ركن الدوله بن بويه الديلمى احد امراء بنى بويه له اعمال بر توفى سنه ٣٧٢هـ (ابن كثير ج ١١ ص ٢٨٨، ٣٠٠)

(٢) صالح مصطفى : المدينة وتطورها العمرانى ص ١٣، ١٤.

(٣) السمهودى : خلاصة وفاء الوفاء ص ٣٢١.جده ١٤٠٣هـ.العباسى.عمدة الأخبار ص ٤٥.

(٤) الفاسى:العقد الثمين ج١ ص ١٣.الفيروزابادى المغانم المطابه ص ١٩١.

(٥) المطرى:التعريف بما انست الهجره من معالم دار الهجرة ص ٣٦.حمد الجاسر.رسائـــل فى تاريخ المدينه ص ٢٢٨.دار اليمامة للنشر والترجمه .الرياض .

(٦) ابن هشام.السيرة النبوية حـ ٤ ص ٩٠ .ناصر خسرو.سفر نامه ص ١٣٧.

(٧) الرحلــة ص ٥٣.

الفصل الخامس :

١ - الحياة العامة :

(الحياة العامة والمنشآت الاجتماعية)

العوامل المؤثرة في الحياة العامة .

عناصر السكان

الأطعمة

الأشربة

الألبسة

الزينة

الأعياد والمناسبات

الزواج

الوفيات والجنائز

المجالس الاجتماعية

٢ - المنشآت الاجتماعية :

الأربطة

الفنادق

الحمامات وأماكن الوضوء

الآبار والعيون والأحواض

١- الحيـــاة العامـــه :

لقـد تـأثـــرت الحياة العامه فى بلاد الحجاز بعدد من العوامل ومنها :

وحود الحرمين الشريفين فيهما فقد كان لوجودهما أثر على التركيبة السكانية بمكه والمدينه حيث جوارهما كثير من المسلمين الذين تركــــوا بلادهم طلبا للافضليـــة فى أداء العبادة بهما ،حيث جاءت الاحاديـــــــث النبويــة الشريفة مثبتة تلك الافضلية ،وهو ماستحدث عنه فيما بعـــد ، كما ساهم وجود حلقـــات التدريس التى يدرس فيها اللعماء المعرفـــون بعلمهـــم وفضلهم على الهجـــرة لطلب العلم والسكن بالحجاز ،وقد أفـــرز ذلك فئة متميزة من السكان عرفت بالمجاوريـــن (١) . وهم من كافة ارجـــاء العالم الاسلامى .

واسهمت هذه الهجرة على نشر الفكر الصوفى الذى لازمه وجود ظواهــر اجتماعية مصدرها ذلك الفكر،مثل قيام الأربطة التى تأوى النـــــاس المنقطعين للعبادة والعلم ونشر سلوكيات خاصة بهم تميزهم عن غيرهـــم حيث ينصرفون الى العبادة وترك طلب المعيشة ،ولبس الخشن من الثيـــاب والاقتصار على نوع معين فى الأكل والشرب والتجمع لأداء أذكار خاصـــة بهم يصحبها حركات معينه هى من ابتداعهم ،مع الولاء التام لشيــــخ طريقتهم . (٢)

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٥ .

(٢) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ بيروت .

ومن العوامل التى أثرت على الحياة العامه فى الحجاز الوضع السياسى القائم آنذاك حيث كان الفاطميون يبسطون نفوذهم على الحجاز مما مكنهم من نشر بعض عاداتهم وتقاليدهم فيه وقد ابتدع الفاطميون أعيادا ومواسم كثيرة ربطوها بمذهبهم الشيعى ومنها مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - ومولد على ابن ابى طالب - رضى الله عنه - ومولد الحسن والحسين - رضى الله عنهما - ومولد فاطمه - رضى الله عنها - وليلة أول رجب وليلة أول شعبان وكذا النصف منه وغرة شهر رمضان وأول العام الهجرى ويوم عاشوراء وليالى الوقود وهى التى تسبق شهرى رجب وشعبان .(١)

ونتيجة لاتباع عدد من أمراء مكة والمدينة هذه الفترة المذهب الشيعى ،فقد ظهرت بعض هذه المواسم والأعياد فيها رغم قلة المعتنقين لهذا المذهب فى الحجاز وذلك من خلال فرضها على الناس فى احتفالات جماعية علنية يعدها الأمراء، الاعداد المناسب ،ومن ذلك الاحتفال بمولد النبى - صلى الله عليه وسلم - وشهر رجب وغرة شهر رمضان وعاشوراء.(٢)

كما صاحب انتقال الفاطميين الى المشرق هجرة جماعية من الشمال الأفريقى واستقر قسم من هؤلاء المهاجرين فى الحجاز وعمل بالزراعة والتجارة.(٣)

ومن العوامل التى أثرت على الحياة العامه وجود العبيد فى الحجاز سواء ماكان منهم مقيم بمكه والمدينة منذ القدم أو ماجلب اليها من النوبة فى هذا العصر حيث ظهر ماعرف بعبيد مكه كما اختلط أولئك بسكانها حيث وصفهم ابن المجاور بسمرة البشرة .(٤)

---

(١) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٩٠، ٤٩١ .
(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٦،١١٧،١١٩،١٢٢.
(٣) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١٢. ابن جبير : المصدر السابق ص ١٠٧.
(٤) تاريخ المستبصر . ص ٥ .

ومن اهم ما تأثرت به الحياة فى ذلك الوقت الأزمات الاقتصادية المتلاحقة حيث تقل الايرادات المالية للبلاد ،ويتبع ذلك ضعف اقتصادى ويقل مافى ايدى الناس مما يضطرهم الى الهجرة لانعدام الحاجات الضرورية فى بلادهم .(١)

***

اما عن عناصر السكان فالمجتمع الحجازى منذ القدم يتشكل من القبائل العربية التى يقيم بعضها فى المدن ،وبعضها فى القرى والأرياف ،وبعضها يتنقل فى الصحراء طلبا للمراعى والحياة وينظم حياته وفق النظام القبلى المتعارف عليه بينهم ،وكانت تلك القبائل تتفق فيما بينها على التنقل فى رقعة محدودة من الأرض ،تتسمى بها فاذا ماحدث أن تجاوزت أى من هذه القبائل تلك الحدود ،حدث الخلاف بينهم ،ومن تلك القبائل التى سكنت الحجاز قبيلة كنانة ،ومن فروعها قبيلة قريش ،وهى من أهم القبائل العربية ولمكانتها زادت أهمية قبيلة كنانه ،وقد انتهى الى قبيلة قريش الشرف فى الجاهلية ،ثم ماحظيت به بعد مبعث النبى - صلى الله عليه وسلم - فيها ،ومركزها الرئيسى فى مكه ،وانتشرت فى الطائف ،كما سكن بعض أفرادها فى معدن البرام وفى المدينة المنورة والفرع ،عدا ماتفرق فى الجزيرة العربية والمناطق المفتوحة .(٢)

ومن فروع كنانه غفار ودوس وبنى ليث وخزاعة وخثعم والأزد ،وكانت مساكنها

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامه ص ١١٢.

(٢) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٦٠. ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٢.

حول مكه فى عسفان ومر الظهران ،وخيف ذى القبر وسقيا بنى غفار والعميصاء (١)
وبعض يلملم وفى البرواء (٢) قرب المدينة (٣) .

ومن القبائل التى استوطنت الحجاز قبيلة هذيل ،وكانت مساكنهم بين جبال السروات والمناطق المجاورة لمكه وقرب الطائف (٤) ،وقد هاجر معظم افراد هذه القبيلة خلال الفتوح وبقى جزء منها ولايزال حتى الان (٥) .

ومن القبائل التى سكنت فى الحجاز قبيلة بنى سليم وتنتشر مساكنهم (من وادى القرى الى خيبر شرقى المدينة الى حد الجبلين الى ماينتهى الى الحره ،ويخالطهم جزء من الأنصار (٦)) كما شملت مساكنهم السوارقيه و سايه وأحباب والجحفة وغيرها (٧) وقد هاجر قسم منها وبقى آخر فى مكانه حتى اليوم (٨) .

وسكنت قبيلة جهينة الحجاز ،وكانت أغلب مساكنها فى العيص ،وينبع والصفراء

---

(١) الغميصاء . موضع قرب مكه (ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٤) .
(٢) البزواء . قرب المدينه بلده مرتفعة عن الساحل من بين الجار ودران (البكرى . معجم ما استعجم ج ١ ص ٢٤٨ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ج ٢ ص ٤٩٥ ، بيروت ١٤٠٣هـ .
(٣) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ج ٢ ص ٤٩٥ الهمدانى . صفه جزيرة العرب ص ٣٣٢؛ البكرى : معجم ما استعجم ج ١ ص ١٨٧ .
(٤) البكرى : معجم ما استعجم ج ١ ص ٨٨ ،ج ٢ ص ٥٣٠ . الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٥ .
(٥) ابن بليهد : صحيح الاخيار . ج ١ ص ١٨٦ . القاهرة ١٣٩٢هـ .
(٦) الهمدانى : المصدر السابق ص ٢٧٤ .
(٧) البكرى : معجم ما استعجم ح ١ ص ١٠٠ وح ٣ ص ٨١١ .
(٨) ابن بليهيد المرجع السابق ح ١ ص ١٨٦ . السيف : الحياة الاجتماعية والاقتصادية ص ٢٢٧ .

وذى المروة ورضوى وعسفان وقدس وآره (١). فحدود مساكنها فى المنطقة الممتدة على ساحل البحر الأحمر من قرب ميناء رابغ الى ميناء حقل جوار العقبة شمالا ومن الساحل غربا الى المدينة شرقا (٢).

ومن القبائل التى استوطنت الحجاز قبيلة مزينة وكانت منازلهم فى المدينة ووادى القرى وجاورت جهينة فى قدس وآره كما نزلوا فى ورقان والرويثة والعيص وسايه (٣)، ولاتزال منازل قبيلة مزينة بالقرب من المدينة المنوره (٤).

وممن سكن الحجاز قبيلة خزاعة ،واستوطنت مكه المكرمة والأماكن المجاورة لها كمر الظهران وخيف النعم وعسفان وغزال (٥) دوران وأُمج كما سكن قسم منهم المدينة ولاتزال بعض بطونها الى اليوم فى وادى فاطمة والخيف تمتد الى القنفذه ،وفى الـراك

---

(١) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٧٣. الحربى : المناسك ص ٣٩٨ - ٤١٣ - ٤٤٨ ، البكرى : معجم ما استعجم ج ٢ ص ٦٥٦ ،ج ٣ ص ٦٣٦: القلقشندى . نهاية الارب ص ٢٢٦.

(٢) أيوب باشا: مرآة جزيرة العرب ج ٢ ص ٢٧٢ ترجمة احمد متولى والصفصافى احمد نشر دار الرياض ط عام ١٤٠٣هـ . السيف الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الحجاز ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٧٣. الحربى: المناسك ص ٤٤٧. البكرى. معجم ما استعجم ص ٢٨. ابن حبيب مختلف القبائل ومؤتلفها ص ٢٤ تحقيق ابراهيم الانبارى ط القاهرة.

(٤) ابن بلهيد: صحيح الاخبار ص ٢٨٧. السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ص ٢٢٨.

(٥) غزال تأتى من ناحيه شمنصير وفيه آبار وهو لخزاعه خاصه (ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٢٠١).

الواقعة الى الجنوب الشرقى من بحرة فى الحجاز.(١)

كما استقر قسم من قبائل طي فى المدينة المنورة والمناطق المجاوره لها كالسقيا،(٢) كما سكن بنو أشجع من غطفان فى ضواحى المدينة وكان بنو كلاب ينزلون فيما بين المدينة ووادى القرى وخاصة حرة ليلى،(٣) وسكن بنو هلال فى شرقى مكة وبجوار الطائف فيما بين جبل غزوان وفى مناطق وادى جلدان ومران وتربه.(٤)

وسكنت الطائف قبيلتا ثقيف وهوازن وذلك فى وادى ليه ووادى حنين .(٥)

ومن قبائل الحجاز قبيلة بلي وتقع مساكنها بين المدينة ووادى القرى وحدها شمال ينبع .(٦)

واستوطنت قبيلة بنى سنان من الأزد فى جبال السروات .(٧)

وكان فى المدينة المنورة قبيلتا الأوس والخزرج وقد هاجر اليها جمع من القبائل

---

(١) فؤاد حمزه : قلب جزيرة العرب ص ١٥٦ ط : الرياض ١٣٨٨هـ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ٣٢٤. ونهاية الارب فى معرفه انساب العرب ص ٥٠ ط بيروت ١٤٠٥هـ .

(٣) القلقشندى : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٤ . السمهورى : وفاء الوفاء حـ ٤ ص ١١٨٧

(٤) الهمدانى: صفه جزيرة العرب : ص ٦٣. الادريسى نزهة المشتاق ٢ ص ١٤٥ ياقوت معجم البلدان ح ١ ص ٢١ .

(٥) الاصفهانى: بلاد العرب ص ٣٠. الهمدانى صفة جزيرة العرب ص ٢١٠.

(٦) البكرى:معجم ما استعجم حـ ٢ ص ٤٢٨.

(٧) البكرى المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٢٨. القلقشندى . صبح الاعشى حـ ١ ص ٣١٩،٣٢٠

بعد اتخاذها قاعدة للدولة الاسلامية .

تلك هى القبائل التى كانت تسكن مناطق الحجاز مع ملاحظة أن التغيرات التى طرأت على المنطقة بعد الفتوحات الاسلامية وماصاحبها من هجرة سكانية كبيرة للبلاد المفتوحة لم تفرغ هذه الاماكن من تلك القبائل ،حيث تذكر المصادر المعاصرة لفترة البحث ان جماعات من تلك القبائل لازالت تقيم فى مواطنها السابقة.(١)

ويمكن أن نقسم سكان الحجاز الى العناصر التالية :

- الامراء: وقد ولى امرة مكه المكرمة الأشراف وهم من نسل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما - وقد تعاقب على الإمارة منهم خلال هذه الفترة الأشراف السليمانيون ،والأشراف الهواشم وكان فيهم القواد والامراء ومنهم ممن لم تصل اليه قيادة أو أمارة وتكاثر عددهم فى مكة وكانت سيرة هؤلاء الأمراء سيئة احيانا فتأذى الناس من بعضهم لسوء أعمالهم وفساد إدارتهم(٢) ومن ذلك مافعله بنو سليمان حين نهبوا أهل مكه وقطعوا الطريق الواصل بين مكه واليمن ، فغلت بذلك الأسعار وكان ذلك بسبب خلاف بينهم(٣) وكان منهم من يعتدى على الحجاج وينهب أموالهم وقد فعل ذلك محمد بن أبى هاشم سنه ٤٨٦هـ حين أرسل عسكره اليهم فنبهوهم(٤) وكان منهم من يعتدى على أموال التجار ويأخذها ومن ذلك مافعله الأمير قاسم بن محمد سنه ٥١٢هـ حيث سير مقاتليه الى عيذاب فنبهوا أموال التجار

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٥.
(٢) الفاسى شفاء الغرام حـ ٢ ص ١٩٦، ١٩٧. السباعى تاريخ مكه ص ٢٠
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى جـ ٢ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠.
(٤) ابن فهد: المصدر السابق حـ ٢ ص ٤٨٦.

مما أغضب الفاطميين فقطعوا الميرة التى تجلب من مصر الى مكه فتأثر أهلها بذلك حيث ارتفعت الأسعار فى أسواقهم (١)، ومنهم من لايكفيه سوء ادارته وتردى الاحوال فى عهده فيعمد الى مباشرة الحاق الضرر بالناس ،وقد فعل ذلك الأمير قاسم بن هاشم سنه ٥٥٦ هـ حين عمد الى نهب المجاورين الضعفاء وأعيان مكه وفر بما أخذه منهم خارجها (٢) ،ومنهم من كان يحسن الى الناس ويكسب ودهم ومنهم الامير فليته بن قاسم الذى أسقط المكوس عن الناس وسار فيهم سيرة حسنة فسعدوا فى عهده وأحبوه (٣).وكانت اقامه بعضهم فى مكه بين الناس ،وبعضهم يقيم خارجها ،فقد ذكر الرحالة ناصر خسروا أنه قصد أمير مكه أثناء اقامته فيها سنه ٤٤٢هـ كان فى برقه وهى تبعد بمسافة أربعة فراسخ عن مكه (٤). كما كانوا يحضرون المناسبات والأعياد التى تقام ويخالطون الناس هم وحاشيتهم (٥).

اما المدينة فيحكمها آل مهنا وهم أشراف من نسل الحسين بن على بن ابى طالب - رضى الله عنهما- وهم أحفاد طاهر بن مسلم الحسينى والذى ولى امرة المدينة سنه ٣٦٠هـ وكانت حالهم مع الناس مشابهة لبنى عمهم فى مكه فقد فرضوا الضرائب على زوار المدينة وسرقوا ما استطاعوا من أموال المسجدالنبوى لسد عجزهم المالى ومنهم من كانت سيرته حسنه وخلقه قويم فتقرب الى الناس فأحبهم وأحبوه (٦).

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٩٦.
(٢) ابن فهد: المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢٣.
(٣) ابن فهد: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩٩.
(٤) سفر نامه: ص ١٣٤.
(٥) الادريسى: نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤١: ابن جبير الرحلة ص ١٠٧،١١٤.
(٦) ابن الجوزى: المنتظم جـ٨ ص ٣٠٤ ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٩٩ عبدالقدوس الأنصارى : آثار المدينة ص ٤٣.

سكان البلاد الأصليين : وقد سبق الحديث عن القبائل العربية التى تسكن فى الحجاز وموطنها فيه ونذكر الان بقايا هذه القبائل والتى استمرت فى الحجاز خلال فترة البحث :

وتستوطن مناطق الحجاز والتى هاجر قسم منها ابان الفتوحات الاسلامية لأقاليم العراق والشام ومصر وبقى قسم منها منتشر فى المدن والقرى والأرياف وفى الصحراء يتنقلون من مكان لآخر طلبا للماء والكلأ،فيذكر الادريسى وهو معاصر لهذه الفترة أن الغالب على نواحى مكة مما يلى المشرق بنو هلال وبنو سعد من قبائل هذيل ومن غربها قبيلة مدلج وغيرها من قبائل مضر (١) وفى مكة ذاتها بقايا من قبيلة قريش ولكنهم اختلفوا لاختلاطهم بغيرهم من الذين يفدون اليها (٢) وفى الطائف قبيلتا ثقيف وهوازن ،وقسم من قريش استقر فى الطائف بعد أن تملك فيها المزارع والبساتين كما ان قسما من قريش يقضى فى الطائف فصل الصيف هروبا من حر مكه (٣).

وأكثر سكان جدة ومايليها من الصحراء والجبال علويون وحسينيون وحسنيون وجعفريون وقد رق لحالهم ابن جبير فقال (وهم فى شظف من العيش ليتصدع له الجماد اشفاقا يستخدمون أنفسهم فى كل مهنة من المهن من اكراء الجمال ان كانت لهم أو مبيع لبن أو ماء الى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه ،وربما تناول ذلك نساؤهم الشريفات بأنفسهن)(٤).

وجدة لاتختلف عن مكة كثيرا وذلك لكثرة من يقدم اليها حيث هى الميناء

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٥.
(٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٢٢،٢٣.
(٣) ابن المجاور: المصدر السابق ص ٢٣.
(٤) الرحلة ص ٥٣.

الرئيسى لمكة المكرمة ،فتشابهها فى اختلاط السكان بغيرهم ممن استقر بهم المقام فيها،وتؤثر الازمات الاقتصادية على هؤلاء السكان فيهاجرون الى مناطق فى شبه الجزيرة العربية كما حدث سنة ٤٤٢هـ حين حل الجدب والقحط فى مكة فنقص سكانها الى قرابة ٢٥٠٠ نسمة مع المجاورين بها.[١] أو الى خارج الجزيرة كما حدث سنة ٤٤٠هـ حينما هاجر من الحجاز خمسة وثلاثون الفا الى مصر طلبا للرزق والمعيشة ثم مالبثوا أن عادوا اليها بعد ماتحسنت الظروف الاقتصادية فى بلادهم ونزلت فيها الأمطار وانقشع الجدب وحل فيها الرخاء.[٢]

المجاورون : لقد كان لوجود المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة آثر على التركيبة السكانية للحجاز حيث أن الأفئدة تهوى اليهما من كل مكان فى أنحاء المعمورة فيفد اليها فى كل وقت وحين أعداد كثيره من المسلمين حجاجا وتجارا كما يفد اليها طلاب العلم للتفقه فى الدين على يد العلماء فى الحرمين وبعض اولئك يقيم جوار الحرمين الشريفين ويأنس برحابهما ويطيب له المقام فيمضى بقية حياته أو جزءا منها مجاورا للحرمين الشريفين وهو ما عرف فى التاريخ الاسلامى باسم المجاورة.[٣]

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١٢.
(٢) ناصر خسرو: المصدر السابق ص ٥٣.
(٣) الزيلعى : مكه وعلاقاتها الخارجيه ص ١٣٧.

ولقد وردت أحاديث كثيرة تفيد فضل هذين البلدين على سائر بلاد الدنيا جميعا وتبين حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لهما ومكانتهما فى قلبه ،ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - حين خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ،والله انك لخير أرض الى الله ،ولولا أنى أخرجت منك ماخرجت ،وقوله - صلى الله عليه وسلم - أنى لاعلم ماوضع الله عز وجل فى الأرض بيتا أحب اليه منك ومافى الارض بلد أحب الى منك وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين كفروا هم أخرجونى، (١) الحديث ،كما وردت آثار تدل على أفضلية المدينة المنورة ومكانتها فقد قال - صلى الله عليه وسلم - والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .(٢)

ولقد نزل بمكة عدد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذكرأن عددهم يقارب الخمسين رجلا - منهم جابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير - رضى الله عنهم أجمعين - وقد اختلف العلماء فى حكم المجاورة بمكه فذهب الامام احمد - رحمه الله- مع جمع من العلماء وقالوا أنها فضيلة ومايخاف من ذنب يقارف فيه فيقابل بما يرجى لمن أحسن من تضعيف الثواب وكرهها الامام ابوحنيفه ووجه الكراهية خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الانسان بالمكان وخوف ارتكاب ذنب هناك فإن المعصية تضاعف فيه والبعد عنه يبعث الشوق اليه .(٣)

وأيا كان الأمر فان الواقع يشهد بقدوم أعداد كبيره من انحاء المعموره الى مكه

(١) الازرقى : تاريخ مكه ج ٢ص ١٥٥ دار الثقافة بمكه المكرمه عام ١٣٩٩هـ.
(٢) العباسى : عمدة الاخبار. ص ٣٠ نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنوره .
(٣) الطبرى : القرى القاصد أم القرى. ص ٦٦٠و٦٦١. نشر دار الفكر عام ١٤٠٣هـ.

والمدينة لمجاورة الحرمين فيها والسمة الظاهرة على أولئك الناس الانقطاع للعبادة، أو لطلب العلم فى الحرمين ولهذا تذكر المصادر التاريخيه حاجتهم المستمرة الى المال والطعام فقد كانوا مجالا واسعا لانفاق الصدقات والزكوات عليهم من أهل الخير والاحسان لانصرافهم عن العمل وطلب الرزق ،وقد كان الحجاج من الأمراء وأهل المال يقدمون لهم الشئ الكثير،ففى سنة ٤٢٥هـ قدمت زوجة الصليحى معه الى مكة فبذلت صدقات كثيرة ،وممن كان ينفق أيضا فى مكة أبو النصر الاستراباذى والذى قدم الى مكة سنة ٤٦٦هـ فقام بأعمال جليلة فى مكه ومنها أنه تصدق على أهل الحرمين بمال جزيل وأجرى لفقراء مكة والمدينة نفقتهم لمدة عام كامل (١)، ومنهم بدر بن حسنوية والذى ينفذ صدقاته الى أهل الحرمين كما كان يعطى منها الأشراف والفقهاء والقراء الذين بجوارهما (٢)، ولاتتوقف حاجة المجاورين الى الطعام والشراب والكساء فقط بل حاجتهم الى السكن فتبنى لهم الأربطة التى تؤيهم ويقضون فيها وقت راحتهم ،ومن هذه الاربطة الرباط المعروف برباط الدمشقية والذى وقف على الصوفية والعلماء والقراء فى مكه ورباط فى المدينة أنشأه محمد بن على بن منصور الأصبهانى وأوقفه على فقراء العجم (٣)، هذا بالاضافة الى ماكان يصلهم كغيرهم من سكان مكة والمدينة من اعطيات سنوية كانت تبعث باستمرار من الدولة الفاطمية بمصر (٤)، أومن الدولة العباسية فى العراق وماكان يحمله الحجاج القادمون الى مكه من صدقات يسدون

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٦٨،٤٧٦.
(٢) ابن الجوزى: المنتظم ج ٨ ص ٢٧٦.
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٥.
(٤) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١٢.

بهـا حاجـة فقـراء الحرميـن .

وكان المجاورون يتأثرون بما يتأثر به أهل مكة من الأزمات التى تصيبهم فى أوقات الشدة ومع تعذر وسائل الرزق ،فان المصادر تنقل لنا صورا من معاناه هؤلاء، الناس والتى تصيبهم كما تصيب غيرهم من سكان المدينتين من جراء القحط والشدة ونقص الأمطار أو انقطاعها . بسبب حصار اقتصادى يفرض عليها فتمنع الأطعمة التى تردهم من مصر أو اليمن (١) ، وقد ذكر الرحالة الفارسى ناصر خسرو أن المجاورين قد هجروا مكة أثناء زيارته لها سنة ٤٤٠هـ وسنه ٤٤٢هـ وكان ذلك بسبب المعاناة المعيشية التى تتعرض لها مكه فى بعض الاحيان (٢) .

وينال مجاورى الحرم ماينال أهل المدينتين من أذى الأمراء وسوء الادارة ،ومن ذلك مافعله الأمير قاسم بن هاشم سنه ٥٥٦هـ حين علم بوصول ركب الحج العراقى فما كان منه الا أن نهب أموال المجاورين وأعيان مكه وهرب بها (٣) ، كما ينالون قسطهم من معاناة أهل مكة أيام موسم الحج لكثرة الناس فيها وضعف الأمن فينتشر السراق ويخشى الناس على ممتلكاتهم (٤) ، ومع هذه الظروف التى تكتنفهم الا أن لهم أثر فى الحياة العامه فرادى وجماعات ،ومن ذلك موقفهم مع أبى الفتوح حين ظهر رجل يدعى هادى المستجيبين وصار يدعو لعبادة الحاكم وقد سب الرسول وبصق على المصحف وأخذ يسير فى البرارى يدعو الى نحلته وحين وصل الى مكه ونزل على

(١)ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١١، ١٢٣. ابن فهد: اتحاف الورى جـ ٢ ص ٤٤٥.
(٢) سفرنامه ص ١١١، ١٢٣.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى جـ ٢ ص ٥٢٣.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٠.

ابى الفتوح فلما رآه المجاورون يطوف ذهبوا الى أبى الفتوح وذكروا له شأنه فقال أعطيته الذمام فقالوا انه سب وبصق فسأله فأقر وقال قد تبت فقال المجاورون لأبى الفتوح توبة مثل هذا لاتصح فقد أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ،وهذا لايصح أن يعطى الذمام ويجب قتله فدافعهم أبو الفتوح حرصا منه على سلامة علاقته مع الفاطميين الذين لازال عداؤهم اليه قريب ولكنهم ألحوا عليه بطلبهم قتله فما كان منه الا أن لبى طلبهم وأمر بقتل هذا الرجل مع غلام له (١)، وكان منهم من وصل الى وظائف عليا مثل ابى محمد عبدالله بن عمر بن على القيروانى الذى تدرج فى الوظائف حتى أصبح امام مقام ابراهيم ثم انتهت اليه رئاسة القراء بمكه (٢)، ومثل زيد بن عبدالله بن جعفر الفقاعى الذى انتهت اليه رئاسة الفتوى بمكه دون منازع (٣)،ومثل ابراهيم بن على بن الحسين الشيبانى الذى كان فقيها فاضلا له تصانيف فى الفرائض ومعرفة فيه وفى الحديث والتفسير وقد ولى قضاء مكة وكانت وفاته سنه ٥٢٣هـ (٤)، ومنهم من كان ذو منزلة علميه أمثال عبدالكريم بن عبدالرحمن بن محمد بن على الذى قدم الى مكه وقرأ بها على أبى عبدالله الكاوزين وعلى الحسين بن محمد الاصبهانى وغيره وكان شيخ القراء بمكة وله مؤلفات منها كتاب الرشاد فى شرح القراءة الشاذة ،وكتاب الدرر فى التفسير وغير ذلك كثير (٥)،ومنهم

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٤٦.
(٢) الفاسى: العقد الثمين ج ٥ ص ٢١٠.
(٣) الفاسى : المصدر السابق ج ٤ ص ٤٨٠.
(٤) الفاسى : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣٤.
(٥) الفاسى : المصدر السابق ج ٥ ص ٤٧٥،٤٧٦.

الحسن بن على بن عمر الأنصارى الذى قدم الى مكة لأداء الفريضة فبقى فيها مجاورا وله فيها مجلس علم أخذ عنه أبو القاسم بن عساكر وابن أبى الصيف وأبو جعفر بن شراحيل وغيرهم وكانت وفاته سنه ٥٤٨هـ (١) ومنهم من وصل الى امامه أتباع مذهبه فى الحرم المكى أمثال على بن عبدالله بن حمود الفاسى ،الذى حج مرتين،وفى الثانية بقى مجاورا وصار اماما للمالكية بالحرم الشريف . (٢)

ومنهم من وصل الى امامة مقام ابراهيم الخليل عليه السلام كعبد الله بن عمر بن على بن خلف القيروانى وكان أول من يصلى من أئمة الحرم قبل المالكية والحنفية والزيدية وكانت وفاته سنه ٤٩٧هـ . (٣) بالاضافة الى ذلك كان لهم أنصهار فى الحياة الاجتماعية حيث كانوا يتزاوجون مع أهل مكه وقد ترك ذلك آثارا واضحة على المجتمع المكى،فيذكر ابن المجاور أن اهل مكه سمر البشرة وأرجع سبب ذلك الى كثرة التزاوج مع المجاورين وبالذات مع أهل الحبشة والنوبيين . (٤)

ومن العناصر السكانية فى بلاد الحجاز العبيد وهم الأرقاء الذين جاء الاسلام فوجدهم على هذه الحال فى الجاهلية وكانت قريش تتجر بهم مثل اتجارها بالسلع وتدفق الرقيق على الحجاز بعد انطلاق الجيوش الاسلامية لفتح الأقاليم وتكاثرت اعدادهم فى مدن الحجاز وأريافها،وقد دعا الاسلام الى الرفق بهم وجاءت

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ص ١٥٩
(٢) الفاسى : المصدر السابق ج ٦ ص ١٨١.
(٣) الفاسى : المصدر السابق ج ٥ ص ٢١٧،٢١٨.
(٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٥. الزيلعى: مكه وعلاقاتها الخارجية ص ١٥.

النصوص بذلك ومنها (قوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أرقاءكم أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ،فان جاءوا بذنب لاتريدون أن تغفروه فبيعوهم ولاتعذبوهم)[١]،كما جاءت التشريعات التى توجب اعتاق الرقيق كما فى كفارة اليمين والظهار والنذر وقتل الخطأ[٢] ، وتذكر المصادر المعاصرة لهذه الفترة طريقة جديدة على المنهج الاسلامى ولكنها معروفة فى الجاهلية ألا وهى قيام فئه من الناس بالذهاب الى مناطق البجه[٣] ، وهم سمر البشرة يشتغلون بتربية الماشية لايغيرون على أحد ولايسرقون من أحد فتستغل تلك الفئة بساطتهم فيسرقون ابناءهم ثم يجلبونهم الى أسواق الرقيق يبيعونهم فيها ويجرى عليهم فيما بعد ما يجرى على الرقيق[٤] .

كما كان لهم مشاركة فى الاحداث السياسية فى مكه فقد دخل امير الجيوش العباسية يمن المستظهرى[٥] بمظهر العظمة الى مكة وعلى رأسه الاعلام وخلفه الكوسات والبوقات والسيوف فى ركابه قاصدا بذلك اذلال امير مكه وعبيدها وقد اختلف فى جواز ذلك ،فنقل ابن الجوزى المنع فى ذلك ولكن سبطه قال(لا وجه فى النهى فى ذلك انما النهى لمن دخلها محاربا هاتكا لحرمة البيت والحرم وهذا الحبشى

---

(١) ابن حنبل : المسند ج ٤ ص ٣٦٠.

(٢) المقدسى : العدة شرح العمدة ص ٤٨٤،٤٧٨،نشر مكتبة الرياض الحديثة .

(٣) البجة: المنطقة الممتده من مصر الى الحبشة وذلك من الشمال الى الجنوب ومن بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب الى الشرق (ناصر خسرو:سفر نامه ص ١٢٨).

(٤) ناصر خسرو:المصدر السابق ص ١١٨.

(٥) يمن المستظهرى . امير الحج جوادا كريما توفى بأصبهان سنه ٥١١هـ (ابن كثير: البداية والنهاية ص ١٨٣).

يعني أمير الجيوش - مادخلها الا معظما،لأن أميرها والسودان كانوا عصاة مع ابن العباس لايرون امامتهم ويخطبون لغيرهم فقصد بذلك الطاعة والاذعان لا الهوان والعصيان)[(١)] وهكذا نرى مساندتهم لأمير مكة فى تلك المواقف واعتماده عليهم فيها، كما أن لهم اسهاما فى الاعمال الزراعية فقد كانت مزارع المدينة تسقى من الآبار ويقوم على سقيها عبيدهم[(٢)].

وفى جدة كانت هذه الفئة من الناس تستخدم فى مجالات متعددة ،ومنها نقل المياه من الصهاريج التى خارج المدينة الى الصهاريج التى بداخل البيوت ،كما كان لهم مخالطة اجتماعية مع أهل مكة وذلك بالتزاوج معهم فقد ذكر ابن المجاور لما زار مكه بأن رجالها سمر وعلل ذلك بتزاوجهم مع أهل الحبشة والنوبة[(٣)].

وممن سكن الحجاز الوافدون ويمكن اعتبارهم جزءا من العناصر السكانية التي تقيم في الحجاز وهؤلاء تختلف حالهم عن المجاورين فهم قدموا للتجارة أو لظروف سياسيه أو غيرها من أعمال أخرى . وقد استوطن موانىء الحجاز اعداد كبيرة من المغاربة الذين قدموا اليها من بعض جهات الشمال الافريقى من برقة وجبل سوسه والقيروان وطرابلس وتلمسان والمهدية وفاس وجربة ودرعا وذلك بعد انتقال الدولة الفاطميه الىمصر وبسط نفوذها على الحجاز[(٤)] فتكاثرت اعداد هؤلاء المغاربة فى بلاد الحجاز يوما بعد يوم ونمت تجارتهم حتى وصلوا فى نشاطهم التجارى الى الهند ولم يقتصر نشاطهم فى مدن الحجاز

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٩٥.
(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٥.
(٣) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٥ وص ٤٥
(٤) الزيلعى : مكه وعلاقاتها الخارجيه ص ٥٤.

وحدها بل شمل مواقع آخرى من شبه الجزيرة العربية فقد ورد فى وثائق الجنيزة مايفيد وصول نشاطهم التجارى الى حلى يعقوب.(١) كما لم يتوقف نشاطهم على التجارة وحدها بل اشتغل قسم منهم بالزراعة ،ولخبرتهم فيها وتجاربهم السابقة فى بلادهم أفادوا كثيرا فأحدثوا المزارع والبساتين فى عين سليمان،(٢) ولايزال الى اليوم أسر منهم تعيش فى مكه المكرمه والمدينة.

****

(١) ربيع : وثائق الجنيره مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الاول ج ٢ ص ١٣٧.
(٢) ابن جبير، الرحلة ص ٩٩.

كان طعام العرب في الجزيرة غالبا قبل الاسلام يقتصر على الألبان وما يستخرج منها كالسمن والزبد والجبن وما يجنونه من محاصيل مزراعهم من التمر والحبوب مع لحوم ماشيتهم التي ينتقلون معها .

وقد تحدثت المصادر المعاصرة لهذه الفترة عن العناصر التي تتكون منها أطعمتهم وتختلف هذه الأطعمة من مكان لآخر حسب طبيعة المكان ونوع المحاصيل التي تنبت في أرضه أو قريبا منه وتجلب اليه ، وكذا أنواع المراعي التي تعيش عليها الحيوانات وتلائم ذلك الموقع .

ونذكر هنا من أطعمتهم الأرز الذي يطبخونه باللبن والسمن واللحم حيث يطهونه بطرق شتى مثل شيه على النار والحجارة المحمية وهو ما يعرف بالحنيذ أو طبه في ما وبعد رفعه منه يرشف رشفا ويجفف اللحم في الشمس بعد ملحه ثم يتناول يابسا أو مطبوخا ومنها ما يعرف بالخريزة وهو لحم غاب يؤخذ فيقطع قطعا صغيرة ثم يصب عليه ماء كثير وملح ويذر عليه الدقيق ويعصد به ، ثم يؤكل ، وعندهم اللحم الذي يعمل في المرق ويتناول مع خبز الرقاق ، ولديهم آلة تعرف بالسفود مصنوعة من الحديد ذات شعب ملتوية يشوى بها اللحم ، واشتهرت عندهم الهريسة كما اشتهر الثريد وهو الخبز الذي يفت ويبل بالمرق ويوضع فوق اللحم (١) ، وهي من الأكلات التي بقيت الى عهد قريب منتشرة في أقاليم شبه الجزيرة العربية .

كما اشتهرت عندهم الخبيطة وهي حلوى من غير سمن يخلط بعضها ببعض (٢)

---

(١) المخصص : ابن سيده . المجد ١ سفر (٥) ، ص ١٣٠٨،٣ .

(٢) الزبير بن بكار : جمهرة أنساب العرب ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .مطبعة المدني ١٣٨١هـ، القاهرة .

وأهل مكه يأكلون اللحم والسمن والخبز وفيها أسواق يباع فيه أنواع الأطعمة التي يأكلونها ففي سوق الصفا يباع الحبوب واللحم والسمن والعسل والفواكه المختلفة (١)، ويمتاز لحم الحجاز بلذاذة طعمه فيقول عنه ابن جبير (أما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب ، وقد وقع القطع من كل من تطوف على الآفاق وضرب على نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل على الدنيا ، وما ذاك والله أعلم الا لبركة مراعيها ، هذا على افراط سمنه ولو كان سواه من لحوم البلاد ينتهي ذلك المنتهى في السمن للفظته الأفواه زهما ولعافته وتجنبته ، والأمر بهذا في الضد كلما ازداد سمنا زادت النفوس فيه رغبة والنفس له قبولا فتجده هنيئا رخصا يذوب في الفم قبل أن يلاك مضغا ويسرع لخفته عن المعدة انهضاما) (٢) ويأكل أهل مكه أنواع الفواكه التي تردهم من الطائف كالتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ والأترج والجوز والبطيخ وأنواع من الخضار هي القثاء والخيار والباذنجان واليقطين والسلجم والجزر والكرنب (٣)، ولم تورد المصادر الطريقة التي كانوا يتبعونها في اعداد هذه الخضروات ، ويعدون من الدقيق الخبز ولا يأكلون في اليوم الا مرة واحدة

---

(١) تاريخ المستبصر ص ٦ .

(٢) الرحلة ٩٨ ، ٩٩.

(٣) ابن جبير : المصدر السابق ص٩٧،٩٨ . ابن بطوطة : الرحلة ص ١٥١ .

ويقتصرون عليها فاذا احتاج أحدهم خلال اليوم الى الأكل فانه يأكل الرطب والتمر (١) ويصنع أهل مكة أنواعا من الحلوى يستخرجونها من السكر والعسل المقشود على صفات شتى يحاكون بها جميع أنواع الفواكه الرطبة واليابسة (٢)، وهذا يدل على قدرتهم فى صنع أنواع الأطعمة ورغبتهم فى تناول هذا النوع من الطعام وهو الحلوى وغالبا تعد للمناسبات فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان (٣)،وعندهم اللبن وهو فى نهاية الطيب ويصنع منه السمن ويرد أسواق مكة أنواع الزبيب الأسود والأحمر واللوز وقصب السكر،ولها استخداماتها المختلفه لديهم (٤).

وأهل الطائف يشابهون أهل مكة فى مطعمهم ومشربهم وذلك لأن أنواع الأطعمة التى فى مكة واردة من الطائف من حبوب ،وخضار وفاكهة وتمر،بالاضافة الى ذلك فان قصر المسافة بين المدينتين قد أدى الى كثرة تنقل أهالى البلدين فيمابينهما (٥)

أما أهل المدينة فعماد معاشهم التمر لكثرة النخيل فى بلادهم وكذا الحبوب التى تردهم ،وأنواع الفواكه والخضار التى يجلبها أهالى القرى والأرياف القريبة منهم (٦)، ويظهر أنه لايوجد اختلاف فى أنواع الأطعمة التى يأكلها أهالى القرى والريف فى الحجاز عما يأكله أهل المدن ،حيث أن معظم الأطعمة التى تصل الى المدن كالحبوب والتمر والفواكه والخضار هى من بلادهم.

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥١

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٩٨.

(٣) ابن جبير: المصدر السابق ص ٩٨.

(٤) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ٢٤٣.البكرى: معجم ما استعجم ج ٣ ص ٨٦٦.
السمهودى : وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٤٤.

(٥) ابن جبير: الرحلة ص ٩٩

(٦) السمهودى . المصدر السابق ج ١ ص ٥٤٤ .

اما أطعمة أهل البادية فامتازت ببساطتها وسبب ذلك اعتمادهم على ماتنتجه حيواناتهم من الألبان ومشتقاتها كالزبدة والأقط وغيره ،ومن أشهر الأطعمة عندهم التمر والزبدة واللبن (١) ، ومن الأطعمة لديهم الخلاص وهى تعمل من التمر والسويق المخلوط بالسمن ،كما أنهم يخلطون الأقط المطحون بالتمر والسمن ويأكلونه (٢) .

أما الصوفية وهم كثيرون فى الحرمين الشريفين فيحرمون أنفسهم الكثير من أطايب الطعام فلا يأكلون الفاكهة ولا اللحوم ويقتصرون فى أكلهم على الشعير وبعضهم يخلط السمن والأرز ويجعلها قطعا صغيرة ويأكل كل مرة قطعة منها (٣).

أما الشرب ،فأهل مكة يشربون من ماء زمزم أو من الماء الذى ينقل لهم من عرفة أو ما ينقله السقاؤون من الأحواض والصهاريج التى تملؤها الأمطار،ولحرارة الجو يبرد أهل مكة ماء زمزم بوضعه فى أزيار أعدت لهذا الغرض (٤) .

أما أهل المدينة فيشربون من الآبار المشهورة (٥)، وأهل السرين يشربون من الأمطار (٦)، واذا وجدت العيون فى بعض الأماكن يشرب أهلها منها لعذوبتها وهناك أنواع من المشروبات كالعسل واللبن والسويق (٧) وهو منتشر بين أهل الحجاز

---

(١) السمهودى : وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١٠٦٢.
(٢) السمهودى : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٠٦٢.
(٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٠٦،٢٠٩،٢١٠.
(٤) ابن جبير : الرحلة ص ١٢٧.
(٥) المراغى : تحقيق النصرة ص ١٧١-١٧٢.
(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٨٦.
(٧) ناصر خسرو: سفر نامه . ص ١٢٣ و١٣٣ . الادريسى . نزهة المشتاق ق ١ ص ١٤٣.

وفى خليص موقع يقصده الحجاج يشربون فيه السويق ويشربه الناس مخلوطا بالسكر والأمراء يملئون منه الأحواض ويسقونها الناس اعتقادا منهم بسنية ذلك العمر وأنه اتباع لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – .(١)

ومن الأشربة شراب الزبيب الذى ينقع فى الماء ثم يصفى ويشرب .(٢)

****

(١) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٢٩.
(٢) وكيع :أخبار القضاه ج ١ ص ١٦٦.

أمـا الألبسة فلقد أثرت حياة الفاطميين على الحجاز لاسيما أهل مكه ومـا جاورها أكثر مما أثرته حياة العباسيين عليهم ،ويعود ذلك لوقوع الحجاز تحـت النفوذ الفاطمى وقربها من موطنهم مصر،وماسببه ذلك من عمق العلاقة فى مختلف نواحى الحياة وكان حكام الفاطميين يدفعون لأهل الحجاز الخلع والأموال فالخليفة الفاطمـى يرسل كل سنة كسوة الكعبة وأجور الأمراء والخدم وحاشيتهم فى مكة والمدينة بالاضافـة الى المال والخيل والخلع التى تبعث فى السنة مرتين(١) ،ولذا وجد تشابه بين الحجاز ومصر من حيث اللباس الذى يلبسه الناس ،حيث يصل الى الحجاز أكثر مايحتاجه أهلها من النسيج والثياب وقد ازدهرت صناعة النسيج فى عهد الفاطميين بمصر وبلغ نظام الطراز مبلغـا عظيما واشتهرت أنواع خاصة من الثياب الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية والتـى كانت تصنع فى دمياط وتنيس ،ومن الملابس القلمونى(٢) والقرقبى الذى اشتهر بألوانـه اللامعة ،والنصفيه وتصنع من الحرير والقطن والديبقى الذى ينسب الى مدينـة دبيـق وبها تصنع الثياب المثقلة والعمائم الذهبية(٣) .

وكان عندهم دار مختصة بتفصيل ثياب الخليفة والأمراء والوزراء وغيرهم من ذوى المكانـة ،حيث كانت تخرج كسوة كاملة من العمامة الى السراويل فى الصيـف والشتـاء كما كانوا يخلعون على الأمراء والوزراء خلعا خاصة حتى أنه وجد ديوان لهذا الغرض

---

(١) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١١٠،١١١. السباعى : تاريخ مكه ص ٢١٥.
(٢) القلمونى : هو ذو الألوان البراقة التى تتلألأ اذا انكسرت عليها أشعة الشمس .
(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٧٧- ٢٢٦. الشيخ الأمين عوض الله . الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ص ٩٩. نشر دار المجمع العلمى بجده ١٣٩٩هـ.

عرف بديوان خزانة الكسوة[١] وكانت كسوتهم توشى بخيوط الذهب والفضة ،وكان منهـا مايصل خلعا وأعطيات فيلبسه الأمراء فى الحجاز وقد وصف ابن جبير حلة أمير الحجاز قائلا(حلة ذهب كأنها الجمر المتقد يسحب أذيالها وعلى رأسه عمامة شرب رقيقة ، سحابى اللون قد علا كورها على رأسه كأنها سحابة مركومة ،وهى مصفحة بالذهب وتحت الحلة خلعتان من الدبيقى المرسوم البديع الصنعة ٠)[٢] وهى صناعة مصرية ،وهذه الحلة لباس المناسبات ،أما لباس الأمراء المعتاد فهو الثوب الأبيض والعمائم البيض وربما يختلف لون العمامة بين وقت وآخر ويضاف الى هذا اللباس حسب الحاجة تقلد السيف وركوب الخيل[٣]

أما القضاة والفقهاء والخطباء فكانوا زمن الفاطميين يلبسون بدلة مذهبة أو حريرية تختلف فى قيمتها حسب درجة الموظف ومكانته كى يتميزوا عن غيرهم وتنفرد هذه الطبقة بلبس قطعة من القماش تعرف باسم طيلسان وبسببها يسمون ارباب الطيالس[٤] وحاكى القضاة والفقهاء الخطباء فى الحجاز اخوانهم فى مصر فكان خطيب المسجد الحرام يرتدى ثوبا أسود وعمامة سوداء وعليه طيلسان أسود[٥] أما الصوفية وهم كثيرون فكانوا يعمدون الى لبس الثياب المرقعة ومنهم من

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٧٢٠

(٢) الرحلة ص ١٢٦٠

(٣) الادريسى : نزهة المشتاق ق ١ ص ١٤١٠ ابن جبير المصدر السابق ص ٧٤٠
ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ١٤١٠

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٣٩٧ ، ٤٠٣، ٤٠٤٠

(٥) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٠٢٠

يلبس الصوف الخشن ،ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها كما كانوا يضعون فوطة على رؤوسهم ويفضلون اللون الأزرق على اللون الأبيض ،أما الزهاد فكانت ملابسهم خشنة وذات أشكال بسيطة ،واتخذوها من القماش الرخيص الثمن . وبعض الصوفية يضع مكان العمامة خرقة على رأسه ،ومنهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهدا فى الدنيا واذا أمكنه اتخذ آخر للجمعة والعيد.(١)

ومن الثياب الشائعة فى الحجاز ثوب خفيف من الكتان ،وثياب غليظة ،ومنها الموشى وهو كثير الألوان ومنها المطرف هو ثوب الحرير،ومنها القهوى وهى ثياب رقيقة النسيج غلاظ الخيوط . واللاده ثياب حرير ينسج بالصين .(٢)

وأما أغطية الرأس فأهمها العمامه ،وهى متنوعة بتنوع منزلة الناس الاجتماعية فكان لكل من الأمراء وكبار رجال الدولة والفقهاء وغيرهم عمائم خاصة متميزة أما القلنسوه فهى لباس مستدير مبطن من الداخل يوضع على الرأس فوق العمامة ويصنع من القماش أو الجلد وتختلف القلانس حسب الحاجة الى لبسها فبعضها للوقاية من الحر والبرد وبعضها لكمال اللباس أثناء الدخول على الأمراء.(٣)

أما الملابس الداخلية فكانت السراويل ومع أن اللفظة فارسية الا أنها تضاهى

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٨٧،١٩٢،١٩٣،١٩٤. صلاح العبيدى الملابس العربية الاسلامية ص ٢٧٥. نشر دار الرشيد. العراق ١٩٨٠م.

(٢) ابن سيده : المخصص . المجلد (١) سفر(٤)ص ٦٣،٦٤،٦٥،٦٦،٦٧،٦٨،٧٦،٧٢،٨٥ .

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٩ ،صبيحة رشيد وهناء عبدالجليل الملابس العربية ص ٤٨ بغداد عام ١٤٠١هـ .

المستخدم على مدار العصور الاسلامية وألوانها بيضاء.(١)

ومن الألبسة الخارجية الجبة وتلبس فوق القميص وهى أنواع فمنها المكفوفة الحواشى ومنها المحشوة المبطنة، وكانت تصنع من الحرير الغالى أو الخز أو القطن كل حسب حاله.(٢) ومن الألبسة الخارجية، الطيلسان وهو لباس الفقهاء والقضاة عند حضور مجالس الخلفاء، ومنها أيضا الملحفة وتكون عادة ملونة والأغلب أن تكون ألوانها صفراء أو حمراء وهى لاتلبس وحدها، بل تلبس مع الملابس الأخرى، وهى من لباس العامة والبدو، وكان أهل مكة يقايضون بها أهل السروات.(٣)

ومن الملابس الخارجية الملاءة والربطة ويشبهان الملحفة، حيث تتكونان من قطعة واحده وتكون بيضاء وطويلة.(٤)

أما ألبسة القدم فكانت النعال، ويلبسها الناس فى الصيف والشتاء ويعد من لايلبسها من ضعاف الناس فيقول التهامى عن نفسه:

(ما أنت فاعل الغداة بشاعر رث الثياب وحافى القدمين)(٥)

وهى أنواع فمنها "المعشرة، والمدهونة، والمحصر" ويلبس أهل الثراء النعال المرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة(٦)، ويلبسون اللاكه أو اللاجة وهى نوع من الأحذية يلبسها الرجال والنساء(٧)، وانتشر فى الحجاز النعل

---

(١) صلاح العبيدي، الملابس العربية الاسلامية ص ١٣٧.

(٢) صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل . الملابس العربية ص ٤٨. صلاح العبيدى الملابس العربية الاسلامية ص ١٩٧.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ١١١. صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل المرجع السابق ص ٦٦

(٤) البلاذرى: أنساب الاشراف ج ٤ ص ١٢. صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل المرجع السابق ص ٦٠، ٦٦، ٦٧.

(٥) التهامى : ديوان شعره ص ٥٥٦. تحقيق محمد الربيع ط . الرياض(وهومعاصرلفترة البحث ت٤١٦هـ)

(٦) صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل: المرجع السابق ص ٧٢.

(٧) ابن الجوزى: ذم الهوى ص ٨٩. تحقيق مصطفى عبدالواحد ط ١٣٨١هـ.

الطائفى وكان عالى الجودة رفيع القيمة يضرب به المثل ،ويصنع من جلود الحيوانات (١) وأهم مايميز ملابس النساء عن ملابس الرجال كثرة الألوان والنقوش مع اختلافها حسب أذواق النساء وأوضاعهن الاجتماعية والمالية ،فالنساء ذوات المكانة الاجتماعية والمال الكثير لايلبسن من الثياب الأصفر والأسود والأخضر والوردى والأحمر الا ما كان جنسه الصفرة والتزريق والخضرة والتوريد والحمرة مثلا اللاذ وهو نوع جيد من الحرير والقز والديباج والخز (٢).

وقد تأثرت حياة أهل الحجاز بحياة الفاطميين فى مصر بسبب العلاقة التى تربط بينهما وقد كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح فضلا عما كانت مصر تتمع به آنذاك من ازدهار صناعة النسيج . وكانت ملابس نساء القصر فى مصر الحلل المذهبة التى يصل عددها الى خمس عشرة قطعة وأخرى مطرزة ويبلغ عددها اربع عشرة قطعة (٣)، ولباس عامة النساء الحرير والابريش (٤)، وربما انتقل هذا النوع من اللباس الى الحجاز نتيجة هذا التأثير وتذكر المصادر وجود أنواع من الحرير والكتان تلبسها نساء الحجاز،كما يلبسن المرط (٥) وفي ذلك يقول الشاعر:

ليبن لبسهن مروط الخسروانى أنه   يباشر منها كالحرير حريرها (٦)

---

(١) الادريسى : نزهة المشتاق ق ٢ ص ١٤٤- ١٤٥.
(٢) صبحه رشيد وهناء عبدالجليل : الملابس العربية ص ٢٣- ٢٤.
(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤١٤- ٤١٥.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٣١.
(٥) المرط كل ثوب غير مخيط . ابن منظور، اللسان ج ٦ ص ٤١٨٣.
(٦) التهامى : ديوان شعر ص ٢٨١.

وللعرائس لباس خاص وفى ذلك يقول التهامى :

(يزين دم الأبطال أكناف درعه   كما زان أثواب العروس عبيرها.)(١)

أما عامة الناس فكانت نساؤهم يلبسن المدرعة وهى نوع من أنواع الجبب وتكون من الصوف بصورة خاصة ومشقوقة المقدم(٢)، وكانت العادة فى لباس النساء الخارجى فى ذلك الوقت الرداء والازرار والسراويلات البيض المذيلة والربطة ،وكن يعقدن فى طرف الازار زُنّارا أو خيط أبريسم يوضع على الرأس يشبت الازار،كما يلبسن النطاق وهو أن تأخذ المرأة ثوبا فتلبسه ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى الى الأسفل(٣)

أما ملابس الرأس فكانت المقانع والخمار والعصابة والبراقع وتكون ألوانها سوداء كما يلبس البخنق وهو خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها وتحيط طرفها تحت حنكها(٤)

أما النقاب فهو غطاء للوجه من القماش بطول ذراع أو أكثر وعرضه أقل من ذلك ويوضع شطر منه فوق الرأس وتحت الازار ويتدلى سائره من الامام حتى الوسط ويغطى الوجه كاملا ويصنع عادة من الحرير ويزركش بالذهب أحيانا.(٥)

وعن النقاب يقول التهامى :

اذا انتقبت أغنى النواظر وجهها   ضياء واشراقا فكيف ستورها(٦)

---

(١) التهامى : ديوان شعره ص ٢٨٥.
(٢) ابن سيده : المخصص مجلد (١) سفر ٤ ص ٣٥.
(٣) ابن سيده : المصدر السابق ص ٣٧.
(٤) ابن سيده : المصدر السابق (١) سفر(٤) ص ٣٧،٣٨. ابن المجاور . تاريخ المستبصر ص ٦.
(٥) صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل: الملابس العربية ص ٤٣. صلاح العبيدى الملابس العربية الاسلامية فى العصر العباسى ص ٦٤.
(٦) التهامى . ديوان شعره ص ٢٨١.

اما الخمار فهو الحجاب أو القناع وهو برقع المرأة ويغطى مقدمه العنق ويستر الذقن والفم ويكون معلقا بقمة الرأس ،وهو ما كان يقايفه أهل مكه لاهل السروات الذين يجلبون محاصيلهم الزراعية اليها[(١)]، والعصابة هى طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون حاشيتها حمراء أو صفراء وهى تطوى بصورة منحرفة ثم يلف بها الرأس وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة[(٢)].

وتلبس المرأة على رأسها خرقة تحمى بها خمارها من أن يمسه دهن رأسها. وعند النساء لباس خاص بالمنزل يعرف بانسبحة لايستر جميع أجزاء الجسد ولعل ذلك ليسهل لها الحركة داخل منزلها[(٣)].

وكانت طريقة صف الشعر لدى النساء ،أن يتدلى الشعر على الصدغين ومنها ان يقسم الشعر الى اربع خصال على الصدر وتأخذ المقدمه فى بعض الاحيان اشكال مختلفة كما أن التصفيفات التي كانت شائعة آنذاك طويلة وعلى هيئة ضفائر[(٤)].

أما الأصباغ المستعملة فمن أشهرها الحناء[(٥)] وكان عاما لجميع النساء كما استعملت أصباغ للخدود،وأصباغ للشفاه ،كما كان يستخدم الشناذر وهو مادة مستخرجه من نبات أحمر فى تخضيب رؤوس الاصابع[(٦)] ، وتستخدم الدهون للحفاظ على البشرة والشعر

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١١١. صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل. الملابس العربيه ص ٤٣،٤٤
(٢) صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل : الملابس العربية ص ٤٣،٤٤.
(٣) ابن سيده : المخصص مجلد (١) سفر(٤) ص ٣٦،٣٨ .
(٤) زكيه : التزيق والحلى فى العصر العباسى ص ٥٢،٥٣،٥٥ نشر وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧٦م.
(٥) ابن الحوزى : المنتظم جـ ٨ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
(٦) ابن الجوزى : أخبار الظراف ص ١٠٠.

ومنها دهـــن الورد ودهـــن الياسميـــن ودهـن اللبان [1] ، ووجود ســـوق خـــاص بالعطاريـــن بمكة يعنى مدى العناية من نساء مكة بهذا الأمر [2] وقد اشتهرت نساء مكه بالحرص على الطيب وتقديمه على قوتها [3].

والحلى من ضروب الزينة التى عرفت المرأة استعمالها منذ أقدم العصور ، بـــل وأصبحت من مهام الزينة عندها ،ومن الحلى المعروفة فى ذلك العصر النظم والتيجـــان والعصائب والزنانير والأمشاط ،وهى حلى الشعر والرأس . والنظم هو مايزين الضفائـــر والجبيـــن ،أما التاج فهـو شبـه عصابـة مكللـــة بالجواهـــر ويصـــاغ مـــن الذهـب والجواهر ،ومن أنواع التيجـــان ماهو على شكل طير،ويتميز بعض التيجـــان بوجود بروازين جانبيين مدببين تقريبا بالاضافة الى بـــروز فى وسطه والخـــارج منه زخارف شبه كتابيه ،والعصابة عبارة عن شريط منفرد أو مايسمى بنظـــــام اللألىء والخرز الصغير وتحيط بالقسم العلوى من الرأس ،أما الزنانير فهى نوعيـــــن زنار يعقد بطرف الازار وخيط الابريسم يثبت به الازار ويمنعه من التخلل ،والنـــوع الثانى زنار يشد فى الطرف ويزين بالكتابات المختلفه .

ومن الحلى المنتشرة فى الحجاز الأقراط ،ويمثل بعضها حلقتين متواصلتين ،حلقة صغيرة تثبت فى الأذن مباشرة وأخرى أكبر منها مرصعة بما يشبه الأحجار كما تأخذ أشكالا مختلفه كأن تكون نصف دائرة كمـــا عـنـد الفاطميين [5] .

---

(١) زكيه العلى: التزيق والحلى فى العصر العباسى ص ٦٢،٦٤ .
(٢) ناصر خسرو: سرنامه ص ١٢٣
(٣) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٤٥.
(٤) زكيه العلى : المرجع السابق ص ١١١،١١٣،١١٦،١٢٦،١٣٥.
(٥) ابن سيدة : المخصص مجلد (١) سفر(٤) ص ٤٣،٤٤.،زكيه : التزيق والحلى عنـــد المرأة فى العصر العباسى ص ١٤٠ ،١٤١،١٤٧.

أما مايوضع على العنق فهو أنواع ، ومنها:

١) المخنقة ، قلادة خفيفة ملتصقة بالرقبة التصاقا وتعمل من الكافور المقطور والقرنفل ومن الأحجار الكريمة.(١)

٢) الأطواق وهى حلقة مستديرة تحيط بالعنق وقدام الطوق شريط معدنى ترتبط به أحجار كريمة متجاورة .(٢)

٣) العقود وهو خيط ينظم فيه اللؤلوء والخرز ويعقد حول الرقبة ومنها أيضا ما يوضع على هيئة خيط أو سلسلة تتدلى منه حلقة واحدة.(٣)

٤) الوشاح وهو عبارة عن نظمان من اللؤلوء والجوهر مخالف بينهما ومعطوف أحدهما على الآخر وكان يصنع من أديم عريض يرصع بالجوهر فتشده المرأة بين عاتقها وكمها .(٤)

---

(١) زكية العلى : التزيق والحلي ص ١٥٦.

(٢) ابن سيده : المخصص ص ٤٤. زكيه العلى : المرجع السابق ص ١٥٧.

(٣) ابن سيده : المصدر السابق ص ٤٤. زكيه العلى المرجع السابق ص ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥.

(٤) ابن سيده : المصدر السابق ص ٤٥ زكيه العلي المرجع السابق ١٧٣. المرجع السابق ص ١٧٣.

اما حلى اليدين فمنها :ـ

١) الخواتم وتزين بالفصوص وتأخذ أشكالا عدة وتزين بالذهب والفضة والأحجار الكريمة .(١)

(٢) الأسورة ومنها الأسورة المفصصة وفيها أقفال تربط بها على اليد، ومنها أنواع تصنع من الزجاج وهى أسورة حلى المعصم المعروفة التى تحلت بها المرأة العربية منذ القدم .(٢)

وهناك نوع يلبس فى الرجلين يسمى الخلخال وفيه يقول الشاعر:

ربانة الخلخال ظامية الحشا ..(٣)

ويستعمل الإثمد فى كحل العين وهو حجر أسود يسحق قبل استعماله .

وفى ذلك يقول التهامى :

ولارأينا بعينى دهرنا ترها   وأنتما فى مآقيه من الكحل(٤)

ومن الطيب الذى كان يستخدم المسك والعود والكافور(٥) ، ومن الزينة عندهم الوشم وهو ماتجعله المرأة على ذراعها بالابرة ثم تحشوه بالنويرة وهى دهان الشحم .(٦)

---

(١) زكيه العلى : التزيق والحلي ص ٧٧.

(٢) زكيه العلى : المرجع السابق ص ١٨٣، ص ١٨٦، ص ١٨٧.

(٣) التهامى : ديوان شعره ص ٥٥٤.

(٤) التهامى : ديوان شعره ص ٤٥٩.

(٥) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٤٩.

(٦) ابن سيده : المخصص مجلد (١) سفر ٤ ص ٥٧. زكيه العلي : التزيق والحلي عند المرأة ص ٥٨ ، ٧٩، ٨٠ ، ٨١، ٨٢

يحتفل أهل الحجاز كغيرهم من المسلمين فى عيدى رمضان والاضحى ،وكانت عادتهم فى عيد رمضان أن توقد المشاعل ليلة العيد وتضاء المصابيح والشمع والسرج فى المآذن من جميع جهاتها ويوقد سطح الحرم كله ويلبس الناس أثواب العيد الجديدة بعد صلاة الفجر ثم يتوجهون الى المسجد الحرام لأخذ أماكنهم فيه حيث تقام صلاة العيد ويقوم سدنة البيت بفتح الكعبة ويدخلون فيها الا زعيمهم فانه يجلس عند العتبة فاذا وصل أمير مكة استقبلوه ثم يطوف بالبيت والناس جلوس فى الحرم ويرف المؤذنون أصواتهم بالثناء على الأمير والدعاء له يتناوبون على ذلك ،فاذا أكمل طوافه جلس وحاشيته مقابل الحجر الأسود ثم يعود الشيبيون الى أماكنهم فاذا حان وقت صلاة العيد أقبل القاضى يتهادى بين رابتين سوداوتين فيصعد المنبر ثم يخطبهم خطبة بليغة والمؤذنون قعود دونه فعند افتتاحه فصول الخطبة بالتكبير يكبرون بتكبيره الى أن يفرغ من خطبته فاذا انتهى من خطبته أقبل الناس بعضهم على بعض بالمصافحة والتسليم والتفاخر والدعاء مسرورين فرحين بما آتهم الله من فضله ثم يدخلون الكعبة أفواجا ويخرجون منها ثم ينصرف الناس من المسجد الى زيارة المقابر للسلام على الموتى (١) ،وفى عيد الأضحى تختلف الحال حيث ينشغل الناس بالحج والخروج الى مشاعره منى وعرفات ٠

وعلاوة على الاحتفال بعيدى المسلمين الفطر والأضحى عرفت مدن الحجاز وبالدات مكة

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٣٥ ٠ ابن بطوطه : الرحلة ص ١٦٣٠

والمدينـــة أعيـاداً جديدة وقد ابتدع أكثرها فى هذه الفتـرة موضوع البحث)

وهذه الأعيـاد والمواسم الغير مشروعة انتقلت اليهم من الفـاطميين الذين كانـــوا يحتفلـون بـهـا نـتيجة لادعـائهم التشيع لآل البيت ،وقد بـلـغ عددها أكثر من عشرين عيدا وموسما وكان بعضها يحظى بعنـاية خاصة لـديهم ،ومنهـا أول العـام الهجرى وأول شهـــر رمضان والجمع الثلاث الأخيرة من رمضان (١)، ومن المواسم ما يسمى ليالـــى الوقـــــود وهى التى تسبق أول منتصف شهرى رجب وشعبـان وكـان النـاس تبعـا لتعاليم الشيعــــــة يصومون هذين الشهرين كصومهم رمضان ويحتفلـون بهذه الأيام كمـا يحتفلـون برمضـــان (٢) وانتقلت عدوى ذلك الى بلاد الحجاز فأصبحوا يحتفلون بمقدمها ويعدون مايستطيعـــون لذلك حتى أنهـا أصبحت تضاهى الأعيـاد المشروعة لـديهم ،فيقول ابن جبير عــــــن حفاوتهم بشهر رجب (هذا الشهر المبارك عند اهل مكة موسم من المواسم المعظمـــة وهو أكبر أعيادهم ولم يزالوا على ذلك قديمـا وحديثـا يتوارثونه خلفـا عن ســـلـف متصلا ميراث ذلك الى الجاهلية لأنهم كانوا يسمونه منصل الأسنه) (٣) ومن احتفالاتهــم بهذا الشهر أداء العمرة فيه وتساوى عندهم كما يقول ابن جبير الوقفة العرفيـــــة فيستعدون لهذه العمرة آخر أيام شهر جمادى الأخرة وذلك بلبسهم أحســـن الثيـــاب من الحريـــر والكتان ويتعاونون كل حسب قدرته واستطاعته كما يعدون جمالهـــــم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشـــى ج ٣ ص ٥٠٥.
(٢) القلقشندى : المصدر السابق ج ٣ ص ٤٩٥،٥٠٥،٥٠٨.
(٣) الرحلة ص ١١٣.

بالهوادج حيث يتنقلون بها مع نسائهم الى التنعيم ويبذلون فى ذلك مايستطيعون ويقول عن ذلك ابن جبير: (وأغرب ماشاهدته أذيال سترة كانت تنسحب على الأرض انسحابا من هوادج حرم الأمير قواده)(١) ويخرج فى هذا اليوم أهل مكة والمجاورون لها وتتكرر العمرة خلال هذا الشهر أعنى شهر رجب الى اليوم الخامس عشر منه ويصل فيها الأمر ما وصل فى أول يوم فيه وكذا السابع والعشرين فيقيمون احتفالا عظيما على غرار ماحدث فى اليوم الأول ويسمون عمرة ذلك اليوم عمره الأكمة لأنهم يخرجون من أكمة أمام مسجد عائشة - رضى الله عنها - والأصل عندهم فى هذا الأمر أن عبدالله بن الزبير - رضى الله عنه - لما فرغ من بناء الكعبة ،خرج ماشيا حافيا معتمرا وأهل مكة معه ،فانتهى الى تلك الأكمة فأحرم منها وكان ذلك فى اليوم السابق والعشرين من رجب ويقولون ان عبدالله بن الزبير أهدى فيه كذا بعيرا فيعتمر أشراف مكة وذوى الاستطاعة ويضحون أياما يطعمون ويطعمون.(٢) ويفرد اليوم التاسع والعشرين للنساء ويجتمع جميع نساء مكة فى المسجد وتفتح لهن الكعبة فيطفن عليها ويدخلن الى داخلها.(٣)

ويخرج الناس الى التنعيم ليلا فتسد الطرق من الزحام وتشعل الشموع لتنير الطريق للابل ثم يعود الجميع الى مكة بعد الاحرام ويقضون عمرتهم وفى صبيحة اليوم الأول منه يخرج أهل البلد جميعا متقلدين أسلحتهم فرسانا

(١) الرحلة : ص ١١٤.
(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١١٥. ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٣.
(٣) ابن جبير: المرجع السابق ص ١١٥،١١٦.

وراجلة فالفرسان يخرجون بخيلهم ويلعبون بالاسلحة عليها والراجلة يتواثبون ويتغالبون بالأسلحة التى فى أيديهم من الحراب والسيوف والتروس ،ثم يخرج الأمير مع قواده وأبنائه والرايات تخفق أمامه والطبول والدبادب بين يديه والناس ثم يحرم ويعود الى المسجد الحرام ويؤدى عمرته والمؤذن يرفع صوته بالدعاء له والتهنئة بالموسم والثناء عليه ثم يؤدى عمرته وينصرف[(١)] (وتستمر العمرة لليوم الثانى ويلاقى الرجال بعضهم بعضا يتصافحون ويتهادون الدعاء والتغافر بينهم والنساء كذلك ،والكل يلبس أفخر ثيابه ويعتبر هذا الموسم عيدا له ،يحتفلون ويتباهون ويتنافسون ويعظمون فتنشط أسواقهم وتجارتهم فيه ويعدون له اشهرا[(٢)]

ومن البدع الموسميه لديهم التى يحتفلون بها اعتقاد زيادة ماء زمزم فيجتمع الصبيه حول زمزم (وينادون بلسان واحد هللوا وكبروا ياعباد الله فيهلل الناس ويكبرون وهم يتزاحمون حول زمزم ويقطعون قطعا جهليا أن ماء زمزم يفيض ليلة النصف من شعبان فيصب السقاة الماء على رؤوس الناس وهم يبكون والنساء تتفاعل معهم بالبكاء والدعاء ،والصبيان يصيحون بالتهليل والتكبير[(٣)]) كما أن لديهم أعتقاد فى ليلة النصف من شعبان فيبادرون فيها الى أعمال البر من العمرة والطواف والصلاة فرادى وجماعة فينقسمون فى ذلك أقساما يبسطون الحصر ويضيئون الشموع ويسرجون المصابيح فيصلون جماعات الى مايصل الى مائه ركعه[(٤)].

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٦ ،١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ .

(٢) ابن جبير: المصدر السابق ص ١١٣.

(٣) ابن جبير: المصدر السابق ص ١١٨.

(٤) ابن جبير: المصدر السابق ص ١١٩، ١٢٠. ابن بطوطه : الرحلة ص ١٦٥.

ومنها الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك ولكنه يختلف عن شهر رجب ويقتصرفى رمضان على تجديد الحصر وتكثير الشمع حتى يتلألأالحرم نورا ثم يقوم الأئمة حسب مذاهبهم لأداء صلاة التراويح (١) ويقيمون احتفالا بليلة سبع وعشرين ويستعدون لذلك قبلها بيومين أو ثلاثة وذلك بالعمل على اضاءة الحرم الشريف (فيضعون قناديل تتدلى من جوانب ألواح خشب تنصب فى جوانب الحرم كبيرة وصغيرة وتتخللها أشباه الأطباق المبسوطة من الصفر وقد انتظم كل طبق منها بثلاث سلاسل ثقلها فى الهواء،وخرقت كلها ثقبا ووضعت فيها الزجاجات ذوات الأنابيب من أسفل الأطباق الصفرية لا يزيد منها أنبوب على أنبوب و . أوقدت فيها المصابيح فجاءت كأنها موائد ذوات أرجل كثيرة تشتعل نورا) (٢) ومن فرط العناية بهذه الليلة أنهم يضعون صبيه بشرفات الحرم بيد كل منهم كرة من الخرق المشبعة بالزيت ويجعلونها تتقد فى رؤوس الشرفات والصبية تتعالى أصواتهم يارب يارب على لسان واحد فيرتج الحرم لأصواتهم . (٣)

ومن المواسم التى يحتفل بها أهل مكه يوم عاشورا (٤) وهو يوم يصومه جميع المسلمين فقد روى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما هاجر الى المدينة رأى اليهود والنصارى يصومون هذا اليوم فسألهم عنه فأخبروه أنه اليوم الذى أغرق الله فيه فرعون وآله وأنجا فيه موسى ومن معه فقال – صلى الله عليه وسلم – نحن أحق بموسى منهم فصامه وأمر الناس بصيامه ،وسارالخلفاء الراشدون على هذا النهج حتى وافق ذلك اليوم مقتل الحسين بن على – رضى الله عنهما – فى كربلا سنه ٦١ هـ فعظم الشيعه

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٢٢٢.

(٢) ابن جبير: المصدر السابق ص ١٣٠ .

(٣) ابن جبير: المصدر السابق ص ١٣١.

(٤) الطبرى : الأرج المسكى ص ٢٢١ تحقيق عبدالله الطاسان .

ذلك اليوم ثم لما جاءت الدولة الفاطمية جعلوه عيدا من أعيادهم يخرج الناس فيه الى الشوارع بعد الصلاة ينوحون ويبكون كما تغلق الحوانيت فى ذلك اليوم وتتعطل الأسواق فيه .(١)

ومن المواسم التى يحتفل بها الناس فى ذلك الوقت مولد النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد جرت العادة فى مكة أن يجتمع القضاة والأعيان والفقهاء والفضلاء وذوى النفوذ وتوقد بالحرم الشريف الفوانيس والشموع الكثيرة ويزدحم الناس فى ذلك اليوم.(٢)

وهذه المواسم والأعياد التى وضعها الفاطميون وقلدهم فيها أهل الحجاز لا أساس لها من الدين فزعمهم أفضلية شهر رجب لا أساس له ،فالذى ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه كان اذا دخل رجب قال : اللهم بارك لنا فى شهرى رجب وشعبان وبلغنا رمضان ويقول شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله -(وماقيل فيه من أحاديث يستند اليها من يعظم هذا الشهر لاتعدو الكذب وافراده بالصوم من بين الشهور مكروه. أما اذا ارتبط بغيره قبله أو بعده ،فلا بأس عند ذلك) أما ليلة النصف من شعبان فقد ذكر الامام ابن تيميه - رحمه الله- أنها ليلة مفضلة وأن من السلف من كان يعظمها بالصلاة ومازاد على ذلك مما يفعل فيها ،فلا أصل له ،أما صيام النصف مفردا فلا أصل له بل هو فى حكم المكروه ،وكذلك اتخاذه موسما تصنع فيه الأطعمة وتظهر فيه الزينة ،وما أحدث فيه ليلة النصف من الاجماع للصلاة فالصلاة

(١) المقريزى الخطط ح ١ ص ٤٣١. ابراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٥٣-٦٥٤. ط الرابعة ١٩٨١م
(٢) الطبرى : الارج المسكى ص ٢٢١.

النافلة لم تحدد بوقت ولامكان وكذا مايدعى من التحديد والتعدد للقراءة فتكروه لم يشرع[1] .

(١) ابن تيميه : اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

يتم الزواج فى بلاد الحجاز كغيرها من البلاد الأخرى عن طريق الخطوبة فيتقدم الزوج الى والد من يريد خطبتها ويطلبها منه ويسبق ذلك مقدمات البحث من قبل الزوج، لاختيار الزوجة التى تناسبه من بين نساء البلد وعرفت الخاطبات فى المجتمع الحجازى منذ القدم .(١)

وقد أوضح الشارع الحكيم المهر للزوجة ولكنه لم يحدد مقداره ،ولهذا فهو مختلف من عصر الى عصر،ومن بلد الى آخر حسب طبيعة أحواله وقدراته الماديه، وفى الحجاز وبالذات فى مكة والمدينة لايولون القبيلة أو العنصر البشرى اهتمامهم أثناء الزواج فيخطبون ممن يتواءم معهم من الوافدين أو غيرهم من المجاورين والمقيمين فيتزوجون منهم ويزوجونهم ،ولهذا جاءت صفاتهم الخلقية خليط من عدد من الأجناس المختلفة فيظهر أثر الافريقى والآسيوى وغيرهم على تقاسيم وجوههم وبشرتهم.(٢)

وكان من عادتهم فى مكة كما يذكر ابن المجاور أن تتم الخطبة فى عشر ذى الحجة ويتم دخول الزوج على زوجته فى العاشر من محرم ويقام بهذه المناسبة الأفراح من ضرب الدف وإعداد الولائم للناس،وجرت العادة لدى أهل مكة أن الرجل اذا خطب ودفع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب يديه ورجليه بالحناء تزينا لهذه المناسبة السعيدة له ،ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب ومعهم هدايا يقدمونها للعروس بهذه المناسبة ،كل على قدر حاله وسعة يده حتى النساء يفعلن ذلك ويذهب الزوج فى هذه الأثناء الى الحرم ويطوف سبعا ويصلى خلف المقام ويقبل الحجر الأسود ويحمل معه شمعا

---

(١) السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية ص ٣٠٣.

(٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٥.

الى بيت عروسه فيدخل عندها ويبقى سبعة أيام وفى اليوم السابع يخرج ويجمع ماطرح له من الهدايا والدراهم التى قدمت له ويصبح ذلك رأس مال له فيفتح له محلا تجاريا يعيش عليه ،وهذه الهدايا التى قدمت له وكذا الدراهم تصبح كالدين عليه ، يذهب فى كل مناسبة لمن حضر له فى عرسه ودفع له فيرد مقابل ذلك الدفع[(١)] .

وكما أسلفنا ان فئة من سكان مكة والمدينة من المجاورين وغالبيتهم من الصوفية ، فهم ينقطعون عن الزواج ويرون أنه تشاغلا عن طاعة الله- عز وجل - ويميل بالانسان الى الدنيا ويصرفه عن الآخرة فتركه قسم كبير منهم ،ولهم فى ذلك مقالات ، ومنها (من تعود اتخاذ النساء لايفلح) وقولهم(من تزوج ركن الى الدنيا) ويقول سليمان الدارنى أحد المتصوفة (مارأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على رتبته) ويقول الجنيد(أحب للمريد المبتدى أن لايشغل قلبه بالتزوج)[(٢)] وغير ذلك كثير من مقالاتهم فى هذا الشأن .

وهذا العمل مخالف لهدى الاسلام فقد قال الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)[(٣)] وقوله عليه الصلاة والسلام (النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) ولم يثبت أن أحدا من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم-أو التابعين ترك الزواج ليتفرغ للعبادة ،ولكنها

---

(١) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٦ ،٧ .

(٢) احسان الهى ظهر: التصوف ص ٥٦ . نشر ادارة ترجمان السنة . لاهور باكستان عام ١٤٠٦هـ .

(٣) سورة الروم آية (٢١)

البدع التى استحدثها المتصوفة على تعاليم الدين الحنيف .(١)

أما الطلاق فهدى الشريعة واضح فيه للمسلمين جميعا من حيث عدد الطلقات و الخلع أو المتاع بالمعروف كما قال تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين) وغير ذلك،(٢) ولم تذكر المصادر التى بين أيدينا عن طريقة لهم خاصة فى ذلك .

****

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٩٣ ، ٢٩٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٤١ .

يحرص كثير من الناس على الموت في مكة والمدينة حتى يدفن بها ، ومنهم من يوصي أن تنقل جثته اليها بعد مماته ، ولذلك يفضل كثير من الناس أن يقضي بقية حياته في أحد اهما تائبا راجعا منيبا الى ربه ، وممن أوصى بنقله بعد الموت الى بلاد الحجاز جمال الدين الاصبهاني ، والذي كان له أعمال كبيرة وصدقات كثيرة على أهل الحرمين ، فقد ساهم في بناء وتجديد الجرمين الشريفين ، وقد نقل بعد وفاته في تابوت من الموصل الى مكة فخرج له باكين عليه لما يصلهم من كثرة بره فحمل على أعناق الرجال وطيف به حول الكعبة ثم حمل الى المدينة فدفن فيها سنة ٥٥٩هـ في رباط بناه شرقي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .(١)

وقضى الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين(٢) بن عبد الله بعد عزله عن الوزارة في في عهد الخليفة المقتدي بقية حياته مجاورا في مكة ومات سنة ٤٨٨هـ ودفن بها.(٣)

---

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٣٧ ،١٣٨ بيروت نشر دار الجيل

(٢) أبو شجاع الوزير محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان الى العلماء والفقهاء ، وقد تولى الوزارة في عهد الخليفة المقتدى وكان كثير التواصل على الناس خاصتهم وعامتهم ثم عزل عن الوزارة وسار الى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض وتوفي بها سنة ٤٨٨هـ . ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥١ .

كما قضت زمرد خاتون أخت الملك دقماق بن تتشي لأمه بقية حياتها بمكة مجاورة (٤) ثم انتقلت الى المدينة وماتت بها ودفنت بالبقيع سنة ٥٥٧هـ (٥) . وكان أحمد بن علي العلوي قد توفي سنة ٥٠٢ هـ بعرفة محرما فغسل وكفن وطيف به حول البيت (٦) ثم دفن الى جانب الفضيل بن عياض (٧) .

ومما سبق يتضح حرص الناس على دفن رفاتهم جوار الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كما يتضح وجود عرف لدى أهل مكة وهو الطواف بذي

---

(٤) زمرد خاتون بنت جاولي أخت الملك دقماق وهي زوجة الملك بودي بن طغتكين وكانت قارئة للقرآن سامعة للحديث تحب العلماء الصالحين تزوجها الاتابكي زنكي صاحب حلب طمعا في أن يأخذ دمشق فلم تظفر وسارت الى الحجاز وجاورت بمكة ثم انتقلت الى المدينة وتوفيت فيها سنة ٧٥٧هـ ، ابن كثير البداية والنهاية ط١ ص٢٤٥،٢٤٦

(٥) ابن كثير : المرجع السابق ج ١٢ ص ٢٤٦ .

(٦) أحمد بن علي بن أحمد العلوي حرفي يعمل في نقش الحيطان له أملاك يتقوت بها سمع الحديث والفقه من القاضي أبي يعلى حج سنة ٥٠٣ فتوفى في مكة ودفن بها ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧١ .

(٧) ابن كثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ١٧١ .

المكانة حول الكعبة قبل دفنه ، ويكفن الموتى بقطع قماش بيضاء ويرسل أهل الاحسان ما يحتاجه الفقراء من هذه القطع الى مكة المكرمة ليكفنوا بها بعد وفاتهم (١) .

ولدى أهل الطائف عادة عند دفن موتاهم حيث يحمل الشباب جنازته ويقولون سلم سلمك الله هذا ماوعد الله نعم القاضي وهم يتداولون النعش الى المقبرة ثم يحفرون القبر ويدفنون الميت (٢) ولاشك ان هذا مخالف لهدى النبي - صلى الله عليه وسلم فالموقف موقف مصيبة حلت بقوم فالاولى الخضوع لله والرضى بقدره والتسليم له وتذكر هول الموقف وليست أهازيج حتى وان كانت تعنى بحال الميت ، ونتيجة للجهل بالدين وظهور الفرق التى ضلت بنفسها وأضلت الناس معها فقد كثرت البدع لدى سكان الحجاز فى هذه الفترة ومابعدها ونشطت الفرق الصوفيه والفرق الموالية للمذهب الفاطمى من الشيعة لنشرها بين الناس ،فظهرت مخالفات كثيرة منها البناء على القبور ففى مقبرة مكة التى خارج المعلاة حيث دفن كثير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الصالحين بنى عليها شواهد ،ومن ذلك ماوضع على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وعلى قبر أبى جعفر المنصور وفى البقيع بالمدينة المنورة نصبت القباب على قبور كل من ، ابراهيم بن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعباس بن عبدالمطلب وعثمان بن عفان والحسن بن على - رضى الله عنهم - ومالك بن أنس - رحمه الله - (٣) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٠٤ .
(٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٢٥ .
(٣) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٤٢ .

وقد بقيت هذه القباب على القبور حتى دخل آل سعود مكة المكرمة سنه ١٢١٦ هـ فهدموا جميع القباب التى بمكة والمدينة (١)، لم تنقل لنا المصادر عن وضع معين للتعزية فى الحجاز ومن السنة فى الدين التعزية بعد الوفاة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يعزى أخاه عصبة الا كساه الله من حلل الكرام يوم القيامة ،وتتم التعزية قبل دفن الميت وبعد الدفن ولا تتعدى الثلاثة أيام لأنها لتسكين قلب المصاب فاذا عزى بعدها تم تحريكه (٢) .

---

(١) الصباغ: تحصيل المرام فى أخبار مكة والبيت الحرام . والمشاعر العظام ورقه ٢٠٢، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود رقم (٢٢٣)

(٢) الابشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف ص ٢٨٤. نشر مكتبة الرياض بالرياض .

من طبيعة المجتمعات ان يوجد فيها مجالس متنوعة ويعود ذلك الى طبيعة الاختلاف في ميول الناس ورغباتهم ،فبعض الناس يتجه الى مجالس العلم والعلماء ،وقسم يتجه الى منتديات الشعراء والأدباء وآخر يطلب مجالس المنادرة والمفاكهة ،وكان الحرمان الشريفان عبر التاريخ مشعلان مضيئان يتجه اليهما الناس من كل مكان لطلب العلم وفيهما تعقد مجالس العلماء والفقهاء وحلقات التعليم على اختلاف ألوانها وفنونها بالأضافة الى مجالس الوعظ والتوجيه ،ومع أن القرن الخامس والسادس الهجريين ،ونتيجة للظروف السياسية والأمنية التى مرت بهما مكة والمدينة قد حدت من ذلك النشاط فلم تنقطع هذه المجالس فيهما على الاطلاق ورغم قلتها فانها أدت بعض أهدافها مع هيمنة الفكر الصوفى عليها فى تلك الفترة ،وقد تنوعت حسب طبيعة المادة التى تلقى فيها وأشتهر منها مجالس لتعليم وتدريس القرآن الكريم وتجويده ،وأخذت هذه المجالس اهتمام كثير من الناس لكونها متعلقة بكتاب الله ونتيجة لما جد عبر العصور من تقاليد وعادات وجدت لدى أهل مكة تتعلق بتلاوة القرآن الكريم فى بعض الأوقات والمناسبات ،كما فى خطبة الجمعة والختمة حيث يتلى القرآن الكريم بين سكتات الخطيب وكذا فى مناسبات ليلة النصف من شعبان ،وتراويح رمضان ويتباهى الآباء بحفظ أبنائهم للقرآن والصلاة بالناس ،(١) وبلغ من العناية بتلك المجالس أن كان للمقرئين منصب فى الحرم المكى يعرف برئيس القراء ،وممن أجاد فى هذا المجال :

(١) محمد بن احمد بعد سعد الامام الأندلسى المقرىء، أخذ القراءة عن عدد من العلماء ،وكان له مجلس علم يحضره جمع كثير . وتوفى سنه ٤٦٩هـ .(٢)

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٢٠،١٢٧،١٢٨.
(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ٢٩٢.

٢) عبدالكريم بن عبدالصمد الطبرى قرأ بمكة على عدد من العلماء وله من المؤلفات التلخيص ،وسوق العروس فى القراءات المشهورة ،وكتاب الرشاد فى شرح القراءات الشاذة ،وطبقات القراء ،وكتاب الدر فى التفسير ،وكتاب فى اللغة وغير ذلك كثير ،وكان له مجلس علم فى القراءات أخذ عنه غير واحد. وتوفى سنه ٤٧٨هـ (١) .

٣) عبدالله بن عمر بن على بن خلف القيروانى ،قرأ القرآن بروايات مختلفة وتتلمذ عليه جمع كثير. وانتهت اليه رئاسة القراء بمكة وتوفى سنه ٤٩٧هـ (٢) .

٤) الحسن بن عبدالله بن عمر القيروانى ،كان شافعى المذهب ،ووصل الى رئاسة القراء بالحرم المكى الشريف ،كما كان مضيفا للناس وتوفى سنه ٥٤٧هـ (٣) .

من هذه المجالس ما كان علميا يدرس الحديث والفقه والتفسير ومن مشايخ تلك المجالس :-

١) محمد بن أحمد بن القاسم الهروى ،أخذ العلم بمكة ودمشق وكان له مجلس علم بمكة يقرأ فيه وحفظ الحديث عن ظهر قلب أسانيدا ومتونا وتوفى سنه ٤١٤هـ (٤) .

٢) عبدالله بن سعد بن هاشم بن احمد البكرى ،نزيل مكة ،أخذ العلم عن جماعة وكان له مجلس علم وطلاب يأخذون عنه وتوفى سنه ٤٤٤هـ (٥) .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج ٥ ص ٤٧٥ – ٤٧٦ .
(٢) الفاسى : المصدر السابق جـ٥ ص ٢١٧ – ٢١٨ .
(٣) الفاسى : المصدر السابق ج ٤ ص ٨١ – ٨٢.
(٤) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٨٢ .
(٥) الفاسى : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

٣) رافع بن نصر البغدادى أخذ العلم فى بغداد وارتحل الى مكة وكان له فيها مجلس علم وفتوى وتوفى سنه ٤٤٧هـ (١) .

٤) الحسن بن عبدالله بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن صالح المكى،كان له فى مكة مجلس علم وتلاميذ يأخذون منه وتوفى سنه ٤٦٣ هـ (٢) .

٥) الحسن بن عبدالرحمن بن الحسين أحمد بن ابراهيم ،أخذ العلم عن جماعة واشتهر بأنه أحفظ للسند من غيره بالحجاز فى تلك الفترة وتوفى سنه ٤٧٤هـ (٣) .

٦) عبدالجبار بن ابراهيم بن أبى عمر الأصفهانى ،ولد سنه ٤٦٨ هـ وأخذ العلم ببغداد ثم ارتحل الى الحجاز وأصبح شيخا للحرم سنين عديدة ،أخذ عنه جماعة وكانت وفاته سنة ٥٢١هـ (٤) .

٧) الحسن بن على بن عمر الأنصارى ،رحل الى مكة وأدى فريضة الحج وجاور فيها وسمع بمكة من عدد من العلماء وحدث فيها وروى عنه جمع من العلماء ،وتوفى سنه ٥٦٨ هـ (٥) .

٨) محمد بن اسماعيل بن على التيمى فقيه مكة سمع عن جماعة بمكة وكان له فيها مجلس علم يدرس فيه ويفتى للناس ،توفى سنه ٦٠٧ هـ (٦) .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .
(٢) الفاسى : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٣.
(٣) الفاسى : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٤ .
(٤) الفاسى : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
(٥) الفاسى : المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٩.
(٦) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٨٢.

ومن المجالس الاجتماعية ،مجالس الصوفية التي انتشرت في بلاد الحرمين في تلك الفترة وكانت لهم القيادة والريادة على أهل السنة وطليعة العلماء والقضاة والمفتين والخطباء منهم فلا غرابة أن نجد نشاطهم وأعمالهم تصبح سمة اجتماعية في مكة والمدينة وكان من طليعة هؤلاء الصوفية الذين كان لهم دور الريادة العلمية نظرا لخلو المكان من أصحابه :

- علي بن عبدالله بن الحسن الهمداني ،له مصنفات ،منها بهجة الأسرار في أخبار الصوفية كما قيل انه وضع حديث صلاة الرغائب .(١)

- هياج بن عبيد بن حسن الحطيني ،ذكر عنه أنه فقيه الحرم وكان يعتمر كل يوم ثلاث مرات ويزور قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ماشيا كما وصف بأنه أمام أهل السنة ووقع بينه وبين الشيعة اختلاف فضربه أمير مكة محمد بن أبي هاشم مع جمع من أصحابه فمات منهم اثنان في الحال ونقل هو الى زاويته فمات بها سنه ٤٧٢هـ .(٢)

- ومنهم أيضا سعد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الحافظ الزاهد كما يسمونه طاف البلاد ثم جاور بمكة وصار شيخا للحرم حافظا متقنا فقيها يزعم أن له كرامات وآيات كان اذا خرج الى الحرم ليطوف خلي له المطاف ويقبل الناس يديه أكثر مما يقبلون الحجر الأسود ولهذا الفعل دلالته على عمق المنهج الصوفي في نفوس الناس واستيلائه عليهم ،كانت وفاته سنه ٤٧٠ هـ .(٣)

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ١٧٩ ،١٨٠ .
(٢) الفاسي : اتحاف الورى ج ٢ ص ٤٧٩ .
(٣) الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٥ ،٣٦ .

- ومنهم احمد بن أسد بن باذل الكوجى ،صار شيخا للحرم ،مات بعد سنه ٤٦٠ هـ .(١)

ولاشك أن وجود هؤلاء الصوفية فى الحرمين واعتلائهم مراكز قيادية كالقضاء والفتوى والتدريس والامامة بالمسجد لها أثرها فى سرعة نشر أفكارهم ومناهجهم بين الناس وقابلية الناس لذلك وأصبحو من أعلام تلك الفترة حيث نرى مكانتهم بين الناس وتقديرهم واحترامهم ،كما أن قيام الأربطة لها دلالة على النزعة الصوفية فى المجتمع الحجازى فى تلك الفترة ،ووجود أعداد من الناس متأثرين بالمنهج الصوفى منقطعين للعبادة .

وقد أثر اعتناق الفكر الصوفى وانتشاره فى مكة والمدينة فى فرض عادات وتقاليد معينة ومنها هذه المجالس التى ذكرها ابن الجوزى المعاصر لهذه الفترة فقال (لقد كانت مجالس الصوفية تعج بالغناء ويلتمسون لذلك سندا قريبا فلا يجدون فيحملون الآيات والأحاديث مالا تحتمل) وشنع عليهم - رحمه الله - ورد جهلهم وبين أثر ذلك عليهم بأن آثروا هذه الطريقة على القرآن الكريم فقست قلوبهم للقران ورقت للغناء (٢) ،ويعتقد قوم منهم عدم صلاحية الغناء للصغار وكذا العوام وأنه خاص بالزهاد للحصول على مجاهداتهم ،وكان من عاداتهم فى مجالسهم (اذا سمعوا الغناء تواجدوا وصفقوا وصاحوا ومزقوا الثياب ،فاذا قوى طربهم رقصوا فاذا تمكن الطرب منهم فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه ،ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد واذا قام قام الباقون تبعا له فاذا كشف أحدهم رأسه

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ،جـ ٣ ص ١٧ .

(٢) تلبيس ابليس ص ٢٥٨ .

كشف الباقون رؤوسهم موافقة له فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى،فمنهم من يرمى بها صحاحا ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها (1)) وهنا تتجلى طبيعة بعض المجالس الاجتماعية التى انتشرت واستشرت فى الحجاز فى هذه الفترة بسبب هيمنة الفكر الصوفى ،وقيادته وريادته للناس وقدرته على كسبهم بسبب جهلهم الكبير بحقائق ومعانى الدين الاسلامى العظيم ولافتقارهم الى العلماء المصلحين الذين يبينون لهم طريق الصواب .

ومن مجالسهم الاجتماعية مايتخذ للتسلية وهى المجالس التى تقام فيها الألعاب المختلفة أو تقوم على النوادر والفكاهات ففي مكة كان الشبان يخرجون الى حاراتها ويزاولون ألعابا مختلفة والناس من حولهم ينظرون ويتسلون بتلك الألعاب ،ومن هذه الألعاب والتى عرفت قديما لعبة الكرك (2) والشطرنج ولعبة الصنج والنرد (3) ومع ذلك فان المصادر التى تتحدث عن هذه الفترة لم تذكر شيئا عنها ولكن ذلك لاينفى عدم وجودها فلا بد مما يشغل الناس به أوقات فراغهم ، أما سباق الخيل فهو معروف منذ القدم فوجد زمن الأمويين وكذا الحال فى العصر العباسى الاول حيث نعم الناس بالخيرات وأصبحت الخيل منتشرة بينهم قريبة منهم يتخذونها للاستخدام الشخصى أو للحروب (4) ، وفى هذه الفترة تحدثنا المصادر عن استخدام السلاح

---

(1) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ٢٤٧ ، ٢٦٠،٢٥٨،٢٥٠، ابن القيم : اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ج ١ ص ٢٢٥. نشر دار المعرفة . بيروت .

(2) الكرك : الكرج الذى يلعب به (ابن منظور، لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٦.

(3) الفاكهى : اخبار مكة ص ١٢،١٠. مجموعه تاريخ مكة . ط ليدن السيف : الحياة الاجتماعية والاقتصادية ص ٣٣٥ .

(4) السيف : المرجع السابق ص ٣٣٥.

فى اللعب فى المواسم ومن ذلك مايفعلونه بين يدى الأمير احتفاء بقدوم شهر رجب فيجتمع الناس فى ذلك اليوم فرسانا ورجالا شاكين أسلحتهم يخرج الفرسان بأسلحتهم ويلعبون بها ،ويقوم الرجال يتواثبون ويتغالبون بأسلحتهم حيث الحراب والسيوف والتروس عليهم ويظهرون للناس التطاعن والتضارب بالسيوف والمدافعة بالجحف التى يحتمون بها ولقد تعجب ابن جبير من حذقهم حيث كانوا يرمون بالحراب الى الهواء ثم يبادرونها بسرعة ويتناولونها بأيديهم رغم خطورتها (١) كما كان عبيدهم يقيمون سباقا للجمال ، ويشارك الأعراب فى الاحتفال بشهر رجب بابل جميلة يركبونها ويتسابقون عليها، (٢) ومن لعب الصبيان المنتشرة ذلك الوقت القلة وهى رميهم بالقلة فى الجو ثم تضرب بمقلاء فى اليد وهو عبارة عن خشبة قدر ذراع فتستمر القلة ماضية ،ومنها المطثة وهى خشبة عريضة يدقق أحد رأسيها يلعب بها الصبيان وهى نحو القلة ،ومنها البوصاء ،وهى عبارة عن عود فى "رأسة نار يأخذونه ويديرونه على رؤوسهم ،ومنها المنجار وهى رمى الكعب مكان كعب آخر ليزيله عن موضعه ، وهذه اللعبة تعتبر من الألعاب الشعبية الباقية فى بعض مناطق شبه الجزيرة العربية الى عهد قريب ،ولعبة الجماح وهو مايتخذ من الطين أو التمر أو الرماد فيتصلب ويرمى بها الطير،ولعبة الابنونة وهى قيام الصبيان بحفر حفر متعددة يضعون فيها شيئا يجهل مكانه منها ومن استخرجه فقد غلب فيها،ولعبة عظم وضاح لعبة صبيان الأعراب حيث يطرحون بالليل عظما فمن وجده فقد غلب ، (٣) وهذه اللعبة لازالت الى عهد قريب منتشرة فى بعض مناطق شبة الجزيرة العربية .

---

(١) الرحلة ص ١٠٨ .

(٢) ابن جبير: المصدر السابق ص ١٠٩ .

(٣) المخصص : ابن سيده . المجلد ٤ سفر ١٣ ص ١٧ ،١٨ .

٢ - المنشآت الاجتماعيـــة :

ظهرت فى هذه الفترة ماعرف باسم الأربطة وهى احدى المنشآت الاجتماعية التـــى قامت فى بلاد الحجاز ،وهذه الأربطة عبارة عن دور يجتمع بها أفراد الصوفية وغيرهم من المحتاجين كالمسافرين وذلك للسكنى ،ويقدم فيها للساكنين الطعام والشـــراب ويوفر لهم فيها جميع سبل الراحة لاسيما لمن يسكنها من طلاب العلم والعبـــاد المنقطعين لهذا العمل فى بلاد الحرمين (١) ، ولقد انتشرت هذه الأربطة فى مستهـــل القرن الخامس الهجرى وتطورت خدماتها فيما بعد وصار أهل الاحسان يتسابقـــون لبنائها والانفاق عليها (٢) ، وقد ساهمت بدور فعال ابان الأزمات الاقتصادية التـــى كانت الحجاز تتعرض لها بين وقت وآخر. ومن هذه الأربطة :

١) رباط السدرة : بالجانب الشرقى فى المسجد الحرام على يسار الداخل مـــن باب السلام ،وقف سنه ٤٠٠هـ (٣) وموضعه دار القوارير التى بنيت فى عهـــد الرشيد.

٢) رباط الفقاعيـــة : ويقع عند الباب المنفرد من الحرم الشريف وتاريخ وقفـــة سنه ٤٩٢ هـ (٤) أوقفته قهرمانة الخليفة العباس المقتدر،على المنقطعات الأرامل أى أنه خاص بالنســـاء فلا يحق لأحـــد مـــن الرجـــال الاستفـــادة منه وحددت الفئـــة مـــن النساء اللاتى يستفدن منه وهن المنقطعـــات سواء قطعن من القريـــب أو الزوج الـــذى يعولهـــن .

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٧٥.

(٢) باقاس : الحجاز فى العصر الايوبى ص ٩٠. نشر نادى مكه الثقافى عام ١٤٠٣هـ

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠. الصباغ: تحصيل المرام ق ١٥٦.

(٤) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٠.

٣) رباط دار الخيزران : ووقف على المنقطعين والغرباء سنه ٤٠٢هـ وأوقف هذا الرباط والى مكة أبو الفتوح وجعله لمن يريد الاقامة من الحجاج (١) فى الموسم .

٤) رباط رامشت : عند باب الحزورة وقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء أصحاب الشياب المرقعة من بلاد العراق ،وكان تاريخ وقفه سنه٥٢٩هـ (٢) وقد جدد هذا الرباط سنه ٨٠٢هـ حينما احترق جزء كبير منه فى الليلة التى احترق فيها المسجد الحرام ،وقد بدأ الحريق فيه ثم انتقل الى المسجد الحرام ،وأعاد بناءه الشريف حسن بن عجلان (٨٠٩ -٨٢٤هـ) . أمير مكه بمبلغ مائتى مثقال ذهب وذلك فى أوائل سنه ٨١٨هـ (٣) .

٥) رباط الدمشقية : بالحزامين بمكة أنشأه تجار مدينة دمشق وقف على الصوفية والفقراء والقراء الفقراء من أهل دمشق والعراقيين العرب والعجم وذلك فى رجب سنة ٥٢٩ هـ (٤) .

٦) رباط السبئية : وكان موجودا فى سنه ٥٢٩هـ (٥) ولم تذكر المصادر من أنشأه ولا لمن أنشىء وأى فئات المجتمع المكى يمكنها الاستفادة منه .

٧) رباط أم الخليفة الناصر العباسى وقف سنه ٥٤٧ هـ على الصوفية (٦) .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠.
(٢) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٣١. الصباغ: تحصيل المرام ق ١٥٩.
(٣) الصباغ : المصدر السابق ق ١٥٦.
(٤) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٥.
(٥) الفاسى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٥.
(٦) الصباغ: المصدر السابق ق ١٥٦.

وفى المدينه ذكرت لنا المصادر التاريخية أسماء عدد محدود من الاربطة فى هذه الفترة وهى :-

١) رباط أنشاه جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصبهانى وزيرآل زنكى أوقفه على فقراء العجم (١).

٢) رباط أسد الدين شيركوه (٢) قائد جيوش نور الدين زنكى أمر ببنائه سنه ٥٥٥هـ وكان من ضمن أعمال الخير التى قام بها وأوصى اذا مات أن يحمل ويدفن بهذا الرباط (٣).

ومن المنشآت الاجتماعية الفنادق وقد انتشرت فى مدن الحجاز الكبرى ،مكه المكرمة ،والمدينة المنورة ،وجدة ،وذلك لكثرة مايرد اليها من الناس حجاجا أوعمارا أو تجارا ،ويتطلب ذلك ايجاد أماكن يستريح بها هؤلاء الزوار خلال فترة زيارتهم وقد تبين لنا أن الأربطة التى كانت تنشأ لخدمة الفقراء والمحتاجين أما غيرهم من الموسرين فنبنى لهم الفنادق .

ففى جدة فنادق بنيت من الحجارة والطين وفى أعلاها بيوت من الاخصاص كالغرف ولهذه الفنادق سطوح يستريح بها نزلاء هذه الفنادق ليلا لتخفيف شدة الحر عليهم (٤).

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٨٠. الانصارى : آثار المدينة ص ٨٦.

(٢) أسد الدين شيركوه من اذربيجان . قام بخدمة عماد الدين زنكى ،وبعد وفاته خدم ابيه نور الدين وصار من رجاله الذين سجل لهم التاريخ مجالدة الصليبيين وكان له دور فى القضاء الفاطميين بمصر،توفى سنه ٥٦٤هـ.(ابن كثير البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٦٠).

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ج ٢ ص ٥٣٢.

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٥٣ .

ومكه المكرمة يردها الناس أكثر من غيرها يمضون بها فترات طويلة أما للعبادة أو التجارة أو لطلب العلم ،لذلك تكثر فيها الفنادق التى بنيت لاستقبالهم وقضاء أوقات راحتهم فيها،ونظرا لعدم كفاية تلك الفنادق أو لبعدها عن المسجد الحرام بني قرب الصفا أماكن شبيهه بالفنادق وهو عبارة عن بيوت كبيره ذات تنظيم معين أعدت للكراء[(١)] .

وفى المدينة المنورة بنيت الفنادق لاستقبال زوار المدينة من الحجاج والتجار الذين يقدمون اليها بين وقت وآخر من سائر البلاد[(٢)].

ولم يقتصر بناء الفنادق فى المدن فقط بل شمل طرق الحجاج التى يفدون عليها لأداء الفريضة ،وذلك من أجل راحتهم وتخفيف عناء الطريق عليهم ،فقد اتجه أهل الاحسان الى اقامة مثل هذه المنشآت ومن ذلك ماقام به بدر الدين حسنوية حيث أنشأ الاستراحات لهم[(٣)] ، وتبعه فى ذلك جمال الدين الاصبهانى ،حيث بنى العمارات للمسافرين ليستريحوا بها من عناء السفر[(٤)] .

ومن المنشآت الاجتماعية الحمامات وأماكن الوضوء ،فلقد عرفت الحجاز منذ العصر الأموى الحمامات وتبنى على نظام خاص لايسمح للمستحم التعرض للهواء نتيجة الانتقال السريع من البرد الى الحر أو العكس[(٥)].

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٥.

(٢) الظاهرى :زبدة كشف الممالك ص ١٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٥٤.

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٣ .

(٥) السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز ص ٣٠٠ .

وفى مكه حمامات بلاطها من الحجر الاخضر (١) وفى المدينة حمامات عامه (٢)، وتنتشر الحمامات فى الأرياف كما فى السرين وكانت مادة بناشها من الخوص فتسخن المياه خارجها ثم تدخل اليها (٣).

وتنتشر فى مكة أماكن الوضوء فيوجد فى الزاهر وحولها بئر عذبة تملأمنها أباريق صغيرة تستخدم فى الوضوء، وكذا أوانى غسيل الثياب (٤)، وفى جوانب حجرة زمزم الأربعة أحواض يصب فيها الماء ويتوضأ الناس منها، وأرضها من الخشب المشبك ليسيل الماء الذى يراق فيها من ناحية المشرق (٥).

وفى المدينة بركة فى وسط المسجد النبوى بنيت من الآجر والجص والخشب ينزل بدرج على جوانبها، ويأتيها الماء من عين خارجية ولاتستخدم الا فى أيام المواسم (٦).

ومن المنشآت الاجتماعية الآبار والعيون والأحواض :

فقد كان أهل مكه فيما سبق يشربون من الآبار التى بداخل البلد وخارجها حتى آلت الخلافة الى معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - حيث اجرى الى مكه عيون من خارجها، ومع مرور الزمن حفرت الآبار بجانب الأربطة التى شيدت فى مكه ولكن مياهها

(١) ناصر خسروا: سفرنامه ص ١٢٣.
(٢) الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٢٦.
(٣) المنازل (مجهول) ورقة (١)
(٤) ابن جبير: الرحله ص ٨٩. ابن بطوطه. الرحلة ص ١٤٤.
(٥) ناصر خسرو: المصدر السابق ص ١٣٣.
(٦) ابن النجار: أخبار مدينة الرسول ص مكه الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ .

لم تكن صالحة للشرب بل كانت لاستخدامات أخرى ،أما الآبار التى يشرب ماؤها فكانت على مسافة نصف فرسخ عن مكة وتعرف ببئر الزاهد،ويحمل السقاؤون ماءها الى داخل مكة ليبيعوه فيها.(١)

وفى مكه بئر زمزم وقد ورد أن أول من أظهر زمزم على وجه الأرض جبريل عليه السلام لما ظمأ اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام سقى من الله تعالى ولم يزل ماء زمزم ظاهرا ينتفع به سكان مكة الى أن استخفت جرهم بحرمة الكعبة فدرس موضعه ومرت عليه السنون الى أن صار لايعرف حتى جاء عبدالمطلب بن هاشم جد النبى - صلى الله عليه وسلم - فأتى فى المنام وأمر بحفرها وأعلمت له علامات استبان بها موضع زمزم فحفرها وكان ذلك قبل مولده - صلى الله عليه وسلم - ثم ما لبثت أن قل ماؤها وغار تسعة أذرع ،وعمق زمزم ستون ذراعا وفى مقرها ثلاث عيون حذاء الركن الأسود وحذاء جبل أبى قبيس والصفا وحذاء المروة أما صفة الموضع الذى هى فيه فهو بيت مربع وفى جدرانه أحواض للماء يملآن من بئر زمزم فيتوضأ منها الناس.(٢)

ويصف ابن جبير زمزم أثناء رحلته فيقول (وتنور بئر زمزم من رخام قد ألصق بعضه ببعض الصاقا لاتحيله الأيام وأفرغ فى أثنائه الرصاص وكذلك داخل التنور وضعت به أعمدة الرصاص الملصقة اليه ابلاغا فى قوة لزه ورصه اثنان وثلاثون عمودا قد خرجت لها رؤوس قابضة على حافة البئر دائرة بالتنور كله ودوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر ونصف وقد أستدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامه ص ١١٤.

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٨،٢٤٩.

نحو شبرين وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء وحولها مصطبة دائرة يرتفع الناس اليها ويتوضؤن عليها)(١).وقد جددها أحد أثرياء العجم وكان أمير مكة لايرضى أن يمس أحد شيئا فى الحرم الا بعد موافقته واعطائه مبلغا من المال وأراد هذا الأعجمى ذلك لما رأى بئر زمزم على هيئة لاترضى فتأنق فى بناء التنور وطيه وتجديد قبتها وبذل المجهود فى ذلك ثم ذهب ليلا دون علم أميرها(٢) وقد بقيت بهذا العمران فترة لم يمسها خراب أو هدم(٣) .

أما الآبار فى المدينة فهى المصدر الرئيسى للشرب والزراعة منذ القدم ،وبها آبار تعرف منذ القدم بقيت الى عهد قريب تصان ويستفاد منها وهى :-

(١) بئر البصة قريبة من البقيع على يسار السالك الى قباء مرتفع فى حديقة كبيرة عليها حائط وفى الحديقة بئر أصغر منها وعرضها تسعة أذرع وطولها أحد عشر ذراعا وقد وقفت على الفقراء والمساكين مما يدل على استمرارها والاستفادة منها طوال الفترة الماضية(٤).

(٢) بئر بضاعة : وهى غربى بئر حاء الى جهة الشمال وطول هذه البئر أحد عشر ذراعا ذراعان منها ماء والباقى بناء وعرضها ستة أذرع ،وأصبح عليها حديقة وهى فى قبلتها ويسقى منها أهل الحديقة ومن بئر شمالها وهى بئر مليحة عذبة طيبة(٥).

---

(١) الرحلة ص ٥٧.

(٢) ابن جبير: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٣) باسلامه :عمارة المسجد الحرام ص ١٧٧. حده ١٤٠٥هـ .

(٤) المراغى : تحقيق النصرة ص ١٧١.

(٥) المراغى : المصدر السابق ص ١٧٢ ،١٧٣.

(٣) بئر حاء: وتقع هذه البئر وسط حديقة صغيرة فيها نخل وهى شمالى سور المدينة وبينها وبين السور طريق وعرفت فيما بعد بالنويرية اشترتها احدى نسائهم وأوقفتها على الفقراء والمساكين فنسبت اليها، طولها عشرون ذراعا يملأ الماء منها أحد عشر ذراعا والباقى بنيان وعرضها ثلاثة أذرع تقريبا.(١)

أما العيون فقد اجرى معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - الى مكه عشر عيون فى قنوات عملها لذلك ثم عرفت العيون فى عين واحدة فيما بعد وبنى حياضا عند عرفة ملئت بالمياه فارتاح الناس لذلك ثم مالبثت تلك العيون أن خربت فما كان من السيدة زبيدة زوجة الرشيد الا أن عملت على أحراء عين حنين والتى عرفت فيما بعد بعين زبيدة وبنت قناة يجرى الماء فيها وشقت لها الجبال وهيأت أماكن لتجمع فيها المياه أثناء نزول الأمطار فيزيد ذلك من مياه العين، ومع مرور الزمن تتعرض هذه العين للخراب فتنقطع مياهها فيعاد اصلاحها، وممن قام بذلك أبو النصر الاستراباذى سنه ٤٦٦هـ حيث أجرى المياه الى مكه بعد اصلاح قنوات زبيده(٢)، ثم تعاقب عليها التعمير كلما خربت وذلك على يد الولاة والامراء(٣).

وفى المدينة أجرى نور الدين زنكى(٤) العين التى بأحد عند قبر حمزه - رضى الله عنه - الى المدينة ليشرب منها أهلها(٥) ومد من عين الازرق سنه ٥٦٠هـ شعبة الى المدينة

---

(١) المراغى : تحقيق النصره ص ١٧٢.
(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٣ ص ٢٦١
(٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢١٠ - ٢١١.
(٤) نورالدين زنكي : من أشهر حكام الدولة الزنكية كان محبا للخير وأعمال البر استرد من الصليبيين اكثر من خمسين مدينه. توفى سنة ٥٦٩هـ (ابن كثير البداية والنهاية ص ٢٧٧، ٢٧٨)
ابن قاضي شهبه . السيرة النورية ص ١٦ .
(٦) ابن جبير ص ١٠٢ .

قرب مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١)

ومن المنشآت الاجتماعية الأحواض التى تحفظ فيها المياه فلقد شاهد ناصر خسرو أثناء ذهابه الى مكه كثيرًا من الأحواض التى أعدت لحفظ مياه السيول وقدر تكاليف الواحد منها بعشرة الاف دينار وذكر أن فى عرفة حوض تجتمع فيه المياه ينقله السقاؤون ويسحبونه فى مكه (٢) واختط الاصفهانى صهاريج بمكه لحفظ مياه الأمطار. (٣)

ونظرا لندرة المياه العذبة فى جده بنى فيها مايقارب من ثمانين صهريجا داخل البلد وبظاهره ،ومن هذا الصهاريج صهريج أبى بكر والمجرى والصرمى ،وصهريج السدرة والحوار وصهريج الشريف والسورية والمبادر ،وصهريج الفضة البحرية وصهريج أم خراد وصهريج بركات وصهريج سليمان العطار والطولانى والقرصانى ،واذا أمطرت جده آمتلأت منه الصهاريج التى بظاهرها ونقلت عبيدهم المياه منها على الدواب الى الصهاريج التى فى الداخل عندهم ،ويعتمد أهل جدة اعتمادا كليا على هذه الأحواض فى شربهم واستعمالاتهم . (٤)

ومن المنشآت الاجتماعية فى بلاد الحجاز ماعرف (بمياه السبيل) وهى المياه التى تبرد وتوضع فى أماكن عامه يشرب منها الناس أو مياه توضع فى أحواض يستخدمها الناس لاغراضهم المختلفه ،ومن ذلك ماقام به جمال الدين الأصفهانى حيث بنى رباعا بمكه

---

(١) المراغى : تحقيق النصرة ص ١٧٧. محمد لبيب اللبتونى : الرحلة الحجازية ص ٢٥٧. نشر مكتبة محمد سعيد.
(٢) سفرنامه ص ١٢٣ ، ١٣٦ .
(٣) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٢.
(٤) ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٤٥.

فيه ماء جعله لعامة الناس يشربون منه . كما عمل ابن سلامة على ايصال (١) الماء الى جبل الرحمة بعرفات وجعلها فى أحواض يشرب منها الحجاج (٢) .

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٦١.
(٢) ناصر خسرو: سفرنامه ص ١٣٦.

الخاتمـــــه

الحمدلله الذي به تتم الصالحات، أحمده سبحانه أن يسر لي كتابة هذا البحث وأسأله سبحانه التوفيق، أنه سميع مجيب وبعد فهذه بعض النتائج التي توصلت اليها خلال بحثي هذا .

يتضح من خلال دراسة الحياة الزراعية ان أهل الحجاز يعتمدون على الزراعة أعتماد كبيرا لسد حاجتهم من الغذاء لكن المحاصيل الزراعية المنتجة فى بلادهم لاتكفى لسكانه مما يضطرهم الى الاستيراد من البلاد المجاورة لسد هذا النقص .

ويمثل الرعى جانبا مهما من جوانب النشاط السكانى فى الحجاز حيث يهتمون بالجمال الى حد كبير لاعتمادهم عليها فى حياتهم ونظرا لوجود استهلاك كبير لها يتم استيرادها بين وقت وآخر من بلاد النوبة .

وتمثل التجارة جانبا مهما من جوانب النشاط السكانى وقد تبين لى الآتـــى :-

- تأثر النشاط التجاري بالوضع السياسي القائم آنذاك في بلاد الحجاز ، وكان له دور في الحد من ازدهار التجارة .
- تعدد من يعمل بالتجارة فى بلاد الحجاز فى تلك الفترة حيث شمل أهل البلاد الاصليين والكارم والمغاربة المهاجرين .
- قيام تنافس بين العباسيين والفاطميين فى اسواق الحجاز من خلال عملائهم طلبا لزيادة نفوذهم على بلاد الحرمين لكسب الصفة الشرعية فى خلافة المسلمين .
- ضعف الأمن فى بلاد الحجاز عرّض الطرق التجارية للخطر من قبل الأعراب وغيرهم فانقطع الحج سنوات ولم يأمن التجار على تجارتهم فتأثر اقتصاد بلادالحجاز بذلك .

- ساعد ازدهار الطرق البحرية على ازدهار موانئ الحجاز في تلك الفترة كجده والسريـن.
- فشل حكام الحجاز في تدبير مورد اقتصادي مستمر لهم حيث كانوا عالة على غيرهم في ذلك ، كما فرضوا ضرائب والمكوس التي أرهقت كامـل الناس لسد عوزهم.

أما في مجال الحياة الأجتماعية فقد تبين لي الآتي:

- استقرار بقايا من القبائل العربية في موطنها الأصلي بلاد الحجاز رغم ما مر عليها من هجرة جماعية صاحبت الفتوح الأسلامية والأوضاع التي مر بها الحجاز.
- ان المجتمع الحجازي يتشكل من عناصر مختلفه ومتباينة نتيجة للهجرات التي تأتي اليه من كافة أقطار العالم الأسلامي وذلك لمجاورة الحرمين الشريفين.
- بروز أعمال الوزير جمال الدين الأصفهاني وغيره من محبي الخير وذلك في مختلف جوانب الحياة مع أنهم ينتمون الى الخلافة العباسية والحجاز يقع تحت هيمنه السلطة الفاطمية في غالب الفترة موضوع البحث .
- تأثر المجتمع الحجازي بمظاهر حياة الفاطميين بمصر بسبب مد نفوذهم عليه، وذلك في الأعياد والمواسم الفاطميه التي اشتهر بها المجتمع الفاطمي نتيجه اعتناقهم المذهب الشيعي.
- ظهور عادات وتقاليد مخالفة للشريعة الاسلامية وذلك في بعض مظاهر حياتهم العامه كالزواج واتباع الجنائز .
- هيمنة الفكر الصوفي في تلك الفترة على الساحة الفكرية حيث برز من أتباعه من قاد المذهب السني وأوقع الناس في مخالفات شرعية بسبب ما أبتدع من زيادة على الشعائر التعبدية .
- ضعف الحياة العلمية في مجتمع الحجاز في تلك الفترة وذلك بسبب الوضع السياسي القائم آنذاك والذي أفقد الناس أهم عنصر في حياتهم الا وهو الاستقرار الامني الذي معه تزدهر مختلف نواحي الحياة .

الملاحـــــــــــــق

***

(ملحق رقم (١))

وصف جده ومكه كما شاهدها ناصر خسرو(١)

وصف جده :

وجدة مدينة كبيرة لها سور حصين ،تقع على شاطئ البحر،وبها خمسة الاف رجل ،وهى شمال البحر(الأحمر) ،وفيها أسواق جميلة. وقبلة مسجدها الجامع ناحية المشرق ،وليس بخارجها عمارات أبدا ،عدا المسجد المعروف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولها بوابتان احداهما شرقية تؤدى الى مكة ،والثانية غربية تؤدى الى البحر. ويبلغ السائر من جدة جنوبا على شاطئ البحر،اليمن ومدينة صعدة ،والمسافة الى هناك خمسون فرسخا.

واذا سار شمالا بلغ الجار وهى تابعة للحجاز. وليس فى جدة شجر ولا زرع وكل مايلزمها يحضرونه اليها من القرى ، وبينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالى بن أبى الفتوح الذى هو أمير المدينة أيضا. وقد ذهبت الى أمير جدة فأكرم وفادتى وأعفانى مما كان يجب على من المكس ولم يطلبه، وهكذا خرجت من البوابة فى سلام، وقد كتب الى مكة يقول عنى هذا رجل عالم فلا يجوز أن يؤخذ منه. وفى يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب مكة يوم الأحد سلخ جمادى الثانية. وكان قد حضر الى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحى الحجاز واليمن فى أول رجب ،وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان ،وهم يحضرون وقت الحج. ولان طريقهم قريب وسهل يأتون الى مكه ثلاث مرات كل سنه .

(١) سفرنامه ص ١٢٠ ،١٢١ ،١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

وصــــف مكــــة :

تقع مكة بين جبال عاليه ،ولاترى من بعيد،من أى جانب يقصدها السائر،وأقــرب جبل منها هو جبل أبى قبيس ،وهو مستدير كالقبة ،لو رمى سهم من أسفله لبلـــغ قمته. وهو شرقى مكة ،فترى الشمس من داخل المسجد الحرام،وهى تشرق من فوقه فـــى شهر (ديسمبر). وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال ان ابراهيم عليـــه السلام رفعه عليه.

وتشغل هذه المدينة الوادى الذى بين الجبال والذى لاتزيد مساحته عن رميـــة سهمين فى مثلها،والمسجد الحرام وسط هذا الوادى ،ومن حوله مكة والشوارع والأســواق وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوى وضعت عليه بوابة ،وليس بمكة شجـــر أبدا الا عند باب الغربى للمسجد الحرام المسمى باب ابراهيم ،حيث يوجد كثير مـــن الشجر الكبير الذى يرتفع على حافة بئر.

وعند الجانب الشرقى للمسجد سوق تمتد من الجنوب الى الشمال ،وفى أولها ناحيـة الجنوب جبل ابى قبيس الذى تقع الصفا على سفحه ،وتبدو على هذا السفح درجـــات كبيرة من الحجارة المستوية التى يصعد الحجاج عليها،ويدعون ربهم. والمروة فـــى نهاية السوق ،شمالى الجبل ،وهى أقل ارتفاعا فى وسط مكة،وقد شيدت عليها منـــازل كثيرة. ومايسمى السعى بين الصفا والمروة هو المسعى فى هذه السوق من أولهـــا لآخرها . ويجد من يرغب العمرة وهو آت من بعيد أبراجا ومساجد على مسافة نصـــف فرسخ حول مكة فيحرم منهـــا للعمرة.

والاحرام هو نزع الملابس المخيطة من على الجسد، وشد المحرم وسطه بأزار ولف جسده بازار أو وشاح آخر، وصياحه بصوت عال أن " لبيك اللهم لبيك" ثم يسير نحو مكة. فاذا أراد حاج أن يعتمر وهو بمكة، فانه يذهب الى تلك الأبراج ويرتدى ثوب الاحرام ويهتف لبيك ويدخل مكة بنية العمرة. فحين يبلغ مكة يدخل المسجد الحرام، ويسير نحو الكعبة ثم يطوف ناحية اليمين بحيث تكون هذه على يساره، ويتوجه الى الركن الذى به الحجر الأسود فيقبله، ثم يمضى ويستمر فى الطواف حتى يعود الى الحجر الأسود مرة أخرى فيقبله، وبهذا يكون قد اتم طوفة واحدة وعلى هذا النحو يطوف سبع مرات، ثلاثا منها بسرعة وأربعا على مهل. وبعد اتمام الطواف يتوجه نحو مقام ابراهيم عليه السلام، وهو أمام الكعبة، فيقف خلفه، بحيث يكون المقام بينه وبين الكعبة، وهناك يصلى ركعتين، هما صلاة الطواف. ثم يذهب الى حيث بئر زمزم، فيشرب من مائها أو يمسح بها وجهه، ثم يخرج من المسجد الحرام، من باب الصفا الذى سمى كذلك، لأن جبل الصفا يقع خارجه، فيصعد على عتبات الصفا موليا وجهه شطر مكه ويدعو بالدعاء المعلوم، ثم ينزل ويتجه ناحية المروة مارا بالسوق التى يسير فيها من الجنوب الى الشمال، وعليه أن ينظر الى أبواب الحرام حين يمر بها، وأن يحث الخطى فى المسافة التى سعاها الرسول عليه الصلاة والسلام مسرعا، والتى أمر الناس باجتيازها مسرعين، وهى خمسون خطوة. وعلى طرفى هذا الموضع (الذى يسار فيه بسرعه) أربع منارات، على الجانبين فاذا بلغ الحاج الاتى من الصفا مابين المنارتين الاوليين أسرع حتى يصل الى

مابين المنارتين الثانيتين،ثم يسير الهوينى ،حتى يبلغ المروة فيصعد عتباتها ويدعو ذلك الدعاء المعلوم . وهكذا يكرر هذا السعى فى السوق ،بحيث يسعى من الصفا الى المروة أربع مرات ،ومن المروة الى الصفا ثلاث مرات . فيكون قد سعى فى هذه السوق سبع مرات .

وعندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقا فيها عشرون دكانا متقابلة يشغلها جميعا حجامون لحلق شعر الرأس . وحين يتم الحاج شعائر العمرة ويخرج من المسجد الحرام ،يدخل السوق الكبيرة التى تقع ناحية الشرق ،والمسماة سوق العطارين ،وهى سوق جميلة البنايات وكلها عطارون .

وبمكة حمامان بلاطهما من الحجر الاخضر السنان . وقدرت أن سكانها القاطنين بها ،لايزيدون على ألفين ،والباقى ويقربون من الخمسمائة ،من الغرباء والمجاورين وفى ذلك الوقت كان بمكة قحط ،فكان الستة عشر منا من القمح بدينار مغربى وقد هاجر منها كثيرون .

وقد كان لأهالى كل مدينة من خراسان وماوراء النهر والعراق وغيرها منازل بمكة ،ولكن أغلبها كان خرابا وقتذاك . وقد بنى بها خلفاء بغداد عمارات كثيرة وأبنية جميلة ،وكان بعضها ،وأنا هناك ،خربا والبعض الآخر اشتراه الناس (أصبح ملكا خاصا). وماء آبار مكة مالح ومر لايساغ شربه. ولكن بها كثيرا من الأحواض والمصانع الكبيرة ،بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة الاف دينار. وهى تملأ من ماء الأمطار الذى يتدفق من الاودية . وكانت فارغه ونحن هناك .

وقد أنشأ ابن أحد أمراء عدن مجرى للماء تحت الأرض ،وأنفق عليه أموالا ، كثيرة ،يسقى منه ماعلى حافتيه من شجر فى عرفات ،وقد حبس هذا الماء هناك حيث غرست الحدائق ،فلا يصل (قرب) مكة منه الا القليل،لان القناة لاتبلغها. وهذا القليل يجمع فى حوض خارج مكة ،فيأخذ منه السقاءون ،ويذهبون به اليها ويبيعونه.

وعلى مسافة نصف فرسخ من طريق برقة بئر يسمى بئر الزاهد ،عنده مسجد جميل . وماء هذا البئر عذب ،ويحمله السقاءون الى مكة لبيعة. وجو مكة حار جدا وفى آخر بهمن القديم (يناير – فبراير) ،رأيت بها الخيار والاترنج والباذنجان وكانت كلها طازجة.

هذه هى المرة الرابعة التى أزور فيها مكة ،وقد مكثت بها مجاورا من غرة رجب ٤٤٢(١٠ نوفمبر ١٠٥٠) الى العشرين من ذى الحجة (٣ مايو ١٠٥١). وقد اثمر بها العنب فى الخامس عشر من فروردين(مارس- ابريل) فأحضر من السواد الى، مكة وبيع فى السوق . وكان البطيخ كثيرا فى أول اردبهشت (ابريل - مايو) وكانت الفاكهة متوفرة طول الشتاء فلم تنقطع قط .(١)

---

(١) ناصر خسرو. سفرنامه ص ١٢٠،١٢١،١٢٢،١٢٣،١٢٤.

ملحق رقم (٢)

أهوال بحر فرعون كما عايشه ابن جبير (١)

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين لربيع الاول المذكور ،وهو الثامن عشر من يوليه ،ركبنا الجلبة للعبور الى جدة. فأقمنا يومنا ذلك بالمرسى لركود الريح ومغيب النواتية ،فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء أقلعنا على بركة الله ، عز وجل ،وحسن عونه المأمول . فكانت مدة المقام بعيذاب ،حاشا يوم الاثنين المذكور ،ثلاثة وعشرين يوما ،محتسبة عند الله ،عز وجل ،لشظف العيش وسوء الحال واختلال الصحة لعدم الأغذية الموافقة ،وحسبك من بلد كل شيء فيه مجلوب حتى الماء ،والعطش أشهى الى النفس منه . فأقمنا بين هواء يذيب الأجسام وماء يشغل المعدة عن اشتهاء الطعام ،فما ظلم من غنى عن هذه البلدة بقولة:

ماء زعاق وجو كله لهب

فالحلول بها من أعظم المكاره التى حف بها السبيل الى البيت العتيق ،زاده الله تشريفا وتكريما ،وأعظم أجور الحجاج على مايكابدونه ولاسيما فى تلك البلدة الملعونة ،ومما لهج الناس بذكره قبائحها ،حتى يزعمون أن سليمان ابن داود،على نبينا وعليه السلام ،كان اتخذها سجنا للعفارتة ،أراح الله الحجاج منها بعمارة السبيل القاصدة الى بيته الحرام ،وهى السبيل التى من مصر على عقبة أيلة الى المدينة المقدسة ،وهى مسافة قريبة يكون البحر منها يمينا وجهل

---

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٤٩ ،٥٠ ،٥١ ، ٥٢ .

الطور المعظم يسارا ،لكن للافرنج بمقربة منها حسن مندوب يمنع الناس من سلوكـــه والله ينصر دينه ويعز كلمته بمنه .

فتمادى سيرنا فى البحر يوم الثلاثاء السادس والعشرين لربيع الاول المذكـــور ويوم الاربعاء بعده بريح فاترة المهب . فلما كان العشاء الآخرة من ليلـــة الخميس ونحن قد استبشرنا برؤية الطير المحلقة من بر الحجاز ،لمع برق من جهـــة البر المذكور،وهى جهة الشرق ،ثم نشأ نوء أظلم له الافق الى ان كسا الآفـــاق كلها ،وهبت ريح شديدة صرفت المركب عن طريقه راجعا وراءه ،وتمادى عصـــوف الرياح واشتدت حلكة الظلمة وعمت الآفاق ،فلم ندر الجهة المقصودة منها ،الى أن ظهـر بعض النجوم فاستدل بها بعض الاستدلال وحط القلع الى أسفل الدقل ،وهو الصارى .

وأقمنا ليلتنا تلك فى هول يؤذن باليأس ،وأرانا بحر فرعون بعض أهوالـــه الموصوفة ،الى أن أتى الله بالفرج مقترنا مع الصباح . فهدأ قياد الريح وأقشـــع الغيم وأسبحت السماء ولاح لنا بر الحجاز على بعد لانبصر منه الا بعـــض جبالـــه وهى شرق من جده ،زعم ربان المركب ،وهو الرائس ، أن بين تلك الجبال التى لاحـــت لنا وبر جـدة يوميـــن ،والله يسهـل لنا كـل صعـب وييسـر لنا كـــل عسيـــر بعزته وكرمـــه .

فجرينـــا يومنا ذلك ،وهو يوم الخميس المذكور ،بريح رخاء طيبـــه ،ثـــم أرسينا عشيـــة فى جزيـــرة صغيرة فى البحر على مقربة من البر المذكور بعـــد أن لقينا شعابا كثيرة يكثر فيها الماء ويفحل علينا ،فتخللنا أثناءها علـــى

حـذر وتحفـظ .

وكان الربان بصيرا بصنعته حاذقا فيها ،فخلصنا الله منها ،حتى أرسينا بالجزيرة المذكورة ،ونزلنا اليها وبتنا بها ليلة الجمعة التاسع والعشرين لربيع الاول المذكور ،وأصبح الهواء راكدا والريح غير متنفسه الا من الجهة التى لا توافقنا ،فأقمنا بها يوم الجمعة المذكور. فلما كان يوم السبت الموفى ثلاثين تنفست الريح بعض التنفس ،فأقلعنا بذلك النفس نسير سيرا رويدا. وسكن البحر حتى خيل لناظره أنه صحن زجاج أزرق . فأقمنا على تلك الحال نرجو لطيف صنع الله عز وجل .

وهذه الجزيرة تعرف بجزيرة عائقة السفن ،فعصمنا الله عز وجل من فأل اسمها المذموم ،وله الحمد والشكر على ذلك .

شهر ربيع الاخر ،عرفنا الله بركته

استهل هلاله ليلة السبت ونحن بالجزيرة المذكورة ولم يظهر تلك الليلة للابصار بسبب النوء ،لكن ظهر فى الليلة الثانية كبيرا مرتفعا ،فتحققنا اهلاله ليلة السبت المذكور،وهو الثالث والعشرون من شهر يوليه ،وفى عشى يوم الاحد ثانية ارسينا بمرسى يعرف بابحر ،وهو على بعض يوم من جده ،وهو من أعجب المراسى وضعا ،وذلك أن خليجا من البحر يدخل الى البر والبر مطيف به من كلتا حافتيه فترسى الجلاب منه فى قرارة مكنه هادئه .

فلما كان سحر يوم الاثنين بعده أقلعنا منه على بركة الله تعالى بريح فاترة ،والله الميسر لارب سواه . فلما جن الليل أرسينا على مقربة من جده وهي بمرأى العين منا . وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بعده بيننا وبين دخول مرساها ،ودخول هذه المراسى صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها . وأبصرنا من صنعة هؤلاء الرؤساء والنواتية فى التصرف بالجلبة أثناءها أمرا ضخما ،يدخلونها على مضايق ويصرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القيادة ويأتون فى ذلك بعجب يضيق الوصف عنه .

وفى ظهر يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر المذكور،وهو السادس والعشرون من شهر يوليه ،كان نزولنا بجده حامدين لله عز وجل وشاكرين على السلامة والنجاة من هول ماعيناه فى تلك الثمانية الايام طول مقامنا على البحر، وكانت اهوالا شتى ،عصمنا الله منها بفضله وكرمه ،فمنها ما كان يطرأ من البحر واختلاف رياحه وكثرة شعابه المعترضه فيه . ومنها ما كان يطرأ من ضعف عدة المركب واختلالها واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطة أو جذب مرساة من مراسيه ،وربما سنحت الجلبة بأسفلها على شعب من تلك الشعاب اثناء تخللها فنسمع لها هدا يؤذن باليأس ،فكنا فيها نموت مرارا ونحيا مرارا،والحمد لله على ما من به من العصمة وتكفل به من الوقاية والكفاية رضاه ويستهدى المزيد من نعماه ،بعزته وقدرته لا اله سواه .

وكان نزولنا فيها بدار القائد على ،وهو صاحب جده من قبل أمير مكة المذكور،فى صرح من تلك الصروح الخوصية التى يبنونها فى أعالى ديارهم ويخروجون منها الى سطوح يبيتون فيها. وعند احتلالنا جدة المذكورة عاهدنا الله عز وجل سرورا بما أنعم الله به من السلامة ،الا يكون انصرافنا على هذا البحر الملعون الا أن طرأت ضرورة تحول بيننا وبين سواه من الطرق ،والله ولى الخيرة فى جميع مايقضيه ويسنه بعزته.(١)

---

(١) ابن جبير . الرحلة ص ٤٩ ،٥٠، ٥١، ٥٢.

ملحق رقـــم (٣)

طريـــق مكـــه صنعـــــــاء

كما وصفه الادريســــى[١]

والطريق من مكه الى صنعاء يخرج من مكة الى بئر بن المرتفع وفيه بئر ثم الى قرن المنازل وهي قريه كبيره ثم الى صفر وهي قرية صغيره وبصفر بئران ماؤهما غدق عذب يشرب منهما ثم الى كرى وهي قريه عامره كثيره النخل بها عيون مطرده ثم الى الرويثه وهي قرية كبيره فيها نخل كثير وعيون جاريه ثم الى مدينة تباله وبها عيون كثيره ونخل ومزارع وهي صغيره في منخفض أكمه ثم الى بيشه يقظان وهي مدينة صغيره متحضره جيده المساكن حسنة البقعه فيها ماء ظاهر وقليل نخيل ثم الى قرية جسداء وفيها بئر فيها ماء قليل وساكنها قليل ثم الى بيات وهي قرية عظيمه بها بشر كثير ونخل كثير وبها عين ماء عذبه ثم الى سبخه وهو منزل خلاء لاعامر فيه ثم الى كتنه وهي قريه عظيمه فيها عيون وكروم ونخل باسق وبقول ثم الى النجم وهى قرية عامرة فيها بئر ومنها الى سدوم راح وهي قرية كبيره فيها سكان وعمارتها متصله وفيها عيون كثيره وكروم ومدينه جرش منها على ثمانية أميال وجرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير وبهما مدابغ للجلود وهي بضائعهم وبها

(١) نزهة المشتاق ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

تجاراتهم وأهليها مشهورون بذلك .

ومن سدوم الى الهجره وهي قريه عظيمه فيها عيون وفيها بئر بعيده القعر غزيرة الماء وبهذه القريه شجرة عظيمة تسمى طلحة الملك تشبه شجرة الخلاف غير انها أعظم منها وهى حد مابين عمل مكه وعمل اليمن ومنها الى عرقه وهي قريه حسنة ثم الى صعده وهي مدينة صغيره لكنها متحضره وبها دور الدباغة يدبغ بها الاديم الجيد ويتجهز منها الى كثير من بلاد اليمن والحجاز ومنها الى صنعاء مائه وثمانون ميلا منها الى الاعمشيه وهي منزل به عين صغيره ولا ساكن بها ثم الى مدينة خيوان وهى حصن منيع وفيها بركتان للماء واهلها اخلاط من العمرين وفيها كروم تحمل عنبا كبير الحب جدا ويصنع منه زبيب طيب الذوق جليل المقدار ويحمل الى البلاد المجاوره لها والبعيده منها ومنها الى صنعاء اثنان وسبعون ميلا وكذلك من خيوان الى صعدة ثمانية واربعون ميلا وبخيوان قرى وعمارات ومزارع ومياه مغموره بأهليها وبها اصناف من بطون غسان وجمل من قبائل العرب وبقرب من خيوان بلاد الاباضية وبلادهم عامره وحصونهم مانعه وزراعاتهم كثيره وعماراتهم متصله .

ومنها الى اشافت وهي مدينة فيها كروم كثيره وقليل نخل وشرب أهلها من بركة كبيره فيها ينابيع ماء ومنها الى ريده وهى مدينة صغيره كالحصن حفت بها كروم كثيره وزروع متصله وعيون دافقه ولاهلها مواش وجمال وفي الريده

البئر المعطله والقصر المشيد الذي ذكر في الكتب ومنها الى صنعاء مرحلـــــة وقد ذكرنا مدينة صنعاء فيما تقدم من ذكرها في موضعها من الاقليم الاول وهـــذا الطريق الذي ذكرناه تاخذه القوافل في عشرين مرحله.

تابع ملحق رقم (٣)

طريق مكة المدينة (١)

ومن مكه الى المدينة التى تسمى يثرب عن طريق الجاده نحو من عشر مراحل وذلك ان من مكه الى بطن مر ستة عشر ميلا وهو منزل فيه عين ماء في مسيل رمل وحوله نخيلات يأوى اليه قوم من العرب .

ومن بطن مر الى عسفان ثلاثة وثلاثون ميلا وعسفان حصن بينه وبين البحر نحو من عشرة اميال وبه آبار ماء عذبه ويسكنه قوم من جهينه .

ومنه الى قديد اربعة وعشرون ميلا وقديد حصن صغير فيه اخلاط من العرب سمة الشقاء عليهم باديه ولهم نخيلات يتعيشون منها وبين قديد والبحر خمسة اميال.

ومن قديد الى الجحفه سته وعشرون ميلا والجحفه منزل عامر آهل فيه خلق كثير لاسور عليه وهو ميقات اهل الشام ومنه الى البحر نحو اربعة اميال.

ومن الجحفه الى الابواء سبعه وعشرون ميلا والابواء منزل فيه آبار ومنه الى السقيا سبعه وعشرون ميلا والسقيا منزل على نهر جار وبه بستان وحدائق نخل وفيه قوم من طي وسائر قبائل العرب .

---

(١) نزهة المشتاق ق٢ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣

ومن السقيا الى الرويثه سته وثلاثون ميلا وفيها برك ماء اربع وليس بها عامر.

ومنها الى سياله أربعه وثلاثون ميلا وهو منزل قليل العامر فيه آبار ماء شروبه .

ومنها الى ملل سبعه عشر ميلا وهو منزل وبه آبار غدقه كثيرة الماء

ومنها الى الشجره وهو ميقات اهل المدينه اثنا عشر ميلا وهو منزل به قوم من العرب قله ومنها الى المدينه ستة اميال الجمله مئتان وسبعون ميلا .

وطريق اخر من مكه الى المدينه وهو طريق الجبال وفيه تحليق وذلك ان ياخذ المار من مكه في طريق الساحل الى بطن مر ثم الى عسفان ثم الى قديد الى الخرار الى ثنيه المراه الى مدلجه مجاح الى بطن مرجح الى بطن ذات كشد الى الاجدد الي ذي شمر الى بطن اعداء الى مدلجة يعفر ثم الي العينا الى اذان القاحه الى طرف جبل العرج الى ثنية الاعيار الى رشما الي حي عمرو بن عوف الى المدينه.

ملحق رقم (٤)

الطرق التى تربط بين

مدن الحجاز والاقاليم الاخرى

كما وصفها ابن حوقل[1]

فأما المسافات في أضعافها فان من الكوفه الى المدينة نحو عشرين مرحله ، ومن المدينه الى مكه مسافه عشر مراحل في طريق الجادة ، ومن الكوفه الى مكه طريق اخصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل ، اذا انتهى الى معدن النقره عدل عن المدينه حتى يخرج على معدن بنى سليم ثم الى ذات عرق حتى ينتهى الى مكه . واما طريق البصره فالى المدينه ثمانى عشرة مرحلة ويلتقى مع طريق الكوفه بقرب معدن النقره . واما طريق البحرين الى المدينة فنحو خمس عشرة مرحله ، وأما طريق الرفه الى المدينه فنحو عشرين مرحله الى جبلى طيء ، وكذلك من دمشق الى المدينه ومثلها من فلسطين الى المدينة ومن مصر الى المدينه على الساحل عشرون مرحله ، ومجتمعهم مع اهل الشام بأيلة وفي ضمن المصريين يحج المغاربة ، وربما تفردوا بأنفسهم الا انهم يتفقون في مناخ واحد . وربما تقدموا فيكون بينهم ان ينزل احدهم ويرحل الاخرون او يتأخرون على هذا السبيل . وايلة من ناحية الشام اول حدود البادية

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٤٦ ، ٤٧

ولاهل مصر وفلسطين اذا جازوا مدين طريقان : احدهما الى المدينة على بدا وشغب قريه بالباديه كان بنو مروان أقطعوها الزهري وبها قبره حتى ينتهي الى المدينه على المروه . وطريق يمضى على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفه فيجتمع بها اهل العراق ودمشق وفلسطين واهل مصر.

وطريق الرقة وقتنا هذا منقطع الا لقوم من العرب يحجون فيه أفذاذا ويسلكونه عباديد ، وسائر الطرق مسلوكه في وقتنا هذا غيره .

ومن عدن الى مكه نحو شهر ، ولهم طريقان : أحدهما على ساحل البحر وهو أبعد ، وهي جادة تهامة والسائر عليها يأخذ على صنعاء وصعده وجرش وبيشة وتباله حتى ينتهى الى مكه ، وطريق آخر على البوادي غير طريق تهامة يقال له الصدور في سفح جبل نحو عشرين مرحله وهو اقرب غير انه على أحياء اليمن ومخاليفها يسلكه الخواص منهم واما اهل حضر موت ومهره فانهم يقطعون عرض بلادهم حتى يتصلوا بالجاده بين عدن ومكه ، والمسافه منهم الى الاتصال بهذه الجاده اثنتان وعشرون مرحله ، فيصير جميع طريقهم نيفا وخمسين مرحله وطريق عمان يصعب سلوكه في البريه لكثرة القفار وقلة السكان ، وانما طريقهم في البحر الى جدة فان سلكوا على السواحل من مهرة وحضر موت الى عدن او الى طريق عدن يعد عليهم وقلما يسلكونه . وكذلك مابين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم .

وأما مابين البحرين وعبادان فغير مسلوك كان الى هذه الغاية وقد سلك وهو قفر والطريق منها الى البحر . ومن البصره الى البحرين على الجاده احدى عشرة مرحلة ، وعلى هذا الطريق أتى سليمان بن الحسن متزودا الماء من البحرين الى البصره ولا ماء فيه ، وهو على الساحل نحو ثمانى عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر غير أنه مخوف .

تابع ملحق رقم (٤)

بعض مدن الحجاز

كما وصفها ابن حوقل[1]

والجار فرضة المدينه ، وهى على ثلاث مراحل منها على شط البحر ، وهي اصغر من جده ، وجده فرضة لاهل مكه على مرحلتين منها على شط البحر وكانت عامره كثيره التجارات والاموال ، ولم يكن بالحجاز بعد مكه اكثر مالا وتجاره منها ، وكانت تجاراتهم تقوم بالفرس ، فلما أقام بها ابن جعفر الحسني تشتت اربابها ورزحت احوالها .

والطائف مدينة صغيره نحو وادى القرى كثيره الشجر والثمر ، واكثر ثمارها الزيت وهي طيبه الهواء ، وفواكه مكه وبقولها منها وهي على ظهر جبل غزوان ، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل ، وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من راس هذا الجبل ، ولذاك اعتدك هواء الطائف وبلغني انه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل ، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع .

والحجر قريه صغيره قليلة السكان وهي من وادى القرى على يوم بين جبال ، وبها كانت ديار ثمود الذي قال الله تعالى :(وتنحتون من الجبال

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٩ ، ٤٠، ٤١

بيوتا فرهين)وذكر أبو اسحق الفارسي ان بيوتها منقورة كبيوتنا في اضعـــــاف جبالها ، وتدعى تلك الجبال الاثالب وهى جبال في العيان متصله ، حتـــي اذا توسطت كانت كل قطعه منها قائمه بذاتها ، يطوف بكل قطعة منها الطائـــف ودونها جبال رمال لايكاد يرتقى الى ذراها الا بمشقه شديده وبها بئر ثمـــود التي قال الله تعالى في الناقه " لها شرب ولكم شرب يوم معلوم".

وتبوك بين الحجر وبين اول الشام على اربع مراحل في نحو نصـــف طريق الشام وهي حصن وله عين ماء ونخيل وحائط ينسب الى النبى صلى الله عليـــه وسلم ، ويقال ان اصحاب الايكه الذين بعث الله اليهم شعيبا كانوا بها ، ولـــم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين . ومدين على بحر القلزم محاذيه لتبـــوك على نحو ست مراحل ، ومدين اكبر من تبوك وبها البئر التى استسقى منها موســـي عليه السلام لسائمة شعيب ، وهى بئر مغطاه قد عمل عليها بيت ، وماء اهلهـــا من عين تجري لهم ، ومدين اسم القبيله التي كان منها شعيب ، وانما سميـــت القريه بهم الا ترى ان الله تعالى يقول والى مدين أخاهم شعيبا.

والجحفه منزل عامر ، وبينها وبين البحر نحو ميلين وهى مـــن الكبر ودوام العماره نحو مدينه فيد ، وليس بين مكه والمدينه منزل يستقـــل بالعماره والاهل سائر السنه كهى ولا بين المدينه والعراق مكان يستقل بالعمـــارة والاهل جميع السنه مثل فيد . وهى في ديار طيء ، وجبلا طيء منها على مسيـــرة

يومين ، وبها نخيل وزروع قليله لطيء وبها ماء نافه ، ويسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنه ينتجعون المراعي وخيبر حصن ذو نخيل كثيرة وزرع.

وينبع حصن به نخيل وماء وزرع ، وبها وقوف لعلى بن أبى طالب عليه السلام يتولاه أولاده . ويقرب ينبع جبل رضوى وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ، ورأيته من ينبع كخضره البقل وزعم بعض اصحابنا انه طاف في شعابه وفيها ماء كثير واشجار وهو الجبل الذى تزعم طائفه الكيسانية ان محمد بن علي بن أبي طالب فيه حيا مقيما ومنه يحمل حجاره المسن الى سائر الافاق وفيما بينه وبين ديار جهينه وسائر البحر ديار للحسنيين ، يسكنونها ببيوت الشعر نحو سبع مائة بيت بادية كالاعراب ، ينتجعون المراعي والمياه بزي كزي الاعراب لاتميز بينهم فى خلق ولا خلق ، وتتصل ديارهم فيما يلى المشرق بوادي ودان وهو من الجحفه على مرحلة وبينهم وبين الابواء التى على طريق الحاج فى غربيها ستة اميال . وبها رئيس الجعفريين من ولد جعفر بن ابي طالب وله بالفرع والسابره ضياع كثيره وعشيرة واتباع وبينهم وبين ولد الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام حروب ردماء حتى لقد استولت طائفة من اليمن يعرفون ببنى حرب على ضياعهم وصاروا حربا لهم والبا عليهم وقد ضعفوا بخلافهم وتيماء حسن اعمر من تبوك وهي في شمال تبوك ولها نخيل وهي ممتار الباديه وبينها وبين اول الشام ثلاثة ايام.

ملحق رقم (٣)

أشراف مكة وخلفاء بني العباس وحكام الدولة الفاطمية
(١)
أشراف مكة

أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر	٣٥٦
عيسى بن أبي محمد جعفر	٣٧٠
أبو الفتوح الحسن بن أبي محمد جعفر أبو الطيب	
داوود بن عبد الرحمن بن عبد الله بن داؤود	سنة ١
أبو الفتوح الحسن (للمرة الثانية)	٤٠٣
محمد شكر بن أبي الفتوح الحسن	٤٣٠
حمزة بن وحاش بن أبي الطيب داؤود	٤٥٣
أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد تاج المعالي	٤٦١
أبو فليته القاسم بن محمد بن جعفر	٤٨٧
فليته بن القاسم بن محمد بن جعفر	٥١٧
هاشم بن فليته بن القاسم	٥٢٧
القاسم بن هاشم بن فليته	٥٤٩
عيسى بن فليته بن القاسم	٥٥٦

(١) زمباور .. معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ص ، ٣٠ ، ٣١

(١)

الخلفاء العباسيون

١ -	أبو العباس أحمد القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر	سنة ٣٨١ هـ
٢ -	أبوجعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر	سنة ٤٢٢هـ
٣ -	أبوالقاسم عبد الله عدة الدين المقتديبأمر الله ابن محمد بن القائم	سنة ٤٦٧هـ
٤ -	أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدي	سنة ٥٨٧
٥ -	أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر	سنة ٥١٢هـ
٦ -	أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد	سنة ٥٢٩
٧ -	أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بم المستظهر	سنة ٥٣٠هـ
٨ -	أبو المظهريوسف المستنجد بالله بن المقتفي	سنة ٥٥٥هـ
٩ -	أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد	سنة ٥٦٦هـ

---

(١) زامباور .. معجم الانساب و الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ص ٤

الفاطميون (١)

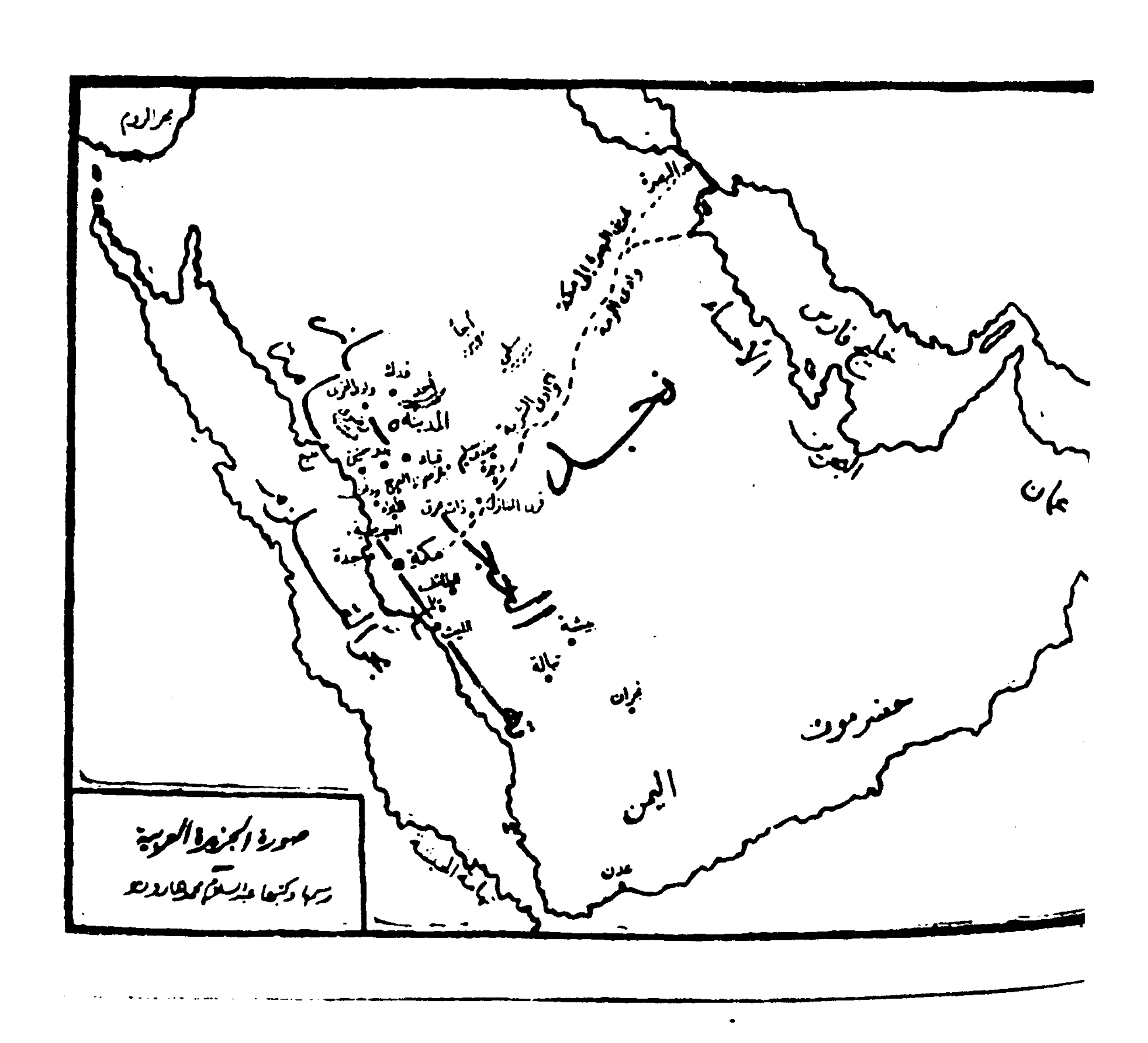
١ ـ الحاكم ،	أبو علي المنصور	سنة ٣٨٦ هـ
٢ ـ الظاهر ،	أبو الحسن علي	سنة ٤١١ هـ
٣ ـ المستنصر ،	أبو تميم معد	سنة ٤٢٧ هـ
٤ ـ المستعلي ،	أبو القاسم أحمد	سنة ٤٨٧ هـ
٥ ـ الآمر ،	أبو علي المنصور	سنة ٤٩٥ هـ
٦ ـ الحافظ ،	أبو الميمون عبد المجيد	سنة ٥٢٥ هـ
٧ ـ الظافر ،	أبو المنصور اسماعيل	سنة ٥٤٤ هـ
٨ ـ الفائز ،	أبو القاسم عيسى	سنة ٥٤٩ هـ
٩ ـ العاضد ،	أبو محمد عبد الله	سنة ٥٥٥ هـ

---

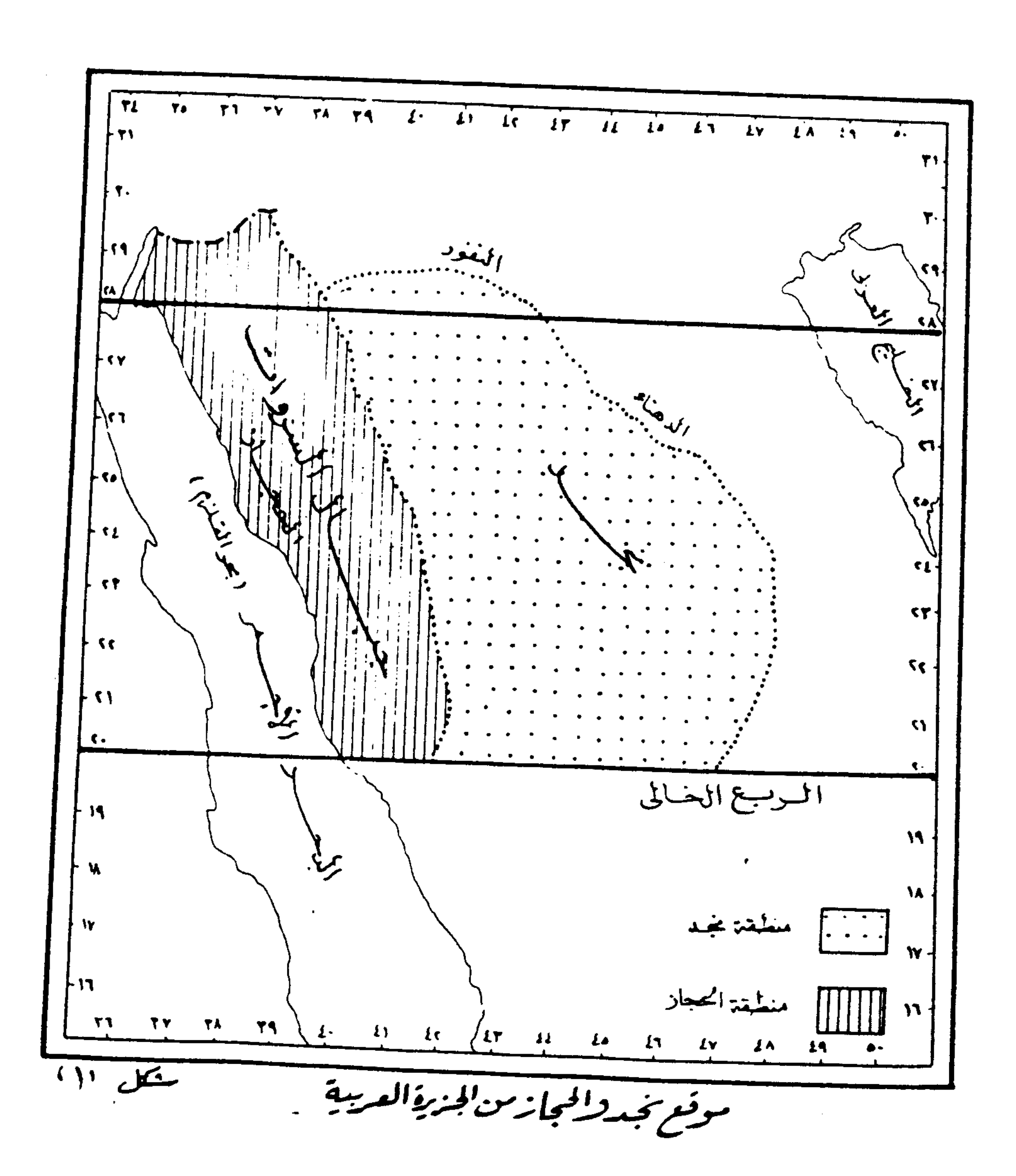
(١) زامباور معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التارسخ الاسلامي ، ص ٤

ملحـــــــق رقـــــــم
(٦)

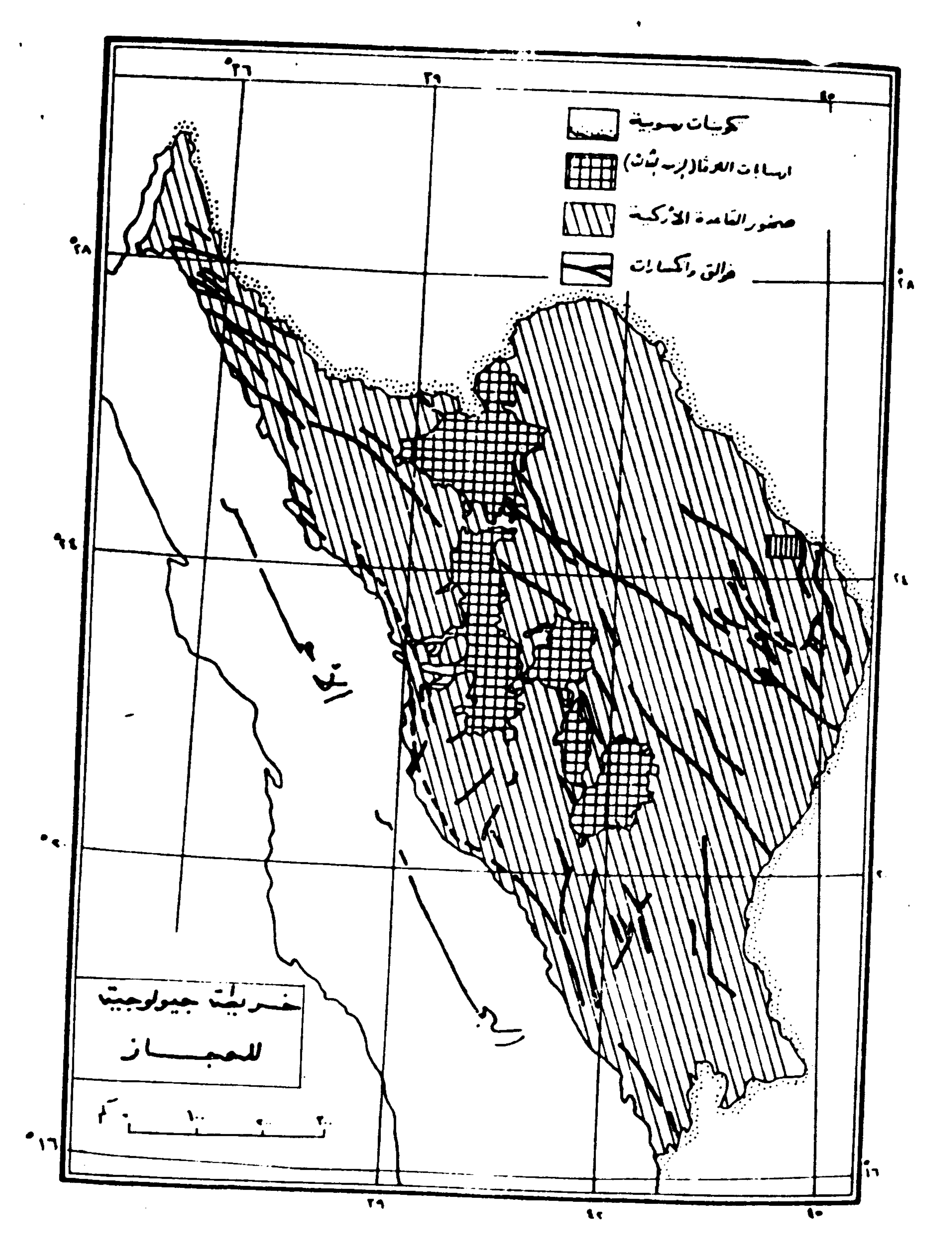
الخرائـــــــــط



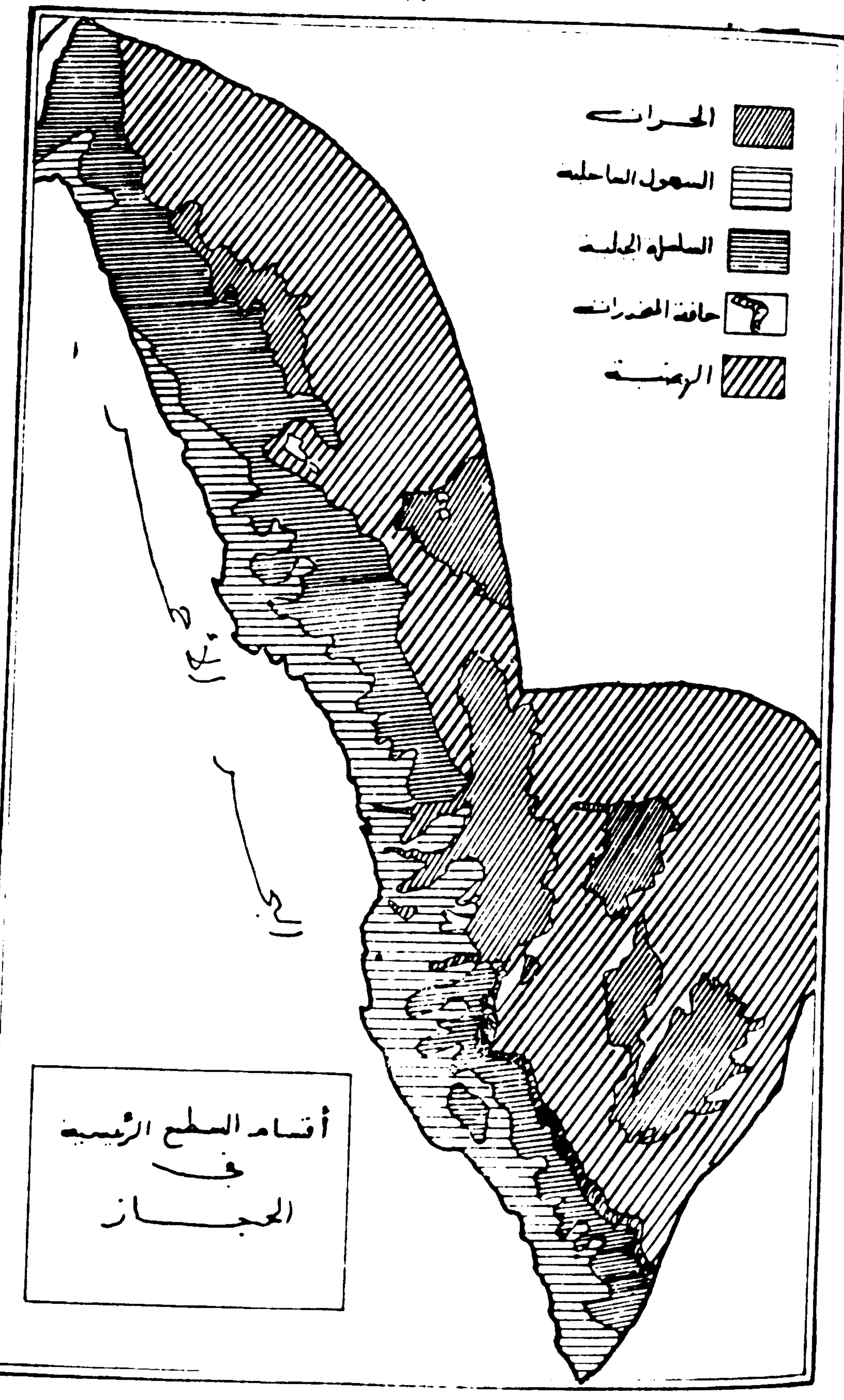
.ام أسماء جبال تهامة ص ١٥

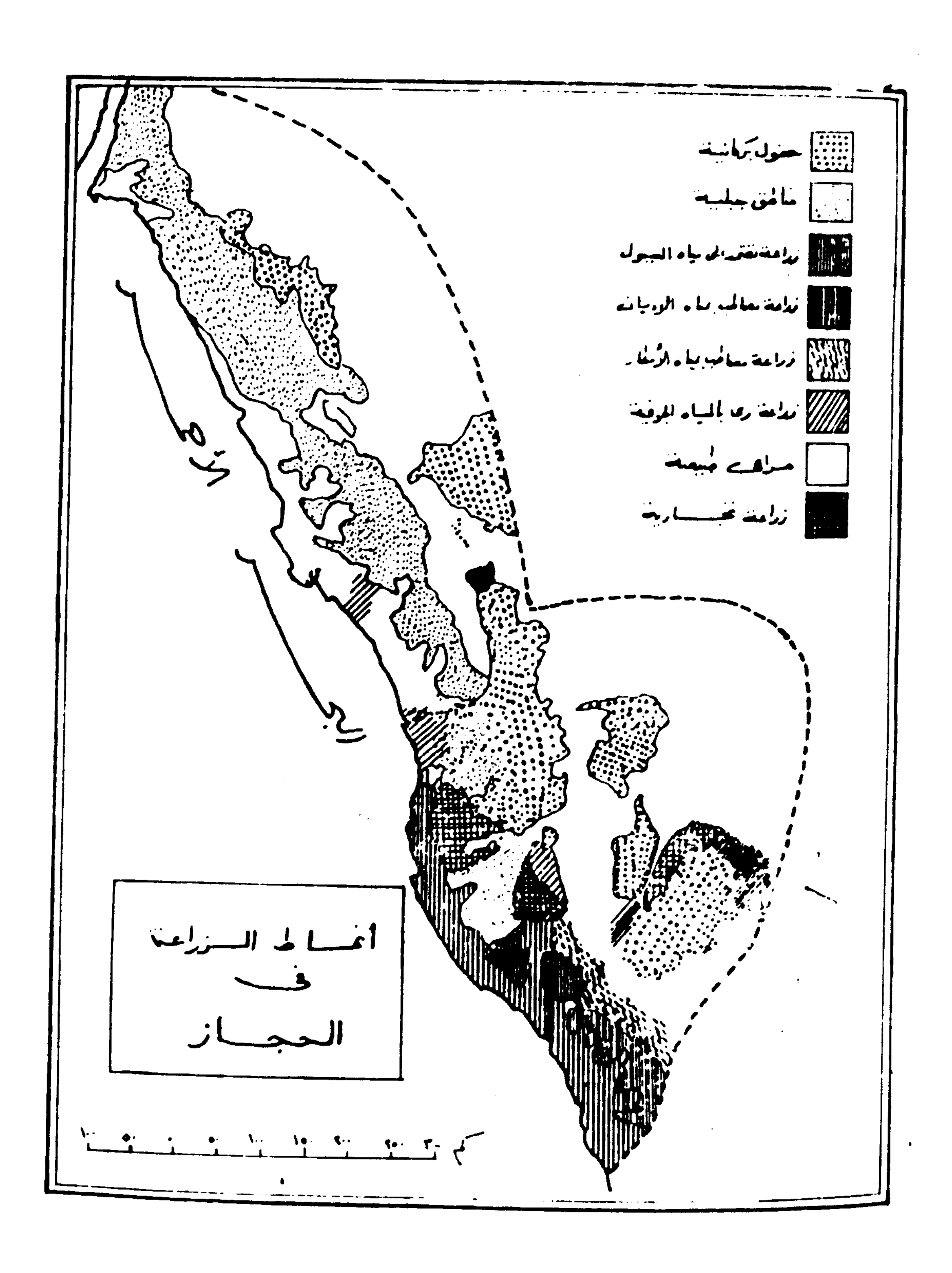


شكل (١)
موقع نجد والحجاز من الجزيرة العربية

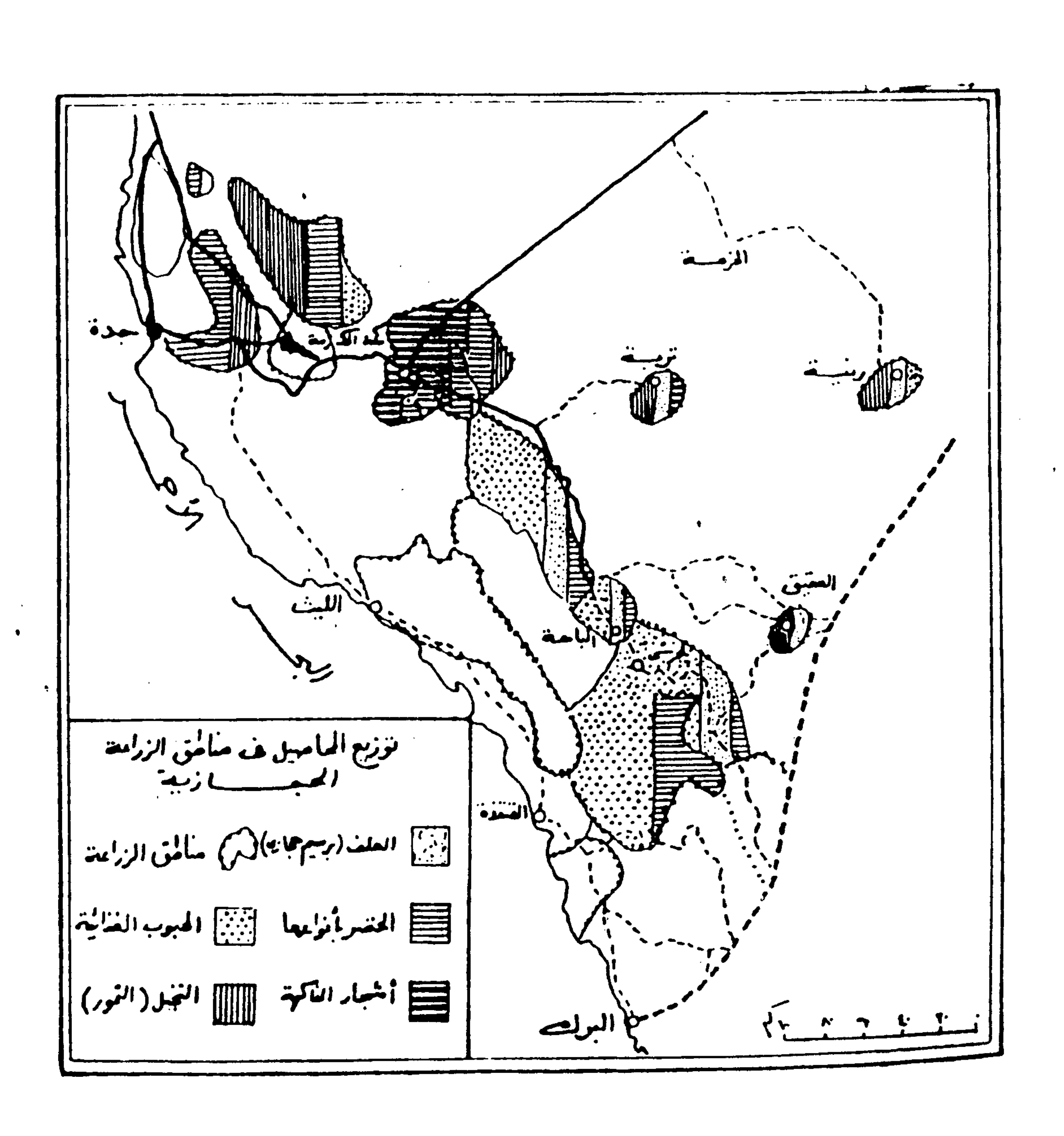


عمر الفاروق : الحجاز أرضه وسكانه ،ص ٩١ : دار الشروق - جده .

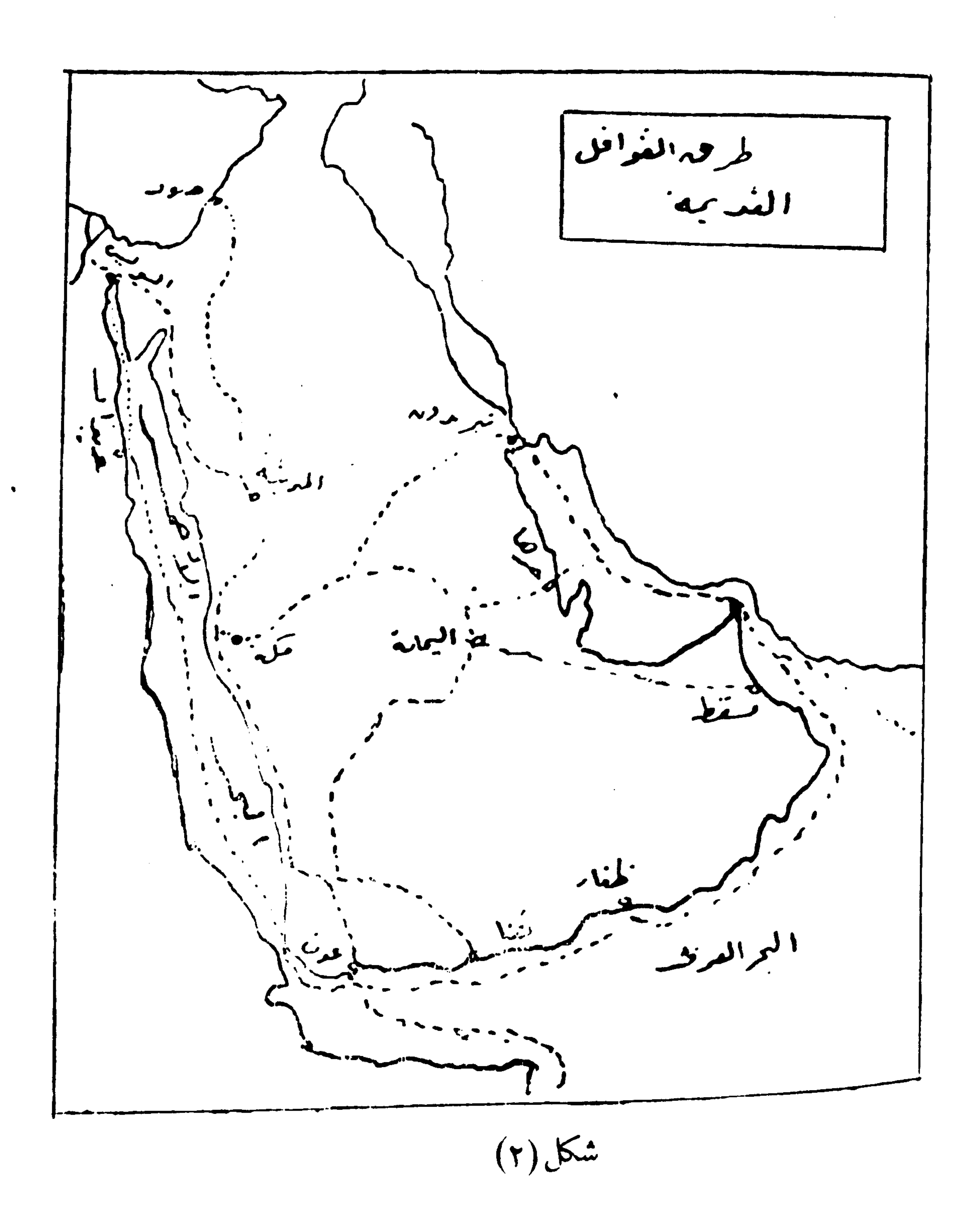

الحرات
السهول الساحلية
السلسلة الجبلية
حافة المنحدرات
الهضبة
أقسام السطح الرئيسية
في
الحجاز



عمر الفاروق . الحجاز ،ص ٢٧٩ .

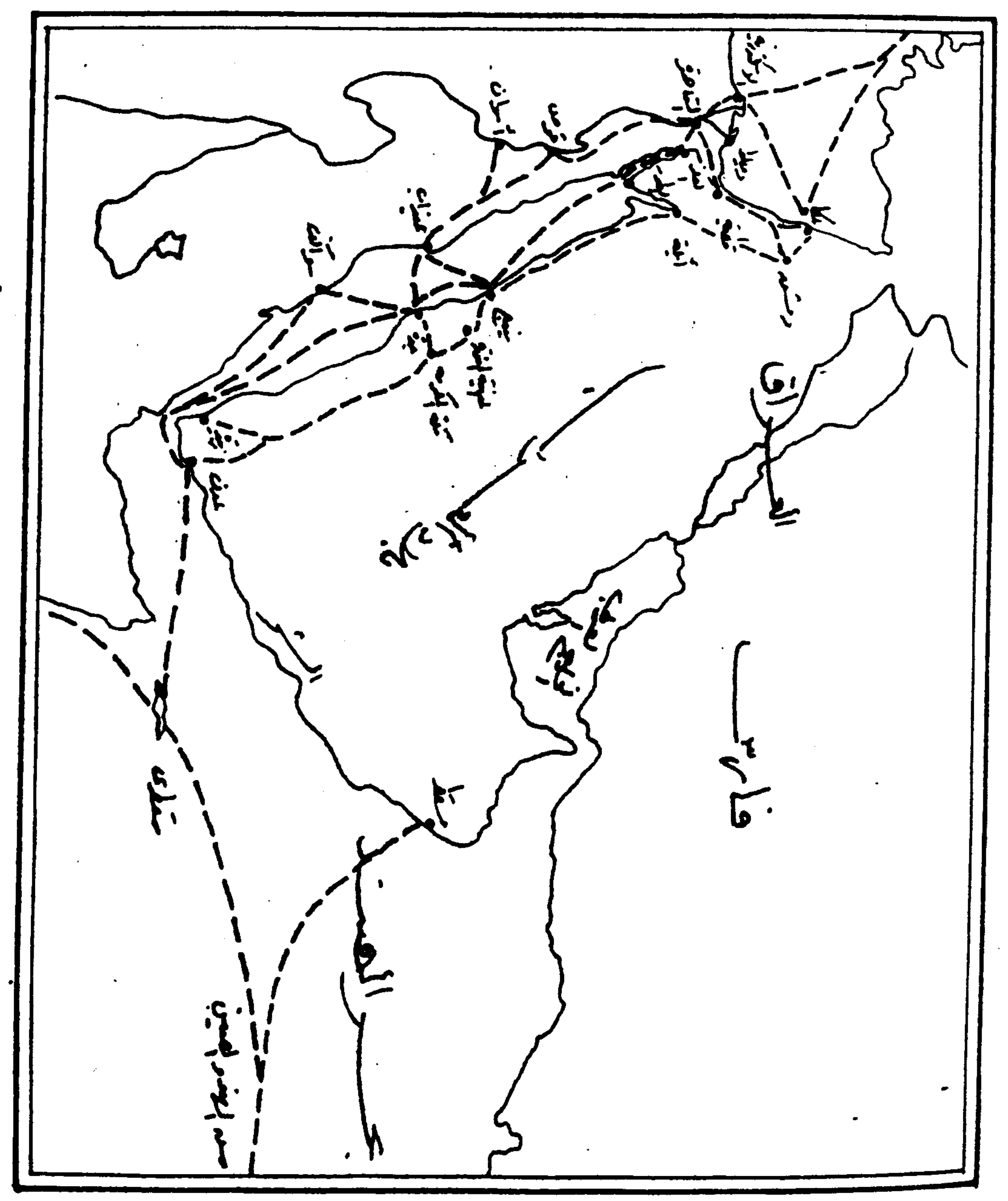


عمر الفاروق . الحجاز . ص ٢٩٠



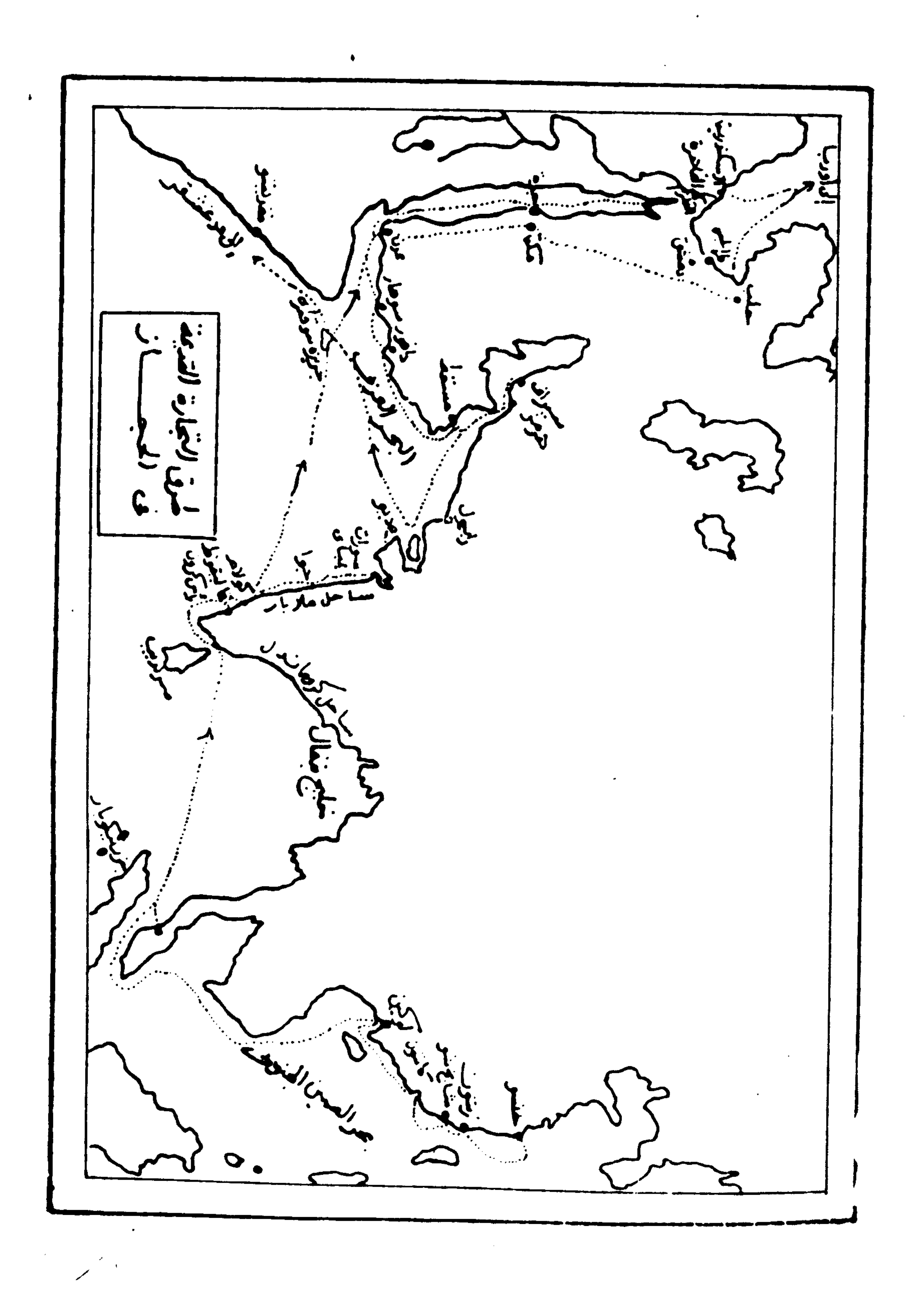
شكل (٢)

محمود طه : جغرافية شبه الجزيرة ، شكل (٢) القاهرة ١٩٧٢م.

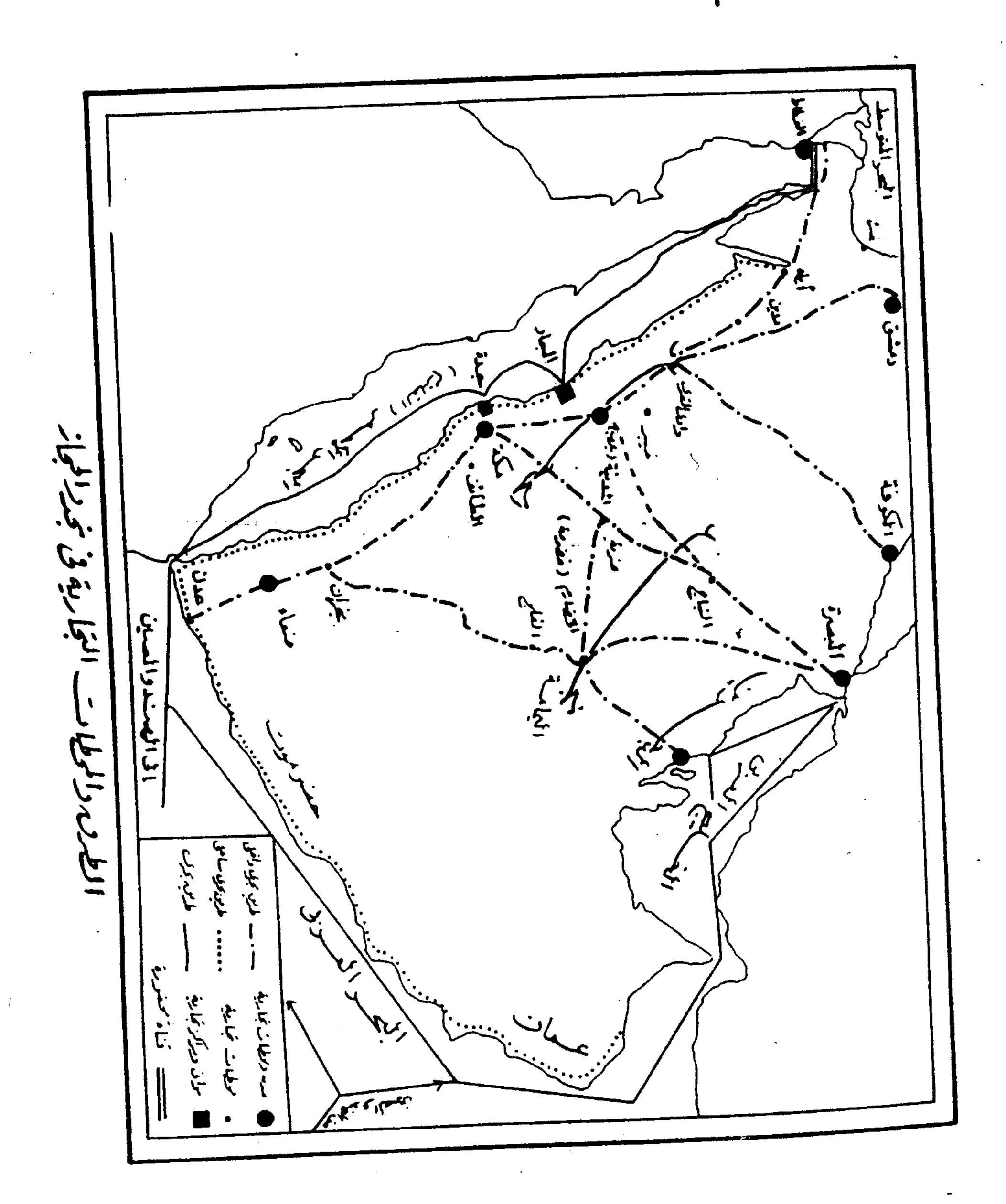


العبيدي : التجارة والملاحة.

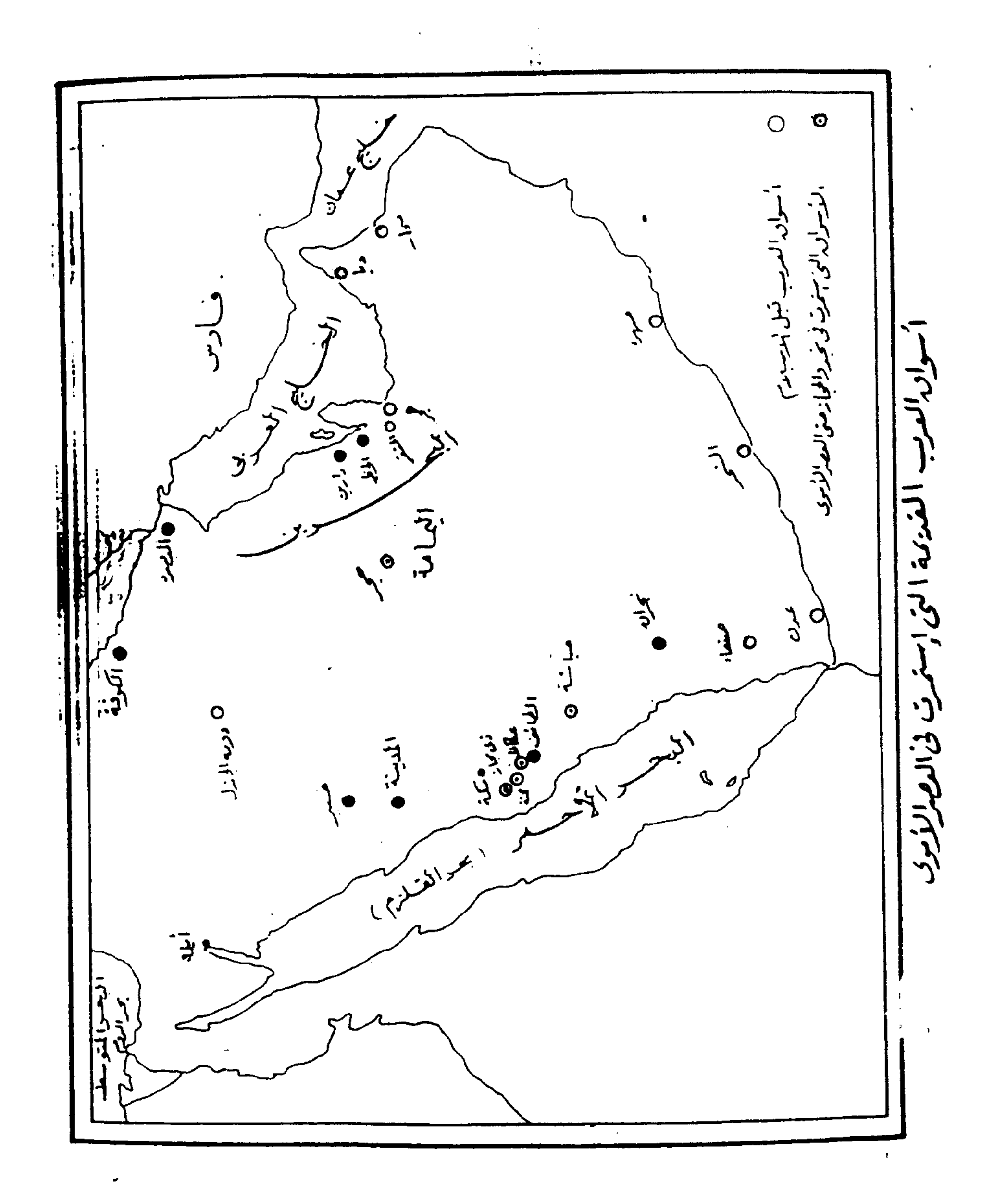
الطريق التجاري البحري بين الشرق (الصين - الهند - جزر الهند) وبين بلاد البحر الأحمر ٢٢٢ م



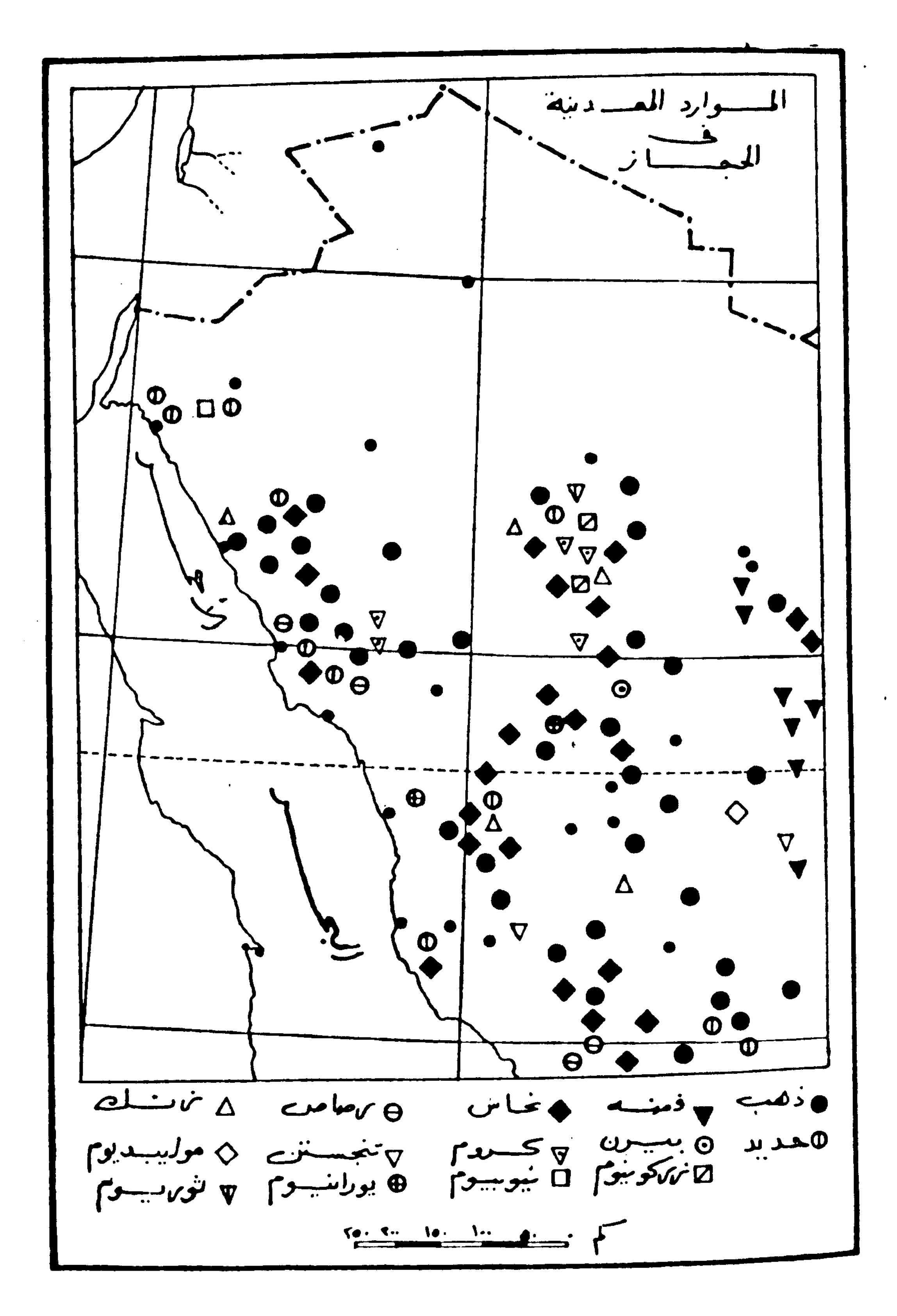
عمر الفاروق . الحجاز . ص ٤٥.



السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، شكل ٣ .



السيف ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، شكل ٢.



عمر الفاروق . الحجاز ، ص ٣٢١ .

المصـــادر

والمراجــــــع

أولا المصادر المخطوطة :

١- الحضراوى احمد بن محمد ت (١٢٥٢هـ)

الجواهر المعدة فى تاريخ جده ،مخطوط بجامعة الملك سعود فلم رقم (١٩١)٠

٢- السبكى . عبدالوهاب بن على السبكى ت (٧٧١هـ)٠

تنزيل السكينة على قناديل المدينة مخطوط بجامعة الملك سعود فلم رقم (٨١)٠

٣- السنجارى:على بن تاج الدين ت (١١٢٥هـ)٠

منايح الكرم ، مخطوط بمكتبه الحرم المكى رقم٣٠) دهلوى

٤- الصباغ٠ محمد بن احمد ت(١٣٢١هـ)

تحصيل المرام فى اخبار مكة والبيت الحرام والمشاعر العظام مخطوط بجامعة الملك سعود فلم رقم ٢٣٣)٠

٥- الفاسى: محمد بن الحسن

المقنع فى أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء. مخطوط بجامعة ام القرى فلم رقم (٨٢٩)٠

٦- ابن فهد :محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ت(٩٥٤هـ)٠
القرى فى أودية ام القرى مخطوط بجامعة ام القرى فلم رقم
(٤ ك ٢٣٨)٠

٧- الكبريت: محمد بن عبدالله ت (١٠٧٠هـ)٠
الجواهر الثمينه فى محاسن المدينة مخطوط بجامعة أم القرى فلم
رقم (٨٤٤٧)٠
تاريخ المدينه ٠ مخطوط بجامعة الملك سعود رقم (٤٤٨)٠

٨- مجهول٠ المنازل ٠ مخطوط بجامعة الملك سعود فلم رقم (١٧)٠

ثانيا : المصادر المطبوعة :

١- الابشيهى . شهاب الدين محمد.ت ٨٥٠هـ

المستطرف من كل فن مستظرف. نشر مكتبة الرياض الحديثة .

٢- ابن الأثير. أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى. ت(٦٣٠)هـ

الكامل فى التاريخ نشر دار الفكر بيروت ت (١٣٩٨)هـ.

٣- الادريسى أبو عبدالله محمد بن محمد بن ادريس الحمودى ت (٥٦٠)هـ

نزهة المشتاق فى اختراق الافاق. ثلاثة أقسام نابولى ايطاليا .

٤- الازرقى. محمد بن عبدالله بن أحمد ت(٢٥٠)هـ

أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ١٢٧٥هـ

٥- الاصطخرى. ابراهيم بن محمد الفارس .

المسالك والممالك ط ليدن ١٩٣٧م

٦- الاصفهانى ـ الحسين بن عبد الله ، ت فى القرن الثالث الهجرى.

٧- الاصفهانى ابو الفرج على بن الحسن ت(٣٦٥هـ)

الاغانى ، ط دار الكتب المصرية ١٩٣٠م القاهرة .

مقاتل الطالبين تحقيق احمد صقر نشر دار المعرفة بيروت.

بلاد العرب. تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى . نشر دار اليمامة الرياض ١٣٨٨هـ

٨ ـ الأنصاري شمس الدين أبو عبد الله

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر نشر مكتبة المثني ببغداد

٩ ـ ابن أيبك . عبد الله بن أيبك الداوردي .

كنز الدرر وجامع الغرر . تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٨٠م

١٠ ـ ابن بطوطه . أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، ت (٧٧٩هـ).

تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار نشر دار بيروت للنشر .

١١ ـ البكري . أبو عبيد الله بن عبدالعزيز . (ت ٣٨٧هـ ـ ١٠٩٤م) .

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمراجع تحقيق مصطفى السقا نشر عالم الكتب بيروت .

١٢ ـ البلاذري . أبو الحسن أحمد بن يحى بم جابر . ت ٢٦٩هـ .

فتوح البلدان مراجعة وتعليق رضوان نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ .

١٣ ـ البلوي. خالد بن عيسى . (ت ٧٦٥هـ) .

تاج المفرق في تحلية علماء المشرق . تحقيق الحسن بن محمد السائح نشر اللجنة المشتركة بدولة الأمارات والمغرب لنشر التراث الاسلامي.

١٤ ـ ابن البيطار . ضياء الدين بن عبيد الله بن أحمد ت ٦٦٤هـ .

الجامع لمفردات الأغذية والأدوية مكتبة المثنى ببغداد.

١٥ ـ التجيبي . القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السني ٦٧٠ هـ .

مستفاد الرحلة والاغتراب تحقيق عبدالحفيظ منصور. الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ.

١٦ ـ ابن تغري بردي . جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت (٦١٤هـ) .

النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة. ط دار الكتب المصرية .

١٧ ـ التنوخي . الحسن بن على بن محمد أبو علي ت ٣٨٤ هـ .

الفرج بعد الشدة . مكتبة زكي مجاهد القاهرة ١٣٥٧هـ .

١٨ ـ التهامى، أبو الحسن على بن محمد ت(٤١٦)هـ
ديوان شعر، تحقيق محمد عبدالرحمن الربيع دار المعارف ١٤٠٢هـ
الرياض

١٩ ـ ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨)هـ
اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم تحقيق محمد
حامد الفقى ،نشر دار المعرفة بيروت.

٢٠ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت(٢٥٥)هـ
التبصرة بالتجارة ط الثانية ١٣٥٤هـ القاهرة .

٢١ ـ ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ت (٦١٤).
تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار (رحلة ابن جبير) دار
بيروت للنشر ١٤٠٤هـ.

٢٢ ـ الجزيرى عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر ت(٩٤٤)هـ
درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمه ،نشر
دار اليمامة الرياض .

٢٣ ـ ابن الجوزى، جمال الدين أبى الفرج عبدالرحمن ت(٥٩٧)هـ
تلبيس ابليس، دار الكتب العلمية ، بيروت .
أخبار الظراف مكتبة الكليات الازهرية ١٩٧٨.
ذم الهوى تحقيق مصطفى عبدالواحد ١٣٨١هـ.
المنتظم دار الثقافه ، بيروت

٢٤ ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمد ت ٢٤٥هـ.
مختلف القبائل ومؤتلفها تحقيق ابراهيم الانبارى ط القاهرة .

٢٥ ـ الحربى، ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم ، ت (٢٨٥)هـ
كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق حمد الجاسر، نشر دار
اليمامة ١٤٠٨هـ الرياض .

٢٦ـ ابن حزم . على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى الاندلسى(٣٥٦)هـ
جمهرة أنساب العرب ١٤٠٣هـ بيروت.

٢٧ ـ الحموى. شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت ت (٦٦٠هـ ـ ١٢٢٩م).
معجم البلدان. دار احياء التراث العربى . بيروت

٢٨ ـ الحميرى. أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبدالمنعم ت (٧١٠)هـ
الروض المعطار فى خبر الاقطار تحقيق د. احسان عباس بيروت ١٩٧٥م

٢٩ ـ ابن حنبل . أحمد ت(٢٤١)هـ
المسند دار المعارف القاهرة ١٩٧٤م.

٣٠ ـ ابن حوقل. أبو القاسم بن حوقل النصيبى ت (٣٦٧)هـ
صورة الأرض . نشر دار مكتبة الحياة . بيروت

٣١ ـ ابن خرداذبه . ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الخرسانى(٣٠٠)هـ
المسالك والممالك. طبعة ليدن ١٨٨٩)م

٣٢ ـ خسرو. ناصر المدنى. ت (٤٥٣هـ ـ ١٠٦١م)
سفرنامه . ترجمة على الخشاب نشر مكتب المكتبة العلمية بيروت.

٣٣ ـ الذهبى شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨) هـ.
تاريخ الاسلام طبقات المشاهير والاعلام ٦ أجزاء. القاهرة ١٣٦٨هـ.
العبر فى خبر من غبر تحقيق محمد السعيد زغلول الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ دار المكتبة العلمية بيروت.

٣٤ ـ ابن رسته . أبى على أحمد بن عمر كان حيا سنه (٢٩٠)هـ
الاعلاق النفسيه . المجلد السابع مطبعة بريل ليدن سنه (١٨٣١)م.

٣٥ ـ الزبير بن بكار
جمهرة نسب قريش مطبعة المدنى. (١٣٨١هـ) القاهرة.

٣٦ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت (٥٣٨)هـ
الجبال والامكنة والمياه . تحقيق ابراهيم السامرائي بغداد
١٩٦٨م

٣٧ - الزهري محمد بن أبي بكر،
الجغرافيا . تحيق محمد حاج صادق،

٣٨ - السخاوي أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن ت(٩٠٢) (١٤٩٦)م
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة تصحيح محمد حامد
الفقي،
مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٥هـ،

٣٩ - ابن سعد، محمد بن منيع البصري ت(٢٣٠)هـ
كتاب الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت،

٤٠ - ابن سلام أبي عبيد القاسم بن سلام ت(٢٢٤)هـ،
كتاب الاموال، نشر مكتبة الكليات الازهرية . ودار الفكر
القاهرة ١٤٠١هـ

٤١ - السمهودي، نورالدين علي بن احمد السمهودي ت (٩٨١)هـ،
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ المدينة
المنورة

٤٢ - ابن سيده أبو الحسن علي بن اسماعيل ت (٤٦٨)هـ،
المخصص . نشر المكتب التجاري بيروت .

٤٣ - أبو شامه . محمد بن عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي
ت(٦٦٥)هـ،

٤٤ - ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (٨٧٣)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك تصحيح بولس رايس مطبعة
الجمهورية باريس (١٨٩٤)م .
الروضتين في أخبار الدولتين . نشر دار الجبل . بيروت .

٤٥ - الطبري، علي بن عبدالقادر الطبري ت (١٠٧٠)
القرى لقاصد أم القرى . نشر دار الفكر عام ١٤٠٣هـ،
الارج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق محمد عبد الله الطاسان
مطبوع على الآلة ١٤٠١هـ،

٤٦ – ابن ظافر جمال الدين بن علي .
أخبار الدول المنقطعة . مطبوعات المعهد العلمي للآثار القاهرة ١٩٧٢م

٤٧ – العباس . احمد بن عبدالحميد ت (القرن العاشر) .
عمدة الاخبار في مدينة المختار نشر المكتبة العلمية المدينة المنورة .

٤٨ – العبدري . أبي عبدالله محمد بن محمد .
الرحلة المغربية تحقيق محمد الفاسي .

٤٩ – عرام بن الاصبغ السلمي ت (في القرن الثالث الهجري)
اسماء جبال تهامه تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الاولى القاهرة ١٣٧٣هـ

٥٠ – الفاسي . تقي الدين محمد بن احمد الحسن . ت (٨٣٢هـ – ١٤٢٩م) .
العقد الثمين بتاريخ البلد الامين تحقيق حامد الفقي ط الثانية ١٤٠٦هـ بيروت .

٥١ – الفاكهي أبو عبدالله محمد بن سجستان (ت بعد ٢٧٢هـ)
أخبار مكة مجموعة تاريخ مكه ط ليدن .

٥٢ – أبو الفدا . الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ت (٧٣٢)هـ .
تقويم البلدان باريس (١٨٤٠م) .

٥٣ – ابن الفقيه . ابوبكر احمد بن محمد ت (٢٩٠هـ) .
مختصر كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢هـ .

٥٤- ابن فهد، عمر بن فهد بن محمد بن فهد ت(٨٨٥)هـ.
اتحاف الورى بأخبار أم القرى، نشر مركز البحث العلمي بمكة ١٤٠٤هـ.

٥٥- ابن فهد، عبدالعزيز بن عمر، ت (٩٢٢هـ)، غاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام تحقيق فهيم شلتوت نشر مركز البحث العلمي بمكة ١٤٠٤هـ.
الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ.

٥٦- الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب ، (٨٢٣هـ).
المغانم المطابة في معالم طابه، تحقيق حمد الجاسر الطبعة الأولى ١٣٨١هـ الرياض .

٥٧- ابن قدامه ، عبدالله بن أحمد بن قدامه ،(ت ٦٢٠)هـ
المقنع، الطبعة الأولى بيروت ١٣٩٩هـ.

٥٨- ابن قاضي شهبه ، بدر الدين، ت (٨٧٠هـ).
الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمد زايد الطبعة الأولى بيروت ١٩٧١م .

٥٩- القزويني، زكريا بن محمد بن محمد ت (٦٨٢هـ).
اثار البلاد واخبار العباد طبع دار بيروت للطباعة ١٤٠٣هـ.

٦٠ - القطبي، عبدالكريم القطبي ت (١٠١٤هـ).
أعلام العلماء ببناء المسجد الحرام، نشر دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٣هـ

٦١- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ت (٨٢١هـ ١٤١٨م).
صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩٦٣م .
نهاية الارب في معرفة انساب العرب الطبعة الأولى بيروت ١٤٠٥هـ.
مآثر الانافة في معالم دار الخلافة ، تحقيق عبدالقادر حزام نشر عالم الكتب بيروت ١٩٨٠م

٦٢- ابن القيم، ابي عبدالله محمد ت (٧١٥هـ).
اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، نشر دار المعارف بيروت.

٦٣- ابن كثير، الحافظ بن كثير الدمشقى (٧٧٤)هـ.
البداية والنهاية، نشر مكتبة المعارف بيروت.

٦٤- مالك، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عمار التميمى الحميرى ت (١٧٩)هـ.
المدونة، مطبعة السعادات القاهرة ١٣٢٣هـ.

٦٥- ابن المجاور، محمد بن مسعود البغدادى النيسابورى توفى بعد سنة (٦٠٦)هـ
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز(المسمى تاريخ المستبصر)
تصحيح اوسكر لوففرين ليدن ١٩٥١م.

٦٦- المراغى، أبى بكر بن الحسن بن عمر ت (٨١٦)هـ.
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبدالجواد الأصمعى الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٦٧- المسبحى، محمد بن عبيد الله، ت (٤٢٠هـ - ١٠٢٩م).
أخبار مصر فى سنتين ٤١٥/٤١٤ تحقيق وليم ج مليود، الهيئة المصرية للكتاب.

٦٨- المسعودى، أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ت (٣٤٦)هـ.
مروج الذهب، ومعادن الجوهر، نشر دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت

٦٩- المطرى محمد بن احمد ت ٧٤١هـ.
التعريف بما أنست به الهجرة من معالم دار الهجرة، نشر المكتب العلمى سنه ١٤٠٢هـ.

٧٠- المغربى، ابى الحسن على بن موسى بن سعيد، ت (٦٤٠هـ).
الجغرافية تحقيق اسماعيل العربى ط بيروت ١٩٧٠م

٧١- المقدسى، بهاء الدين بن عبدالرحمن بن ابراهيم، ت (٦٢٤هـ).
العدة شرح العمدة نشر مكتبة الرياض الحديثة.

٧٢- المقدسي الحنفي. ت (٣٧٥هـ)
احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. باعتناء دى غوية، مطبعة بريل، ليدن: ١٩٠٦م.

٧٣- المقدسي. شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى ابكر البناء.

٧٤- المقريزي أبو العباس أحمد بن على بن عبدالقادر ت (٨٤٥هـ - ١٤٤١)م
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار. نشر دار صادر بيروت.
اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا تحقيق د. محمد حلمى محمد القاهرة، سنه ١٣٩٣هـ.
النقود الاسلامية القديمة. (ضمن مجموعة النقود العربية وعلم النميات)
عناية الأب انستاس مارى الكرملى)
الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .القاهرة ١٩٥٥م.

٧٥- ابن مماتى . ابوالمكارم . أسعد بن الحطير (٦٠٦)هـ.
قوانين الدواوين جمع وتحقيق عزيز سوريال طبع فى مصر سنه ١٩٤٣م.

٧٦- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد ابن أبى القاسم ت (٧١١)هـ.
لسان العرب . نشر دار المعارف القاهرة.

٧٧- ابن النجار الحافظ محمد بن محمود. ت (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م).
أخبار مدينة الرسول. تحقيق صالح جمال الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مكة المكرمة.

٧٨- الواقدى. عبد الله محمد بن عمر. ت (٢٠٧هـ - ٨٢٢م).
كتاب المغازى لندن ١٩٦٦م.

٧٩- الورثيلانى .الحسن بن محمد ت ١١٩٣هـ.
نزهة الانصار فى فضل علم التاريخ والاخبار.
نشر دار الكتاب العربى الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ بيروت.

٨٠ - وكيع، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦)هـ
أخبار القضاه، نشر عالم الكتب،

٨١ - الهروى، ابى الحسن على بن ابى بكر، ت (٦١١هـ)،
الاشارات الى معرفة الزيارات ط دمشق .

٨٢ - ابن هشام أبى محمد عبدالملك بن هشام المعافرى .
السيرة النبوية تعليق طه عبدالرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الازهرية .

٨٣ - الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب . ت (٣٣٤هـ - ٩٤٥م)،
صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن على الأكوع نشر دار اليمامة الرياض ١٣٩٧هـ

٨٤ - اليعقوبى، احمد بن أبى يعقوب، ت (٢٨٤هـ)،
تاريخ اليعقوبى . نشر دار صادر

٨٥ - اليمنى، ابو الحسن نجم الدين عمارة . ت (٥٦٩هـ - ١١٧٤م)،
النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية نشر مكتبة المثنى ببغداد .

ثالثا: المراجـــع:

١- آدم ميتـــر:
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة محمد عبدالهادى ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٣٨٧هـ.

٢- ابراهيم رفعت باشا:
مرآة الحرمين القاهرة ١٩٢٥م.

٣- احسان الهى ظهير
التصوف. نشر ادارة ترجمان السنه . لاهور باكستان ١٤٠٦هـ
أحمد عمر الزيلعى

٤- أحمد السباعى.
تاريخ مكة . الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ
السنانسى مارى الكرملى.

٥- احمد عمـر الزيلعى.
مكه وعلاقاتها الخارجيه من (٣٠١ الى ٤٧٨)هـ نشر جامعة الملك سعود بالرياض ١٩٨١م.

٦- انستانس مارى الكرملى.
النقود العربية وعلم النميات طبعة ١٩٣٩م. القاهرة.

٧- أيوب صبرى باشا.
مرآة جزيرة العرب ترجمة احمد فؤاد متولى الصفصافى احمد المرسى
نشر دار الرياض ١٤٠٣هـ.

٨- جمال الدين سرور
تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشــرق. نشر دار الفكر العربى الكويت .

٩- جميل محمود حرب
الحجاز واليمن فى العصر الايوبى طبعة ١٤٠٥هـ جدة .

١٠- جورج فاضل حوراني
العرب والملاحة فى المحيط الهندى، ترجمة يعقوب بكر الطبعة الاولى.نشر مكتبة الانجلو المصرية .

١١- حسن ابراهيم حسن
تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الرابعة١٩٨١م القاهرة.

١٢- حسن شهاب
فن الملاحة عند العرب . طبعة بيروت ١٩٨٢م

١٣- حمد الجاسر
بلاد ينبع ، نشر دار اليمامة بالرياض
ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعى . نشر دار الرفاعى الرياض ١٤٠٣هـ
مقتطفات من رحلة العياشى، نشر دار الرفاعى، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ الرياض .
رسائل فى تاريخ المدينه. نشر دار اليمامة. الرياض،

١٤- راشد البراوى،
حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، نشر دار النهضة القاهرة.

١٥- ريتشارد موتيل
الاحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى، الطبعة الاولى ، نشر جامعة الملك سعود. ١٤٠٥هـ الرياض .

١٦- زامباور.
معجم الانساب والاسرات الحاكمة. ترجمة د. زكى محمد. و حسن محمود مطبعة جامعة فؤاد الاولى (١٩٥١م).

١٧- زكية عمر العلى.
التزيق والحلى عند المرأة فى العصر العباسى.نشر وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧٦م

١٨- سو نيا هاو
فى طلب التوابل . ترجمة محمد عزيز.نشر مكتبة نهضة مصر(١٩٥٧م).

١٩- السيد عبدالعزيز سالم

تاريخ الدولة العربية ، نشر مؤسسة شباب الجامعة . الاسكندرية .

العصر العباسى الاول

٢٠- سيد عبدالمجيد بكر

الملامح الجغرافية لدروب الحج الطبعة الاولى ١٤٠١هـ جده

٢١- الشيخ الامين عوض الله .

الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى.نشر دار المجمع العلمى ١٣٩٩هـ جده .

٢٢- صبيحه رشيد وهناء عبدالجليل .

الملابس العربية وتطورها فى العهود الاسلامية .مطبعة علاء بغداد ١٤٠١هـ

٢٣- صلاح حسن العبيدى .

تاريخ اللباس العربى فى العصر العباسى الثانى من المصادر التاريخيه والاثرية . نشر دار الرشيد. العراق ١٩٨٠م .

٢٤- عائشه عبدالله باقاسى

بلاد الحجاز فى العصر الايوبى . الطبعة الاولى . ١٤٠٠هـ مكه المكرمه .

٢٥- عاتق بن غيث البلادى .

على طريق الهجرة رحلات فى قلب الحجاز نشر دار مكه ، الطبعة الاولى.

٢٦- عبدالرحمن الشريف

جغرافية المملكة العربية السعودية . الطبعة الاولى،نشر دار المريخ ١٣٩٧هـ الرياض .

٢٧- عبدالمنعم ماجد.

نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر. مكتبه الانجلو المصريه ١٩٥٥م .

ظهور الخلافة الفاطميه وسقوطها .طبع القاهرة .

٢٨- عبدالله باسلامه .

تاريخ عمارة المسجد الحرام الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ جده

٢٩- عبدالله محمد السيف .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الامو ى.

الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ بيروت .

٣٠- عبدالله يوسف الغنيم .
جزيرة العرب فى كتاب المسالك والممالك لابى عبيد البكرى ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ . الكويت .

٣١- عطيه القوصى.
تجارة مصر فى البحر الاحمر. نشر دار النهضة مصر.القاهرة .

٣٢- على بن حسين السليمان
العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك. ١٣٩٧هـ ، القاهرة
النشاط التجارى فى جزيرة العرب فى العصور الوسطى.

٣٣- فؤاد حمزه
قلب جزيرة العرب. الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ، الرياض .

٣٤- ماركو بولو
رحلاته واستكشافاته ترجمة عبدالعزيز جاويد (الينابيع)

٣٥- محمد السيد الوكيل .
المدينة المنورة عاصمة الاسلام الاولى ، الطبعة الأولى ، نشر دار المجتمع جده ١٤٠٦هـ . الجزء الثانى .

٣٦- محمد عبدالله بن بليهد.
صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الآثار مراجعة محمد محى الدين عبدالحميد ، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٩٢هـ.

٣٧- محمد عبدالمنعم خفاجي.

بنو خفاجه وتاريخهم السياسى والادبى , الطبعة الاولى ١٩٥٠م

٣٨- محمد لبيب النيتونى

الرحلة الحجازية , الطبعة الثانية نشر دار المعارف . الطائف .

٣٩- ناديه حسنى صقر

الطائف فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام , الطبعة الاولى ١٤٠١هـ جده

٤٠- نعيم زكى فهمى.

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب, نشر الهيئه المصرية للكتاب ١٣١٣هـ القاهرة .

٤١- نوال سراج ششه .

جده فى مطلع القرن العاشر الميلادى. نشر مكتبة الطالب الجامعى ١٤٠٦هـ جده

٤٢- نوره بنت عبدالملك آل الشيخ.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى المدينة المنورة فى صدر الاسلام الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ

٤٣- ف . هايد

تاريخ التجارة فى الشرق الادنى فى العصور الوسطى ترجمة عزالدين فوده . نشر الهيئة المصرية للكتاب القاهرة .

رسائل جامعية لم تنشر

١- ابتسام ال سويلم :

الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الحجاز فى العصر العباسى الاول .

٢- عبدالعزيز بن راشد العبيدى.

التجارة والملاحة فى البحر الاحمر:فى عصر المماليك دراسة تاريخيه .

(٦٤٨ هـ. ١٢٥/٩١٣ - ١٥١٧أ)

البحوث والمقالات

١- احمد فاروق:

دباغة الجلود. مجلة العرب سنه ١٣٩٦هـ الجزء ٨ و٩ عدد٢٢

٢- حسن عثمان:

البحر الاحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والمماليك، كتاب رحلة كلية الاداب ، القاهرة ١٣٥٩هـ

٣- حسنين ربيع:

وثائق الجنيزه واهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى لموانى الحجاز واليمن فى العصور الوسطى . مصادر تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الاول الجزء الثانى سنه ١٣٩٩هـ.

٤- حمد الجاسر:

الحجاز فى القرن السابع على مافى رحلة ابن رشيد. مجلة العرب ، المجلد الثامن السنه الاولى. صفر١٣٩٠هـ ،

كتب المنازل من روافد الدراسات لتاريخ جزيرة العرب. مصادر تاريخ الجزيرة العربية . الكتاب الاول الجزء الاول سنه ١٣٩٩هـ.

قطر الطائف ومؤرخوه .مجله العرب الجزء الاول السنه الثانيه رجب ١٣٨٧هـ.

٥- صالح العلى:

تحديد الحجاز عن المتقدمين.مجله العرب ج ١ سنه ١٣٨٨هـ

٦- عبدالله محمدالسيف:

الزراعة فى الحجاز فى العصر العباسى ،مجله الداره العدد الثانى السنه التاسعة محرم ١٤٠٤هـ.

الصناعة فى الجزيرة العربية فى العصر العباسى، مجلة كلية الاداب المجلد الثانى عشر العدد الثانى ١٩٨٥م

٧- عبدالله الوهيبى:

الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض العدد الاول .

٨- عطيه القوصى:

اضواء جديدة على تجاره الكاوم فى وثائق الجنيزه مجلة الجمعية التاريخيه مجلد ٢٢ عام ١٩٧٥م.

٩- نقولا زياده :

جزيرة العرب فى المؤلفات الصينية مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الاول الجزء الثانى سنه ١٣٩٩هـ.

فهـــرس الموضوعـــات